شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة و الثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الثامن والثلاثون، السنة الرابعة، رجب ١٤٣٤ - أيار / حزيران ٢٠١٣

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٢٠٠ ل.س. - العراق: ٢٠٠٠ دينار - مصر: ١٠ جنيه - السودان: ٢٠٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة	ثقافةُ النّص المعصوم	الشيخ حسين كوراني	٦
تحقيق	معتقل غوانتانامو	إعداد: أحمد الحسيني	٨
مراقبات	أعمال شهر رجب	إعداد: "شعائر"	١٣
أحسن الحديث	الإحسان وسلامةُ الاجتماع	العلّامة الطباطبائي قدس سره	٢٠
	ألفاظُ القرآن الكريم	الشيخ المفيد قدس سره	٢٢
	سورة الصّافّات	من دروس "المركز الإسلامي"	٢٣
أيام الله	مناسبات شهر رجب	إعداد: صافي رزق	٢٥
وقال الرسول	أينَ الرّجبيّون؟	إعداد: محمد ناصر	٢٨
حدود الله	العمرة، ودعوةُ المؤمن	إعداد: "شعائر"	٢٩
يزكّيهم	ليلةُ الرّغائب	العلّامة الحلّي قدس سره	٣٠
الملف	قراءةٌ في مواعظِ أمير المؤمنين عليه السلام		٣١
	استهلال	من مواعظ (نهج البلاغة)	٣٢
	موعظتُه عليه السلام حول ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ..﴾	ابنُ أبي الحديد المعتزلي	٣٣
	موعظتُه عليه السلام لرجلٍ شاميّ	الفيض الكاشاني قدس سره	٣٧
	الأمل، وحركة الحياة	العلّامة شمس الدين رحمه الله	٤٠
	الموعظة، والمشروع الإسلامي العالمي	الشيخ حسين كوراني	٤٣
لولا دعاؤكم	من أدعية الإمام المهديّ عليه السلام	"شعائر"	٤٧
صاحب الأمر	عن علامات الظّهور	السيّد جعفر مرتضى	٤٨

تحقيق

«معتقل غوانتانامو»

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	"علامةٌ بينكم وبين المنافقين"	إعداد: خليل الشيخ علي	٥٠
يذكرون	أذكار شهر رجب	إعداد: عبدالله النابلسي	٥١
فكر ونظر	(نهج البلاغة). فقه القلب والحياة	إعداد: "شعائر"	٥٢
	العلمانية اللبنانية المستحيلة	محمود إبراهيم	٥٥
أعلام	الفقيه المتكلّم ابن أبي جمهور الأحسائي	إعداد: أكرم زيدان	٥٧
كلمة سواء	توحيدُ الذّات والصّفات	المرجع الديني الشيخ السبحاني	٦١
وصايا	تلازمُ التقوى والمعرفة	الفيض الكاشاني رحمه الله	٦٢
مرابطة	"لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم.."	من (نهج البلاغة)	٦٤
وثائق	"..وقلبُك ليس صاحي"	"مركز الفقيه العاملي"	٦٦
دوائر ثقافية	الفهرس		٦٧
موقف	إلى الذين يزكّون أنفسهم	العلّامة مغنيّة رحمه الله	٦٨
فرائد	كيف يُعرف الإمام؟	إعداد: "شعائر"	٦٩
قراءة في كتاب	"عوالي اللّآلي" للأحسائي	قراءة: سلام ياسين	٧٠
بصائر	نداءُ عالَم الوجود	إعداد: "شعائر"	٧٢
مصطلحات	علمُ الاجتماع	د. محمود البستاني	٧٤
مصطلحات	الإباحة	إعداد: "شعائر"	٧٥
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	٧٦
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة	٧٩
أيها العزيز	نارُ النّدامة	الإمام الخميني قدس سره	٨٢

بسملة

ثقافةُ النّصِّ المعصوم

■ الشيخ حسين كوراني

في مستهلِّ الأشهُر الثّلاثة رجب وشعبان وشهر رمضان، يكتسبُ الحديثُ عن النّصّ المعصوم خصوصيّةً عمليّةً بارزة، مردّها كونُ هذه الأشهر الدّورةَ العلميّة والعمليّة الأبرز على مدار السّنة وبالتّالي العمر كلّه. إنّها ليلةُ قدر التّربية الثّقافيّة والتّأمّل المنهجيّ المتجدّدةُ كلّ عام. ليست ليلةُ القدر الّتي هي خيرٌ من ألف شهر إلّا لبّ هذه الدّورة المركزيّة.

اللّافت في روايات هذه الأشهُر -الدّورة- هو التّوكيدُ على «**اليقين الثّقافيّ**» بالرّسالة والرّسول. بالحقيقة الّتي يحملُها النّصُّ القرآنيّ والثّابتُ من حديث المعصوم.

يستثيرُ ما تقدّم خزينَ الفطرة الإنسانيّة القائمَة على اليقين بالحقيقة، الّذي يقيسُ الاحتمال والشّكّ والظّنّ بمعيار قُربه من اليقين أو بُعده عنه.

تتماهى الإنسانيّةُ مع الحقيقة. العقل يكتشفُ الحقيقةَ ويَستجليها، والقلبُ حَرَمُها. الحقيقةُ هي اليقين. يتماهيان. ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يونس:٣٥-٣٦.

***

حين أطلقَ المعصومُ معادلة: تلبيس الحقّ بالباطل = رحلة البشريّة المعذّبة، كان -المعصوم- يؤصّلُ معادلة: استخراج الحقّ من خاصرة الباطل = نَقْبَ الباطل أو بَقْره.

قال عليٌّ عليه السلام: «**إنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ - يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ - وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ - فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ - لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ - وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ - انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ - وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ - فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ - وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى**».

وقال عليه السلام: «**وأيْمُ اللهِ، لأبْقُرَنَّ الباطلَ حتّى أُخْرِجَ الحقّ مِنْ خاصرته**».

النّصُّ المعصومُ سفينةُ نجاةِ البشريّة في رحلة البحث عن الحقيقة. النّصُّ المعصومُ منجمُ الحَقيقة واليَقين.

***

﴿.. فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ البقرة:٣٨-٣٩.

لم يَترُك الحقُّ عذراً لمعتذر: ﴿.. قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ البقرة: ١١٨.

ولا تَرَكَ ذريعةً يتوسّلُ بها مَن رَضِيَ لنفسه لوثةَ الشّكّ وتخريصَ الظّنّ وأخلدَ إليهما تباهياً وتمويهاً: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾. الروم: ٦٠.

عندما تَجِد بَرْدَ اليقين في مستقرِّ الفؤاد، فأنت من: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان: ٤.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ النمل:٣.

قادةُ رحلة اليقين هم الطّلائعُ المُوقنة، ساداتُ الموقنين: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة:٢٤.

ينقسمُ البشرُ إلى قسمَين: المُوقنين والمُتظاهرين باليقين وإمّا يبلغوه.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ البقرة:٣-٨.

***

بَدءُ مدارج اليقين بعصمةِ النّصّ القرآنيّ أن لا يُصادر المفسِّرُ عصمةَ القرآن فَيَدّعيها، ويُجلِسُ القرآن كالتّلميذ بين يدَيه، يُسبغُ عليه من حداثته، و«يبرّئه» ممّا لا ينسجمُ مع «روح العصر»!

وأُولى مدارج اليقين بعصمةِ الثّابت عن المعصوم، اليقينُ بالمعصوم ومرجعيّته المركزيّة في التّلقّي من القرآن، وفقهِ القلب والحياتَين الممرِّ والمستقرّ.

لا سبيلَ إلى ذلك للباحثين عن الحقيقة خارجَ النّصِّ المعصوم -وما أُبرِّئُ نفسي-، تحتَ براقعِ الحداثة الوَهم، والعقلانيّة الرّاطنة، والمعاصَرة المُلتَبسة بين الآلة والأزرار الإلكترونيّة، وبين «الآفاق والأنفُس». الّذين لم يروا من الإنسان إلّا جسدَه، ولم يؤمنوا بالعقل لأنّهم لم يَروه! فلم يبحثوا عن الحقيقة لأنّهم لم يُعملوا عقولَهم: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ الروم:٢٨-٢٩.

أن يسمحَ المفسّرُ لنفسه أن يكونَ «أستاذ الله»!! ﴿.. أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ ..﴾؟! الحُجُرات:١٦، أصلُ ثقافة «الإنسان الخالق» المادّيّة السّائدة وفَصْلُها. مَنْ ضرَبته لوثةُ «التّغريب» فقد تتلمذَ على «أستاذ الله»!!! فكيفَ سيقبلُ قولَ رسولِ الله أو وليِّه سبحانَه وتعالى.

من أبرز خصائص المَشهد الثّقافيّ الإسلامويّ في مفتَتح الألفيّة الثالثة، البحثُ عن القدوة الفكريّة والثّقافيّة والعلميّة والعمليّة خارجَ النّصِّ المعصوم.

- أخطرُ تَمظهُرات هذا الطّيف من المشهد هو اليقينُ بأنّ ذلك لا يناقضُ مرجعيّةَ النّصِّ المعصوم، الّذي حبسَه هؤلاء في الماضي حين أطلقوا عليه اسمَ «التّراث»!
- أخطرُ منه التّصريحُ بتطويع هذا «التّراث!» لثقافة الغرائز وصرير الآلة، وجَشَع المردود الرّبحيّ.
- وأخطر منه مَلأُ النّصّ الدّينيّ بحَشرَجَات الآلة والحيوان والجَشَع، وتقديم ذلك في عمليّة التّثقيف الدّينيّ كما يجري الآن على نطاقٍ واسع باسم «الإرشاد الأُسَريّ»!! -ولا أُسرةَ في الغرب- وكذلك باسم «علم النّفس» و«المناهج التّربويّة» وغيرها..

ثقافةُ النّصِّ المعصوم ثقافةُ اليقين. اليقينُ بعصمةِ هذا النّصِّ شرطٌ حصريٌّ للوصول إلى ما يحملُه من حقائق ويَقينيّات.

«معتقل غوانتانامو»
مختبَر أميركيّ للتّعذيب

جانب من «معتقل غوانتانامو»

إعداد: أحمد الحسيني

*** «معتقل غوانتانامو الأميركيّ، يمثّلُ همجيّةَ هذا العصر»! بهذه العبارة لخّصت «منظمّة العفو الدّوليّة» حقيقةَ ما يجري وراء أسوار السّجن المستحدَث فوق أراضٍ كوبيّة شبه محتلّة من قبل القوّات الأميركيّة.**

*** جولةٌ في أقسام هذا المعتَقَل، ومعرفة كيفيّة التّحقيق مع نزلائه، وطرائق تعذيبهم جسديّاً ونفسيّاً، تدلُّنا على هوْل الفظائع التي ترتكبُها «وكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة» لأخذ اعترافات الموقوفين، أو فَقُل: لتَلقينهم إيّاها.**

*** إنّه معتقلٌ لا نظيرَ له في العالم، كيف وقد عُهد بإدارته إلى حفنة من المجرمين، وأُطلق العنان لهم لممارسة طقوسهم السّقيمة على مئات من العرب والمسلمين، تبيّن لاحقاً أنّ خمسة أشخاص -على أقصى تقدير- من هؤلاء كان لهم دورٌ ما في هجمات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، وهي الّتي اتُّخذت ذريعةً لاستحداث هذا المعتَقَل.**

يقعُ «معتقل غوانتانامو» على شاطىء خليج «إقليم غوانتانامو» الواقع في جنوب شرقيّ كوبا، على بعد حوالي ألف كلم عن العاصمة «هافانا»، وتبعد كوبا مسافة ١٤٥ كلم عن ولاية فلوريدا الأميركيّة.

بُني المعتقل في قاعدةٍ بحريّةٍ عسكريّةٍ على أرضٍ مساحتها ١١٧ كلم مربّع، كانت الولايات المتّحدة الأميركيّة استأجرتها من كوبا بموجب اتّفاقيّة وقّعها الطّرفان في شباط ١٩٠٣م، مقابل ألفَي دولار سنويّاً تدفعُها الولايات المتّحدة، وفي العام ١٩٣٤م جرى التّوقيع على اتفاقيّةٍ جديدةٍ بين البلدَين، تؤجّر بموجبها كوبا القاعدةَ للولايات المتّحدة مقابل خمسة آلاف دولار سنويّاً، وبحسب النّصّ الجديد لا يستطيعُ أيُّ طرفٍ نقضَ الاتفاقيّة من جانبٍ واحد.

احتَجَّ الثّوارُ الوطنيّون على هذا القرار، وعلى إثر ذلك امتَنَعت السّلطات الكوبيّة عن صرف الشّيكات اعتراضاً على قرار الإيجار. لكن، وعلى الرّغم من ذلك، ترسل الولايات المتّحدة الأميركيّة شيكاً بقيمة ٥٠٠٠ دولار سنويّاً إلى حكومة كوبا.

في تشرين الأوّل من العام ١٩٦٨م، أثناء «أزمة صواريخ كوبا»، قام الزّعيم الكوبيّ فيدل كاسترو بِزَرْعِ ألغامٍ في القاعدة لاسترجاعِها وإجبار الأميركيّين على الرّحيل عنها، لكنَّ الرّئيس الأميركيّ الأسبق جون كيندي رفض التّخلّي عنها، وأكَّدَ حقَّه في استئجارها. ومنذ العام ١٩٦٠م ترفض كوبا تلقّي بدل الإيجار السّنويّ الّذي تدفعه الولايات المتّحدة، وتطالبُ باستردادِ هذا الجَيْب، وضمِّه مجدّداً إلى أراضيها. وقد عزّز الجيش الأميركيّ تواجدَه في غوانتانامو منذ «عمليّة خليج الخنازير» سنة ١٩٦١م، حيث قامت جماعات كوبيّة معارِضة ومدرَّبة من قِبَل «وكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة» بمحاولة فاشلة للإطاحة بالرَّئيس فيدل كاسترو.

المؤن والمياه في قاعدة غوانتانامو

للقاعدة العسكريّة الأميركيّة في غوانتانامو شبهُ اكتفاءٍ ذاتيٍّ، فهي تُولِّدُ الطّاقة الكهربائيّة الخاصّة بها، وتملك محطّة لِتَحلية المياه، ويجري تزويدُها بالمؤن بحراً من مدينة جاكسونفيل في ولاية فلوريدا، والإنشاءاتُ الّتي فيها جَعَلَتْها واحدةً من أكبر القواعد المدنيّة والعسكريّة خارج أميركا، كما أصبحت ثالث أكبر ميناءٍ بحريٍّ تابعٍ للولايات المتّحدة.

كانت هذه القاعدة تضمّ ٥٠٠ جنديّ قبل إقامة معسكر الاعتقال فيها، وقد ارتَفَع عددُ عناصرها إلى نحو ٧٥٠ عسكريّاً أميركيّاً، و٢٥٠٠ أجنبيّ من المرتزقة، معظمهم من الفيليبّين وجامايكا يعملون في أقسامها، وخاصّة في المعتقل، كما يعيش ثلاثة آلاف مواطن كوبيّ أيضاً في الأراضي التّابعة للقاعدة.

إقامةُ المعتقل في القاعدة

بُعَيد الهجمات الّتي نجحَت في تدمير «برجَي نيويورك» في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م، وعقِبَ الحرب الأميركيّة على أفغانستان (٧ تشرين الأوّل ٢٠٠١م)، باشرَت القوّاتُ الأميركيّة ببناء المعتقل بجدرانه الإسمنتيّة، لِسَجنِ مَن تَشتبه بِضلوعه في تلك الهجمات، أو الّذين تَعتقد أنّهم يُشكّلون خطراً مباشراً على الولايات المتّحدة، أو على مَصالِحِها في الخارج، وهم الّذين تُطلِق عليهم صفة «الإرهابيّين» في خطاباتها الخاصّة والعامّة.

يقع المعتقل في أراضٍ كوبيّة شبه محتلّة

كان أوائلُ المعتقلين في المعتقَل المستحدَث حوالي عشرين شخصاً، أُوقِفوا ردّاً على «هجمات البرجَين» في نيويورك، ونُقلوا إليه من أفغانستان مكبّلين داخل أقفاص، وقد انتَشَرَت عبر العالم صُوَرُهم بلباسهم البرتقاليّ والأكياس السّود في رؤوسهم، وذلك في الحادي عشر من كانون الثّاني ٢٠٠٢م.

وفي السّابع من شباط من ذلك العام، صَدَرت توجيهاتٌ رئاسيّة أميركيّة مفادُها أنّ «اتفاقيّات جنيف» لا تَنطبق على «غوانتانامو»، لِتَبدأ بذلك رحلةُ العذابِ والقهرِ في صفوف المعتقلين.

ثمّ أضحى عددُ المعتقلين ٧٧٩ رجلاً (بينهم عدد كبير من القُصَّر) خلال العام ٢٠٠٣م، وبعد أكثر من عشر سنواتٍ من وصولِ طليعةِ المُعتقَلين، ما زال سجن غوانتانامو المُثير للجَدَل يضمّ ١٧١ معتقلاً، على الرّغم من وعود الرئيس الأميركيّ الحاليّ باراك أوباما بإغلاقه قبل كانون الثاني ٢٠١٠م، لكنّ «الكونغرس الأميركيّ» أقرّ قانوناً صَدر في نهاية كانون الأوّل ٢٠٠٩م، يَمنع فعليّاً تحقيق هذا الهدف. ورغم كلّ ما يُقال عن سعيٍ أميركيٍّ لِتَمكين المعتقلين من محاكماتٍ مدنيّة وإغلاق المعتقل، فإنّ شيئاً لم يتغيّر في ذلك المكان، «ولَن يتغيّر على الإطلاق» كما تقول كارين بيرغ مديرة «المركز الوطنيّ للقانون في جامعة فوردهام».

هذا، ويُشكّل معتقل غوانتانامو أكبر تجمُّع للسّجناء وفقاً للجنسيّة في العالم. فقد فاقَ عددُ البلدان الّتي ينتمي إليها السّجناء ٤٢ بلداً، من أربع قارّات، جميعُهم مسلمون، وغالبيّتهم العُظمى من الدّول العربيّة والإسلاميّة.

أقسام المُعتقَل

ينقسم مُعتَقَل غوانتنامو إلى ثلاثة أقسامٍ:

١- Camp Delta (مخيّم دلتا): يحتوي هذا القسم على ٦١٢ زنزانة، وفيه ينزل السّجناءُ الجُدُد، وأصحاب «الجرائم الصّغيرة»، أو المُشتَبَه بهم فقط؛ ويُسمح فيه للمحقّقين بالتّكلّم مع المعتقلين، كما تُتيح أنظمة هذا المخيم للمعتقل «ميزة» تعيين محامٍ للدّفاع عنه.

٢- Camp Iguana (مخيّم السّحليّة): هذا المُعسكر أصغر من السّابق، وهو أقلّ رقابة، وفي العام ٢٠٠٢م فرَّ منه معتقلان، فقامت السّلطات في المعتقل بإغلاقه خوفاً من تكرار عمليّة الهروب، لكنّها أعادت فتحه عام ٢٠٠٥م.

٣- Camp X-Ray (مخيّم الأشعة السّينيّة): هذا القسم هو قلب معتقل غوانتانامو، وهو أشدُّها قساوةً وإجراماً؛ ففيه يُلاقي المعتقلون كلّ فنون العذاب، إلى جانب حرمانِهم من أبسط الحقوق الشّخصيّة. زنزاناتُ هذا القسم مضاءةٌ دائماً، ومن هنا تسميته بـ «مخيّم أشعّة أكس»، يَقبَعُ فيها المعتقلون طوال أشهر قبل أن يُسمَح لهم بالخروج إلى الباحة الخارجيّة. ويُصنّف المسؤولون في المعتقل سجناءَ هذا القسم، حيث ترتدي كلُّ جماعةٍ لوناً خاصّاً بها، فالمعتقلون «الخطيرون» يرتدون زيّاً برتقاليّ اللّون، والّذين يتعاونون مع المحقّقين يرتدون زيّاً أبيض، والباقي يرتدون زيّاً عاجيّ اللّون.

تقنيّات وأساليبُ التّحقيق

لقد كُتب الكثير عن تقنيّات التّعذيب وأنماط الاستجواب التي تعتمدُها «وكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة» في معتقل غوانتانامو، فهناك مئات التّقارير الصّادرة عن منظّمات حقوقيّة غربيّة، وآلاف التّحقيقات والمقالات في الصّحف العالميّة، كلّها موثّقة ومدعّمة بشهاداتٍ لمعتقلين تمّ الإفراج عنهم، أو لمجنّدين أميركيّين خدموا داخل المعتقل، أو لحقوقيّين أُتيحَ لهم الدّخول إلى غوانتانامو ومعاينة ما يجري بداخله عن كثب، فضلاً عن تسريباتٍ لوثائق حكوميّة أميركيّة، لا سيّما وثائق وزارتَي «العدل» و«الدّفاع» الأميركيّتَين.

وجميع هذه الشّهادات تلتقي عند نقطتَين أساسيّتَين:

أوّلاً: إنّ ممارسات المحقّقين تتّسم «بالوحشيّة المفرطة»، وتقوم على أساليب غير معهودة في تاريخ الإنسانيّة، حتّى في الدّول التي تحكمها أشدّ الأنظمة دمويّة.

ثانياً: إنّ هذه الممارسات تتمّ بمعرفةٍ كاملة وقبولٍ تامّ من قِبل

الإخافة باستعمال الكلاب

وزارتَي «الدّفاع» و«العدل» الأميركيّتَين، وفي أفضل الأحوال تكتفي الدّوائر المعنيّة في هاتَين الوزارتَين بـ «التزام الصّمت»، أو تمرير أوامر شفهيّة، تهرّباً من مساءلة قانونيّة لاحقة محتملَة.

ونظراً، لكثرة و«تنوّع» أساليب التّعذيب المعتمدة في غوانتانامو، والتي تتمّ تحت عنوانٍ حاضرٍ دائم هو «حماية الأمن القومي الأميركيّ»، نكتفي بالإشارة إلى نماذج منها، تحت عنوانَين رئيسَين: التّعذيب الجسدي، والتّعذيب النّفسي.

أوّلاً: التّعذيب الجسدي: ويشمل عدّة أساليب، منها:

١- الضّرب، في جميع أنحاء الجسد، بما فيها الرّأس، ويُسمح فيه باستخدام الآلات الحادّة، وأن يستمرّ إلى حدّ الإغماء، والمحظور الوحيد هو أن يموت المعتقَل، أو يُصاب بعاهة مستديمة بيّنة، كجَدع الأنف أو الأُذُن.

٢- الصّعق بالكهرباء.

٣- إجبار المعتقل على التّموضع في حالة جسديّة غير مريحة لمدّة طويلة جدّاً، كالوقوف مدّة ١٨٠ ساعة متواصلة، أو الجلوس قرفصاء، أو تقييد رجلَيه ويدَيه إلى مؤخّرة رأسه، أو حشره في زنزانة ضيّقة جدّاً لأيّام (هذه التّقنيّة اعتمدها الجيش الصّهيونيّ في لبنان).

٤- حجزُ المعتقل في مكان ضيّق مليء بالحشرات السّامة، وكشفت وثيقة مسرّبة من «وزارة العدل الأميركيّة» سماحَها بذلك «شرط أن لا يؤدّي لدغ الحشرات إلى موت المعتقل، أو أن يخلّف بُقعاً دائمة وظاهرة».

٥- تعريض المعتقل لدرجات حرارة مرتفعة جدّاً، أو متدنيّة جدّاً تفوق قدرة الجسد البشريّ على تحمُّلها، ثمّ تُعاد الكرّة بعد فترة استراحة قصيرة يَستعيد الجسدُ خلالها توازنَه.

٦- تعريض المُعتقل على مدى وقتٍ طويلٍ لضجيج وأصوات صاخبة تتراوح بين ١١٠ إلى ١٢٠ على مقياس ديسيبيل (آلة ثقب الصّخور تُنتج ضجيجاً يُقارب ٩٥ ديسيبيل).

٧- الحقن بالإكراه: يُمنع المعتقلون من إظهار أيّ علامة استياء أو تذمّر، وعندما يعمد أحدُهم أو مجموعة منهم إلى الإضراب عن الطّعام كتعبيرٍ احتجاجيّ، يتمّ حقنُهم بسوائل مغذّية بالقوّة، وصرّح عددٌ من المفرَج عنهم أنّهم حُقنوا أو أُجبروا على تناول عقاقير لا علمَ لهم بطبيعتِها.

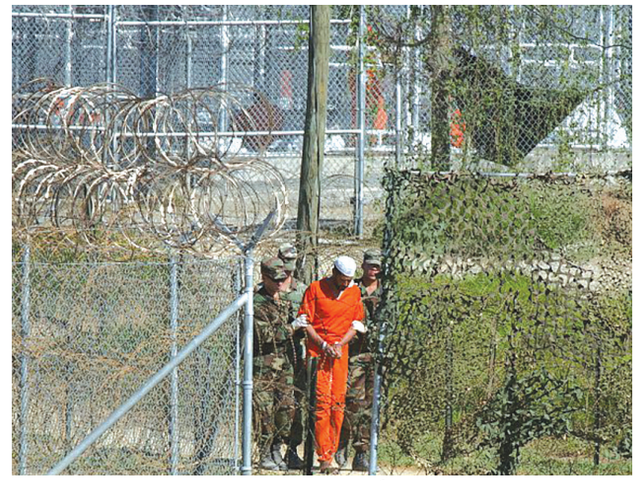

..يُساق إلى التحقيق

وفي العامَين الأخيرين تسرّبت وثائق على صلة بهذا الجانب، منها قضيّة عقار Mefloquine الموصوف لمعالجة مرض «الملاريا» والذي يُسبّب خَللاً عصبياً - عقليّاً، فقد تبيّن أنّ جميع معتقَلي غوانتانامو أُجبروا على تناول جرعات عالية منه بَدو وصولِهم إلى المعتقل، ومن دون أن يخضعوا لفحص إصابتهم بالملاريا. وتكمن الخطورة في الآثار الجانبيّة الحادّة التي يخلّفها تناول هذا العقار، ومنها: الهلوسة، والرّغبة بالانتحار. وبالفعل، فقد سُجّلت عدّة حالات انتحار في صفوف المعتقلين، ما أجبر «وزارة الدّفاع الأميركيّة» على فتح تحقيقٍ بالموضوع بعد تفاقُمه، وبحسب إفادة طبيب الجيش المايجور ريمينغتون نيفين، «فقد كانت طريقة استخدام عقار Mefloquine، بأفضل الأحوال، خطأً فاضحاً في ممارسة المهنة».

٨- رشُّ المعتقل بموادّ كيماويّة تنجم عنها آلام حادّة، وشعور بالاحتراق، وبعد ذلك يتعرّض للضّرب والرّكل من قبل ٤ أو ٥ عسكريّين.

ثانياً: التّعذيب النّفسي، ويدور بشكلٍ أساسيّ على التّلاعب بنفسيّة المعتقل، وبـ «ذِهنِه»، وهذا الشقّ الأخير علامة فارقة ومميّزة للتّعذيب الأميركي. ومن مصاديق «التّعذيب الذّهنيّ»:

١- سلبُ المعتَقل الشّعور بالزّمان: الزّمان، وليس الوقت، فقد تمرُّ على الإنسان فترات ينعدم عنده الشّعور بالوقت، فلا يُدرك -مثلاً- إذا كان الوقت عصراً أو صباحاً، وينتج ذلك عادةً عن الإرهاق الشّديد، واضطراب أوقات النّوم، أو حالات الاكتئاب الحادّ. لكنّ الهدف من هذا النّمط من التّعذيب في غوانتانامو هو سلب المستجوَب الشّعور والإحساس بالزّمان كلّيّاً،

..محمّلاً بعد التحقيق

وكَشَفت بعض التّسريبات أنّ عدداً من معتقلي غوانتانامو باتوا غير قادرين على التّمييز بين العشر دقائق والعشر ساعات. وفي إحدى الحالات تمّ استجواب أحد الموقوفين لمدّة سبع ساعات متواصلة، بقي مستيقظاً طوال الوقت. وعندما سُئل عن المدّة التي قضاها أمام المحقّق، تردّد، ثمّ قال: نصف ساعة. يؤدّي هذا النّوع من التّلاعب إلى «إبحار ذهن المعتقل» في دوّامة غير متناهيّة، ولا محدّدة بفواصل، وهي حالةٌ تُلامس مرحلة الجنون.

٢- تدمير الإحساس بالقداسة: معروف أنّ جميع معتقلي غوانتانامو مسلمون، وقد شكّل هذا الأمر مادّة غنيّة لاستفزازهم من قِبَل المحقّقين الّذين يعمدون إلى التّطاول اللّفظيّ على المقدّسات الإسلاميّة، وإلى انتهاك حُرمة المصحف الشّريف وتدنيسه عمليّاً، وتعمد المحقّقات الإناث -في حالاتٍ محدّدة- إلى ممارسات غير أخلاقيّة صادمة في مدى انحطاطها، ويُجبر السّجين أيضاً على السّجود للمحقّقين.

٣- الإيحاء بالغرَق: يُجبَر المعتقَل على النّوم على وسادة مبلّلة

بالماء، وثبت بالتّجربة أنّ هذا الأمر يَخلق لديه –بعد دخوله مرحلةَ السُّبات– شعوراً بالغرَق، فيستيقظ مذعوراً.

٤– مخاطبة المعتقل ومناداته ومعاملته كـ «حيوان»، من ذلك: إجبار عددٍ من المعتقلين على النّباح، وتقييد أيديهم إلى الخلف وإجبارهم على تناول الطعام من إناء يوضَع أمام وجوهِهم، وعدم السّماح لهم بالدّخول إلى المراحيض.

٥– الحرمان من النّوم: يؤدّي الحرمان من النّوم إلى خَلَلٍ جدّيٍّ في وظائف الجسد، أهونها الصّداع الشّديد، وآلام المفاصل، وغشاوة الرّؤية، واضطراب عمل الكلى. أمّا إذا استمرّ الحرمان من النَّوم مدّة تزيد على ٤٨ ساعة، فيدخل الإنسان ما يُعرف علميّاً بـ «الذّهان العقليّ»، ويُعاني من خداعٍ بصريّ وسمعيّ، حيث يبدأ بسُماع أصوات غير موجودة، أو يتوهّم مثلاً أنّ صوت الماء هو صوت شخص يكلّمه، ويرى الأشياء على غير حقيقتها، ويتطوّر الأمر بعد ٩٦ ساعة –أي أربعة أيّام– إلى فقدانه لأيّ إحساسٍ بالعالَم الذي حوله. وفي غوانتانامو تبيّنَ من الوثائق المسرّبة أنّ مُدَد حرمان المعتقلين من النَّوم تراوحت بين يوم، ويومين، وأربعة أيّام، وصولاً إلى «ثمانية أيّام، وهي المدَّة القصوى المسموح بها»! ونشرت صحيفة «الشّرق الأوسط» اللّندنيّة في العام ٢٠٠٩م مقالاً عن وثائق تابعة لوزارة «العدل» الأميركيّة، فيها أنّ أحد المعتقلين حُرِم من النّوم مدّة أحد عشر يوماً.

ومن أجل إسراع وتيرة التّحقيقات، سمح وزيرُ «الدّفاع» في إدارة بوش الإبن، دونالد رامسفيلد بإجراءاتٍ إضافيّة، منها: حلق اللّحى، التّعرية الكاملة، التّخويف باستخدام الكلاب، الملامسة الجسديّة وغيرها.

وكانت التّحقيقات تجري في غرفة مغطّاة بصوَر لأحداث الحادي عشر من أيلول، ويُرغم المستجوَب على ارتداء قمصان تحمل صوَر قتلى حادثة البرجَين، وعلى النّهوض عند سُماع «النشيد الوطنيّ الأميركيّ»، وتُعرَض عليه صوَر «الإرهابيّين» ويُجبر على شتمِهم والصّراخ عليهم، فضلاً عن حرمانه من أداء الصّلاة، لا سيّما في شهر رمضان.

وممّا تجدر الإشارة إليه، أنّ التّعذيب في غوانتانامو ليس عملاً عشوائيّاً، وإنّما يؤدّى بشكلٍ مُمنهَج وبإشراف وتوجيه أخصّائيّين. على سبيل المثال: هناك تقنية «الهلع الهائل»، ويُراد منها تخويف المعتقل إلى أقصى حدٍّ يحتمله قلبُه قبل أن يتوقّف عن الخفقان، أو قبل أن يؤدّي تدفّق الدّمّ في الأوردة والشّرايين إلى إصابته بعوارض قاتلة. وهناك تقنية «الاقتراب من الهذيان»، ويُراد منها سَوْق المعتقل إلى عَتبة الجنون، مع الحرص على عدم تخطّيها، وهذا لا يُمكن أن يتحقّق إلّا بإشرافٍ مباشر من اختصاصيّ.

من جهة ثانية، تَبيّن من الوثائق التي نُشرت في السَّنوات الأخيرة، أنّ محقّقي «وكالة الاستخبارات المركزيّة» زرعوا أجهزة تنصّت

التعريض لضجيج وأصوات صاخبة

داخل الغرَف المُعَدّة لالتقاء المعتقلين مع محامي الدّفاع عنهم. تقول لورا بيتر، خبيرة «شؤون مكافحة الإرهاب» في منظّمة «هيومن رايتس ووتش» Human Rights Watch إنّه جرى اكتشافُ أجهزةِ تنصُّتٍ على هيئة أجهزة كَشْف الأدخنة، وقد جرى تثبيتُها في غرف التقاء المحامين بِموكّليهم، وهو ما يُعدّ خرقاً فاضحاً لعنصرٍ أساسيٍّ من عناصر «العدالة الأميركيّة»، هو سرّيّة اتّصالات محامي الدّفاع بموكّله. وتشير إلى أنّ السّجين اليمنيّ وليد بن عطّاش، كان قد أثار مع موكّلته المحاميّة شيريل بورمان أنّه «كان يجري التّنصّت علينا».

بدوره أكّد عقيد البحريّة توماس ولش، كبير محامي شؤون الأفراد بمعسكر الاعتقال، أنّ أجهزة كشف الأدخنة كانت بالفعل أجهزةً للتّنصّت.

هذه عيّنة من أبرز أساليب التّعذيب المعتَمَدة في معتقل غوانتانامو، وهي تُبيّن بوضوح أنّ شعار «حقوق الإنسان» الّذي ترفعه الإدارة الأميركيّة، ليس سوى كذبة يُراد منها التّغطية على جرائمِها في العالم.

من لوازم الإيمان اليقظة وعلامتها المراقبة، وهي «قرار بالتزام قانون الله تعالى: الشّرعة والمنهاج» تماهياً مع اليقين والحبّ: اليقين به تعالى، وحبّه سبحانه.

في المناجاة الشعبانيّة: «وأن تجعلني ممّن يُديم ذكرك، ولا ينقضُ عهدك، ولا يغفل عن شكرك، ولا يستخفّ بأمرك. إلهي وألحقني بنور عزّك الأبهج، فأكون لك عارفاً، وعن سواك منحرفاً، ومنك خائفاً مراقباً، يا ذا الجلال والإكرام».

وأبرز كتب المراقبات: كتاب «إقبال الأعمال» لسيّد العلماء المراقبين، السيّد ابن طاوس، و«المراقبات» للفقيه الكبير الشيخ الملكي التبريزي، وفي هديهما: هذا الباب (مراقبات).

أعمالُ شهر رجب

يا مُرسِلَ الرّحمة من معادنها

إعداد: «شعائر»

«من مهمّات الأعمال في شهر رجب من أوّله إلى آخره، تذكُّر حديث المَلَك الدّاعي على ما رُوي عن النّبيّ ﷺ: أنّ الله تعالى نَصَبَ في السَّماء السَّابعة مَلَكاً يُقالُ له الدّاعي، فإذا دَخَلَ شهرُ رجب يُنادي ذلك المَلَك كلّ ليلةٍ منه إلى الصَّباح: طُوبى للذّاكرين، طُوبى للطّائعين، يقول الله تعالى: أنا جليسُ مَن جالَسَني، ومُطيعُ مَن أطاعَني، غافرُ مَن استَغفَرَني، الشَّهرُ شهري، والعبدُ عبدي، والرّحمةُ رَحمتي، فمَن دعاني في هذا الشَّهر أَجَبْتُه، ومَن سَأَلَني أَعطَيْتُه، ومَن استَهداني هَدَيْتُه، وجعلتُ هذا الشَّهر حَبْلاً بيني وبينَ عبادي، فمَن اعتَصَم به وَصلَ إليّ».

(المراقبات، للملكي التّبريزيّ)

من أهمّ مناسبات الشّهر:

١- المبعثُ النّبويُّ الشّريف في اليوم السّابع والعشرين.

٢- ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة في اليوم الثّالث عشر.

٣- ولادة الإمام الباقر عليه السلام، في اليوم الأوّل.

أبرزُ الأعمال:

١- إحياء اللّيلة الأولى، وليلة النّصف منه.

٢- عمل ليلة الرغائب. ٣- عمل الاستفتاح (أمّ داود).

٤- أعمال ليلة المَبعث ويومها.

٥- الصّوم. ٦- صلاة سلمان.

٧- الاستغفار، وقراءة التّوحيد، والذِّكرُ البديل.

تُقسَم أعمال شهر رجب الحرام إلى قسمَين: الأعمال الخاصّة بوقتٍ محدّدٍ من الشَّهر، وتلك العامّة التي يُمكن أن يُؤتَى بها في أيِّ وقتٍ من أوقاته، وهي أُمور:

أوّلاً: الأدعية نظراً إلى وفرة أدعية شهر رجب نكتفي بالإشارة إليها على أن تُطلَب بِتمامِها من كُتُب الأعمال، لا سيَّما (مفاتيح الجنان)، المُتضمِّن لمعظم الأدعية الواردة في هذا الشَّهر الفضيل.

١- الدُّعاء الَّذي رُوي أنّ الإمام زين العابدين، صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه، دعا به في الحِجْر في غُرّة رَجَب: «**يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ ضَمِيرَ الصَّامِتِينَ..**».

٢- دعاء الإمام الصّادق عليه السلام في كلّ يومٍ من رجب: «**خابَ الوافِدُونَ عَلى غَيْرِكَ وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ..**».

٣- الدُّعاء المرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**قُلْ في رجب: أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صَبْرَ الشّاكِرِينَ لَكَ، وَعَمَلَ الخائِفِينَ مِنْكَ، وَيَقِينَ العابِدِينَ لَكَ..**». قال المُحدّث القمّيّ في (مفاتيح الجنان): «ويظهر أنّ هذا الدُّعاء هو أجمع الدَّعوات، ويَصلح لأن يُدعى به في كلّ الأوقات».

٤- دعاء «**أَللّهُمَّ يا ذا المَنِّ السَّابِغَةِ وَالآلاءِ الوازِعَةِ وَالرَّحْمَةِ الواسِعَةِ وَالْقُدْرَةِ الجامِعَةِ..**».

٥- مجموعة من الأدعية مرويّة عن الإمام صاحب العصر والزّمان أرواحنا فداه. [انظر: باب «لولا دعاؤكم» من هذا العدد]

٦- عن محمّد بن ذَكوان، قال: «قلتُ للصّادق عليه السلام: جُعِلتُ فداكَ، هذا رجب، علِّمني فيه دعاءً يَنفعني اللهُ به، قال عليه السلام: **اكتُب: بسم الله**

الرَّحمن الرَّحيم، قُلْ في كلِّ يومٍ من رجب صباحاً ومساءً، وفي أعقاب صلواتك في يومِك وليلتِك: يا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْرٍ وَآمَنُ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الكَثيرَ بِالقَليلِ، يا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً؛ أَعْطِنِي بِمَسأَلَتِي إِيّاكَ جَمِيعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَمِيعَ خَيْرِ الآخرةِ، واصْرِفْ عَنِّي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخرةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ما أَعْطَيْتَ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ يا كَرِيمُ .

قال الرّاوي : ثمّ مدّ عليه السلام يَدَه اليُسرى فقبضَ على لحيته ودعا بهذا الدُّعاء وهو يلوذُ بِسُبابته اليُمنى. ثمَّ قال بعد ذلك: «**يا ذا الجَلالِ وَالإكْرامِ، يا ذَا النَّعَماءِ وَالجُودِ، يا ذَا المَنِّ وَالطَّوْلِ، حَرِّمْ شَيْبَتِي عَلى النَّارِ**» .

ثانياً: الأذكار وفي طليعتِها الاستغفار، والتّهليل، وقراءة التّوحيد، والصّلاة على محمّد وآل محمّد، والذِّكر البديل لِمَن يعجز عن الصّيام [انظر: باب «يذكرون» من هذا العدد]

ثالثاً: الصَّوم قال العلّامة الحلّيّ في (تذكرة الفقهاء): «يُستحبّ صَوْمُ رجب بأسره عند علمائنا «..» ويتأكَّدُ استحبابُ أوَّلِه وثانيه وثالثِه»، وقال المحقّق البحرانيّ في (الحدائق النّاضرة): «ومنها [الصَّوم المندوب] صومُ شهر رجب كلّاً أو بعضاً «..» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إنَّ نوحاً ركبَ السّفينةَ في أوّلِ يومٍ من رجب، فأَمَر مَن مَعهُ أن يصوموا ذلك اليوم..**»، وفي (غنائم الأيّام) للميرزا القمّيّ أنّ الأحاديث في استحبابِ صيامِ شهرَي رجب وشعبان كثيرةٌ جدّاً.

وجاء في الخبر أنَّ مَن صام أيّام الخميس والجمعة والسَّبت من الأشهرِ الحُرُم الأربعة -وشهرُ رجبٍ أحدُها- كَتَب اللهُ تعالى له عبادة تسعمائة سنة. [انظر: باب «وقال الرّسول» من هذا العدد]

رابعاً: الصَّلاة ١- ستُّون ركعة، يصلّي منها في كلِّ ليلةٍ ركعتين، يَقرأ في كلّ ركعة الحمد مرّة، و(قُلْ يا أيُّها الكافِرُونَ) ثلاث مرّات، و(قُلْ هُوَ الله أَحَد) مرّة واحدة، فإذا سلّمَ رفع يدَيه إلى السَّماء وقال:

لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَإِلَيْهِ المَصِيرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَآلِهِ. ويُمرِّر يدَيه على وجهه، وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن فَعَلَ ذلك استجابَ اللهُ دعاءَهُ، وأعطاهُ أجرَ ستِّين حجَّةٍ وعُمْرةٍ**».

٢- رُوي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ مَن قرأ في ليلةٍ من ليالي رجب مائة مرّة (قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ) في ركعتَين، **فكأنَّما قد صام مائة سنة في سبيل الله، ورَزَقَهُ اللهُ في الجنَّة مائة قصرٍ، كلُّ قصرٍ في جوارِ نبيٍّ من الأنبياء** عليهم السلام.

٣- انظر: باب «كتاباً موقوتاً» من هذا العدد.

ملاحظة: لكلِّ ليلةٍ من ليالي شهر رجب صلاةٌ خاصّة ذَكَرَها السّيّد ابن طاوس في (إقبال الأعمال).

خامساً: العُمرة والزِّيارة * من المُستحبّات المؤكَّدة في شهر رجب زيارة سيّد الشّهداء عليه السلام، وزيارة الإمام الرِّضا عليه السلام، ولها في هذا الشَّهر مزيّة. قال (صاحب الجواهر، الشّيخ محمّد حسن النّجفي): «يستحبُّ مؤكّداً خصوصاً في رجب زيارة الإمام الثّامن الرّضا أبي الحسن عليّ بن موسى عليهما السلام ... ومَن زاره عارفاً بحقّه غفرَ اللهُ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ... ويخلّصُه الرّضا عليه السلام من أهوالٍ ثلاث: إذا تطايرتِ الكتبُ يميناً وشمالاً، وعند الصّراط، وعند الحساب، ويشفع فيه يومَ القيامة ... وقال الإمام الكاظم عليه السلام:..**ألَا إنَّ أعلاهُم درجةً** [زوّار مشاهد الأئمّة عليهم السلام] **وأقربهُم حبْوَةً** [يوم القيامة] **زُوّارُ قبرِ ولدي عليّ**..».

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ [الإمام الجواد عليه السلام]: ..فَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ: هَذَا الَّذِي قَدْ حَجَّ حَجَّةَ الإِسْلَامِ يَرْجِعُ أَيْضاً فَيَحُجُّ، أَوْ يَخْرُجُ إِلَى خُرَاسَانَ إِلَى أَبِيكَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عليه السلام فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: **لَا بَلْ يَأْتِي خُرَاسَانَ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام أَفْضَلُ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ**..».

* ولِلعُمرة أيضاً في هذا الشَّهر فضل، ورُويَ: **أنَّها تاليةُ الحَجِّ في الثّواب**. [انظر: «حدود الله» من هذا العدد]

سادساً: الصَّدَقة عن أمير المؤمنين صلواتُ الله عليه: «..**ومَن تَصَدَّقَ بِصَدَقةٍ في رجب ابتِغاءَ وجهِ الله، أَكْرَمَهُ اللهُ يومَ القِيامةِ في الجَنَّة من الثَّوابِ ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر**».

وأمّا الأعمال الخاصّة المؤقّتة بوقتٍ محدَّدٍ من شهر رجب، فَهي كما يلي بحسب التَّرتيب الزَّمنيّ:

اللّيلةُ الأُولى

١ - الدُّعاء عند رؤية الهلال:

أ- رُويَ أنّ رسول الله ﷺ كان إذا رأى الهلال: **كبَّر ثلاث مرّاتٍ، وهَلَّلَ ثلاثاً (لا إلهَ إلّا اللهُ)**، ثمّ قال: «**الحمدُ للهِ الذي أَذهبَ شهر كذا** [ويذكر الشّهر الماضي] **وجاء بِشَهرِ كذا** [ويذكر الشّهر الّذي حلَّ]».

ب- **ومن المُستحبّات أن يقرأ عند رؤية الهلال فاتحة الكتاب سبع مرّات.**

ج- رُويَ عن رسول الله ﷺ أنّه كان يقول: «**أَللّهمَّ أَهِلَّه علينا بالأمْنِ والإيمانِ والسّلامةِ والإسلامِ، ربّي وربُّك الله عزَّ وجلَّ**». ونفهم من روايات أُخَر أنّ المخاطَب بالعبارة الأخيرة هو الهلال.

د- ورُويَ أنّه ﷺ كان إذا رَأى هلالَ شهرِ رجبٍ، قال: «**أَللّهُمَّ بارِك لنا في رَجَب وشعبان وبلِّغنا شهرَ رمضان، وأَعِنَّا على الصّيامِ والقيامِ، وحفظِ اللّسان، وغضِّ البَصَر، ولا تَجْعل حظَّنا منه** [من شهر رمضان] **الجُوع والعَطش**».

٢ - إحياؤها بالعبادة. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «..**ومن أحيا ليلةً من لَيالي رجب، أعتقَه اللهُ من النّار، وَقَبِلَ شفاعتَه في سبعينَ ألفَ رَجُلٍ من المُذنبين..**».

٣- الاغتسال: ومن المستحبّات في هذه اللّيلة الغُسل، فقد وَرَد عن النّبيّ ﷺ: «**مَن أَدْرَك شهر رجب فاغتَسَلَ في أوّله وأوسطه وآخره، خرج من ذنوبه كَيومِ وَلدتْهُ أمُّه**».

٤ - زيارة سيّد الشّهداء الإمام الحسين صلوات الله عليه.

٥- الصَّلاة في اللّيلة الأولى: هناك صلاتان لِأوّل ليلةٍ من رجب.

أ- **الصَّلاة الأولى:** عن النّبيّ ﷺ: «**مَن صلَّى المغرب أوّل ليلةٍ من رجب، ثمّ يُصلّي بعدها عشرين ركعة، يقرأُ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد) مرّة، ويُسلِّم بعد كلّ ركعتَين، حُفِظ والله في نفسِه وأهلِه ومالِه وولدِه، وأُجيرَ من عذابِ القبر، وجَازَ على الصِّراطِ كالبَرْق الخاطف من غيرِ حساب**».

ب- **صلاة أخرى:** عن النّبيّ ﷺ: «**مَن صلّى ركعتَين في أوّل ليلةٍ من رجب بعد العشاء، يقرأ في أوّل ركعة الحمد، و(ألم نشرح) مرّة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، وفي الرّكعة الثّانية الحمد مرّة، و(ألم نشرح) مرّة، والمعوِّذتين** [قل أعوذ بربِّ الفلق، وقل أعوذ بربِّ النّاس] **كلّ واحدة مرّة، ثمَّ يتشهّد ويُسلِّم، وبعدها يقول: «لا إله إلّا الله» ثلاثين مرّة، و«أللّهمَّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ» ثلاثين مرّة، فإذا صلّى هذه الصَّلاة فإنّه يُغفر له ما سَلَف من ذنوبه، ويَخرج من الخطايا كَيَومِ وَلَدَتْهُ أمُّه**».(وهناك صلوات أُخَر تجدها في كتاب الإقبال).

٦- عن الإمام الجواد عليه السلام: «**تدعو في أوّل ليلة من رجب بعد العشاء الآخرة بهذا الدّعاء: أللّهمّ إنّي أسألك بأنّك مليكٌ، وأنّك على كلِّ شيءٍ مُقتدِر، وأنّك ما تشاءُ من أمرٍ يكون، أللّهمَّ إنّي أتوجَّهُ إليك بنبيّكَ محمّدٍ نبيِّ الرَّحمة صلواتُك عليه وآله، يا محمّدُ يا رسولَ الله، إنّي أتوجَّهُ إلى الله ربّي وربِّك ليُنجِحَ بك طلِبَتي، أللّهمّ بِنبيِّك محمّدٍ، وبالأئمّةِ من أهلِ بيته أَنجِح طَلِبتي، ثمّ تَسأل حاجتك**».

* ومن أبرز أعمال اللّيلة الأولى، وكلّ ليلة من شهر رجب: **لا إله إلّا الله، ألف مرّة.**

اليوم الأوّل في مثل هذا اليوم من سنة ٥٧ للهجرة كان مولدُ الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في المدينة المنوّرة، وقيل إنّ مولده الشَّريف كان في الثّالث من صفر من السّنة نفسها. والدتُه هي السّيّدة فاطمة بنت الإمام الحسن صلوات الله عليه.

من أبرز أعمال هذا اليوم: ١ - الغُسل. ٢ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام. رُوي عن الإمام الصّادق عليه السلام: **مَن زار الحسين بن عليّ** عليهما السلام **في أوّل يومٍ من رجب، غَفَر اللهُ له البتّة**». [انظر: مفاتيح الجنان، باب الزّيارات، زيارته عليه السلام في الأوّل من رجب وفي النّصف منه ومن شعبان]

٣- الصَّوم: عن النّبيّ ﷺ: «**مَن صامَ أوّلَ يومٍ من رجب وَجَبَت له الجنّة**». وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَن صامَ ذلك اليوم** [أوّل يوم من رجب] **تباعدَت عنه النّارُ مسيرةَ سنة..**».

وفي (جواهر الكلام) أنّ «صَوْمَ رجب، كلّه أو بعضَه أوّلاً أو آخراً أو وَسَطاً (و) كذا (شعبان) بالضَّرورة من المذهب أو الدِّين..».

٤ - **الصّلاة: يُؤتى في هذا اليوم بِصلاتَين؛ كلتاهما تُعرفان بإسم «صلاة سلمان»:**

أ- انظر: «كتاباً موقوتاً» من هذا العدد تحت عنوان: «صلاة سلمان، رضي الله عنه، في أوّل رجب وأوسطه وآخره». قال المحدّث القمّيّ عن هذه الصّلاة إنّها ذات فوائد جمّة ولا ينبغي التّغاضي عنها.

ب- صلاة سلمان الثّانية: «قال سلمان: قال رسولُ الله ﷺ: **يا سلمان، ألَا أُعلِّمك شيئاً من غرائبِ الكنز**، قلت: بلى يا رسول الله، قال: **إذا كان أوّل يومٍ من رجب، تصلّي عشر ركعات** [كلّ ركعتَين بتسليمة] **تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، غَفَرَ اللهُ لك ذنوبَك كلَّها من اليوم الّذي جَرى عليك القلمُ إلى هذه اللّيلة، ووَقاك اللهُ فتنةَ القبر، وعذابَ يوم القيامة، وصَرفَ عنك الجُذامَ والمرضَ وذات الجَنب**».

٥- قراءة الدُّعاء الذي رواه السّيّد ابنُ طاووس في (الإقبال) وأوّله: «**أللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، أنتَ اللهُ القديمُ الأزليُّ الملكُ العظيمُ..**».

ليلة الرّغائب ليلةُ الرَّغائب هي أوّلُ ليلةِ جمعة من شهرِ رجب، عن رسول الله ﷺ: «**لا تَغفلوا عن أوّلِ ليلةِ جمعة منه** [شهر رجب]، **فإنّها ليلةٌ تُسمِّيها الملائكة ليلة الرَّغائب..**». [انظر: «يزكّيهم» من هذا العدد]

اللّيلة الثّالثة عشرة - اللّيالي البِيض

١ - **الصّلاة:** رُوي عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**أُعطِيت هذه الأمّة ثلاثةَ أشهرٍ لم يُعطَها أحدٌ من الأُمم: رجب، وشعبان، وشهر رمضان، وثلاثَ ليالٍ لم يُعطَ أحدٌ مثلها: ليلة ثلاث عشرة، وليلة أربع عشرة، وليلة خمس عشرة من كلّ شهرٍ، وأُعطيت هذه الأمّة ثلاث سُوَرٍ لم يُعطَها أحدٌ من الأُمم: (يس)، و(تبارك المُلك)، و(قل هو الله أحد)، فمَن جمع بين هذه الثّلاث، فقد جَمع بين أفضل ما أُعطيت هذه الأمّة.**

فقيل: كيف يَجمع بين هذه الثّلاث؟ فقال عليه السلام: **يُصلّي كلَّ ليلةٍ من ليالي البِيض من هذه الثّلاثة الأشهر، في اللّيلة الثّالثة عشرة ركعتَين، يقرأ في كلّ ركعةٍ فاتحة الكتاب، وهذه الثّلاث سُوَر، وفي اللّيلة الرابعة عشرة أربع ركعات، يقرأ في كلّ ركعةٍ فاتحة الكتاب، وهذه الثّلاث سُوَر، وفي اللّيلة الخامسة عشرة ستّ ركعات، يقرأ في كلّ ركعةٍ فاتحة الكتاب، وهذه الثّلاث سُوَر، فيَحُوز فضل هذه الأشهر الثّلاثة، ويُغفَرُ له كلُّ ذنبٍ سوى الشِّرك**».

٢ - **الصَّوْم:** عن النّبيّ ﷺ أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «**مَن صامَ الأيّامَ البِيض؛ الثّالث عشر والرّابع عشر والخامس عشر، كَتب اللهُ له بِصَوْم أوّل يومٍ صَوْمَ عشرة آلاف سنة، وبثاني يومٍ صَوْمَ ثلاثين ألف سنة، وبثالثِ يومٍ صَوْمَ مائة ألف سنة**، ثمّ قال: **هذا لك ولِمَن عمل ذلك**».

اليوم الثّالث عشر هو أوّلُ الأيّام البِيض، وقد وَرَد للصِّيام في هذا اليوم واليومَين بعدَهُ أجرٌ جزيل، ومَن أرادَ أنْ يدعو بـ «دعاء أمّ داود» الآتي ذِكرُه فليَبدأ بصيام هذا اليوم. وكان في هذا اليوم على المشهور ولادةُ أمير المؤمنين، صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه، في الكعبة بعدَ ثلاثين سنةٍ من عام الفيل.

ليلة النّصف من رجب * **فضيلة ليلة النّصف من رجب:** عن رسول الله ﷺ: «**إذا كان ليلة النّصف من رجب، أمرَ اللهُ خازنَ ديوانِ الخلائق وكَتَبَة أعمالِهم، فيقولُ لهم اللهُ عزَّ وجلَّ: انظُروا في ديوانِ عبادي، وكلَّ سيّئةٍ وجدتُموها فامْحوها وبدِّلوها حسنات**».

* **من مستحبّات هذه اللّيلة:**

١ - **الغُسل.** ٢ - **إحياؤها بالعبادة حتّى الصّباح.** ٣- **زيارة الإمام الحسين عليه السلام.**

٤ - **صلاة اللّيلة الخامسة عشرة:** عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**تُصلّي ليلة النّصف من رجب اثنتَي عشرة ركعة، تقرأ في كلّ ركعةٍ الحمد مرّة وسورة، فإذا فرغْتَ من الصّلاة قرأْتَ بعد ذلك الحمد، والمعوّذتين، وسورة الإخلاص** [قل هو الله أحد]، **وآية الكرسيّ أربع مرّات** (سيأتي غير ذلك من رواية أخرى، فلاحظ).

وتقول بعد ذلك: سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر، أربع مرّات.

ثمّ تقول: اللهُ اللهُ ربّي لا أُشرِكُ به شيئاً، وما شاءَ اللهُ، لا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيم. وتقول في ليلة سبع وعشرين مثله».

وفي روايةٍ أخرى: «**تقرأ بعد الاثنتي عشرة ركعة الحمد، والمعوّذتين، وسورة الإخلاص، وسورة الجُحد** [قل يا أيها الكافرون] **سبعاً سبعاً. وبعد ذلك تقول: الحمدُ للهِ الذي لم يتَّخِذ ولداً، ولم يَكنْ له شريكٌ في المُلك، ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ، وكبِّره تكبيراً.**

ثمّ تقول بعد ذلك: اللّهمَّ إنّي أَسألُك بِعَقْدِ عزّك على أركانِ عرشِكَ، ومُنتهى رحمتِكَ مِن كتابِكَ، واسمِك الأعظمِ الأعظمِ الأعظمِ، وذكرِكَ الأعلى الأعلى الأعلى، وكلماتِكَ التّامات كلِّها، أن تُصلّيَ على محمّدٍ وآلِه، وأسألُك ما كان أوْفى بِعهدِك، وأقْضى لِحقِّك، وأرْضى لِنفسك، وخيراً لي في المَعاد عندك والمَعاد إليك، أنْ تعطيَني السّاعةَ السّاعةَ كذا وكذا. وتدعو بعد ذلك بما أَحبَبْت».

وقد أتى على ذكرِ هذه الصّلاة كلٌّ من العلّامة الحلّيّ في (قواعد الأحكام)، والشّيخ كاشف الغطاء و(صاحب الجواهر)، وفيها أنّ السورة التي تُقرَأ بعد الفاتحة هي سورة (يس)، «ولا يبعدُ الاكتفاء بأيّ سورة»، كما في الأخير.

٥- الصّلاة ثلاثون ركعة؛ يقرأ في كلِّ ركعة الفاتحة مرّة والتّوحيد عشر مرّات. وقد روى السّيّد في (الإقبال) هذه الصّلاة عن النّبيّ ﷺ وروى لها فضلاً كَثِيراً.

٦- الصّلاة -ستّ ركعات- الّتي مرَّت عند ذكرِ اللّيلة الثّالثة عشرة.

يومُ النّصف من رجب وهو يومٌ مباركٌ، وفيه -مضافاً إلى الغُسل وزيارة سيّد الشُّهداء عليه السلام- عدّة أعمال:

١- الصّوم: قال المحقّق البحرانيّ في (الحدائق النّاضرة): «ومنها [الصّوم المندوب] صومُ يوم النّصف من رجب أيضاً. ويدلُّ عليه ما رواه الشّيخ الطّوسيّ في (المصباح) عن الرَّيّان بن الصَّلت، قال: صام أبو جعفر الثّاني عليه السلام [الإمام الجواد] لَمّا كان ببغداد، صامَ يوم النّصف من رجب ويوم السّابع والعشرين منه، وصامَ معهُ جميعُ حَشْمه..».

٢- صَلاتان:

أ- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**دَخَل عديّ بن ثابت الأنصاريّ على أمير المؤمنين عليه السلام في يوم النِّصف من رجبٍ وهو يصلّي، فلمّا سمعَ حسَّه أوْمى بيده إلى خلفِه أن قِفْ.**

قال عديّ: فوقفْتُ، فصلّى أربع ركعات لم أرَ أحداً صلّاها قبلَه ولا بعده، فلمّا سَلَّم بَسَطَ يَدَه، وقال:

اللّهُمَّ يا مُذِلَّ كُلِّ جَبّارٍ وَيا مُعِزَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ كَهْفِي حِينَ تُعْيِيني الْمَذاهِبُ، وَأَنْتَ بارِئُ خَلْقِي رَحْمَةً بِي، وَقَدْ كُنْتَ عَنْ خَلْقِي غَنِيّاً، وَلَوْلا رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الهالِكِينَ، وَأَنْتَ مُؤَيِّدِي بِالنَّصْرِ عَلى أَعْدائِي، وَلَوْلا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ، يا مُرْسِلَ الرَّحْمَةِ مِنْ مَعادِنِها، وَمُنْشِئَ البَرَكَةِ مِنْ مَوَاضِعِها، يا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِالشّمُوخِ وَالرِّفْعَةِ، فَأَوْلِياؤُهُ بِعِزِّهِ يَتَعَزَّزُونَ، وَيا مَنْ وَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةِ عَلى أَعْناقِهِمْ، فَهُمْ مِنْ سَطَواتِهِ خائِفُونَ، أَسْأَلُكَ بِكَيْنُونِيَّتِكَ الَّتِي اشْتَقَقْتَها مِنْ كِبْرِيائِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِكِبْرِيائِكَ الَّتِي اشْتَقَقْتَها مِنْ عِزَّتِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ الَّتِي اسْتَوَيْتَ بِها عَلى عَرْشِكَ، فَخَلَقْتَ بِها جَمِيعَ خَلْقِكَ فَهُمْ لَكَ مُذْعِنُونَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

قال: ثمّ تكلّم بشيءٍ خَفِيَ عنّي، ثمّ التَفتَ إليّ، فقال: يا عديّ أَسمِعت؟ قلت: نعم، قال: أَحفظت؟ قلت: نعم، قال: ويحَك احفَظْهُ واعرِبْهُ، فَوَالّذي فلقَ الحبّة، ونصبَ الكعبة، وبرَأَ النّسَمَة، ما هو عند أحدٍ من أهل الأرض، ولا دعا به مكروبٌ إلّا نفّسَ اللهُ كُربتَه».

ب- صلاة عشر ركعات من «صلاة سلمان الفارسيّ» الّتي تقدَّم ذكرُها في اليوم الأوّل، وتجدها في باب «كتاباً موقوتا» من هذا العدد.

٣- عمل «أمّ داود»، وَصِفَته هكذا:

عمل «أمّ داود»، ودعاء الاستفتاح هو أهمُّ أعمال هذا اليوم، ومن آثارِهِ قضاءُ الحوائج وكَشْفُ الكروبِ ودَفْعُ ظُلم الظَّالمين.

ذَكَرَهُ الفقهاء في مجاميعِهم، كما في (صراط النّجاة) للشّيخ الأنصاريّ، و(كشف الغطاء) للشّيخ كاشف الغطاء وغيرهما، ومن المتأخّرين ذَكَرَهُ السّيّد محسن الأمين في (أعيان الشّيعة) عند ترجمته لـ«أمّ داود» وابنها «داود بن الحسن بن الحسن المثنّى»، مشيراً إلى أنّه جدّ السّادة بني طاوس الحسنيّين، ومنهم السّيّد ابن طاوس، (صاحب الإقبال).

قال السّيّد الأمين مُتحدّثاً عن حبيبة البربريّة المُكنّاة بـ«أمّ داود»: «..وأقوى دليلٍ على صلاحِها، ائتمانُ الصّادق عليه السلام لها على الدُّعاء الّذي في العمل المذكور..».

وخبرُ هذا العمل، أنّ داود الحسنيّ كان محبوساً عند المنصور الدّوانيقيّ، فطالت غيبتُه وانقَطَع خبرُه، فَشَكَت أمُّه ذلك إلى الإمام

الصّادق عليه السلام، فقال لها صلوات الله عليه: «**وأينَ أنتِ عن دعاء الاستفتاح، وهو الدُّعاء الذي تُفتَح له أبواب السّماء ويَلقى صاحبُه الإجابةَ من ساعتِه، وليس لِصاحبِه عند الله تعالى جزاءٌ إلّا الجنّة**». قالت أمّ داود: كيف ذلك يا ابنَ الصّادقين؟

قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**يا أمَّ داود، قد دنا الشّهرُ الحرامُ العظيمُ شهرُ رجب، وهو شهرٌ مسموعٌ فيه الدّعاء، شهرُ اللهِ الأصمّ، فصُومي الثّلاثةَ، الأيّامَ البِيض، وهو يوم الثّالث عشر والرّابع عشر، والخامس عشر، واغتسلي في يوم الخامس عشر وقتَ الزّوال، وصلّي الزّوال ثماني ركعات** [نافلة الظّهر]. وفي إحدى الرّوايات: **تُحسِني قنوتَهنّ وركوعَهُنّ وسجودَهنّ.**

ثمّ صلّي الظّهر، وتركعين بعد الظّهر، وتقولين بعد الرّكعتَين: يا قاضيَ حوائجِ السّائلين، مائة مرّة، ثمّ تُصلّين بعد ذلك ثماني ركعات.

وفي رواية أخرى: **تقرئين في كلّ ركعة**، يعني من نوافل العصر، **بعد الفاتحة ثلاث مرّات قل هو الله أحد، وسورة الكوثر مرّة.**

ثمَّ صلّي العصر. وَلْتَكُن صلاتُك في ثوبٍ نظيفٍ، واجتهدي أن لا يدخلَ عليك أحدٌ يُكلّمك.

وفي رواية: **وإذا فرغتَ من العصر فالبِسي أطهرَ ثيابك، واجلسي في بيتٍ نظيفٍ على حصيرٍ نظيف، واجتهدي أن لا يَدخل عليكِ أحدٌ يَشغلك. ثمّ استقبلي القبلة واقرئي الحمد مائة مرّة، و(قل هو الله أحد) مائة مرّة، وآية الكرسيّ عشر مرّات، ثمّ اقرئي سورة الأنعام وبني إسرائيل** (الإسراء)، **وسورة الكهف ولقمان ويس والصّافات، وحم السّجدة وحم عسق** (الشُّورى) **وحم الدّخان، والفتح والواقعة وسورة المُلك و(ن) والقلم، و(إذا السّماء انشقّت) وما بعدها إلى آخر القرآن، وإن لم تُحسني ذلك ولم تُحسني قراءتَه من المصحف، كرّرتِ (قل هو الله أحد) ألفَ مرة. فإذا فرغتِ من ذلك وأنت مستقبلة القبلة، فقولي:**

بسم اللهِ الرّحمن الرّحيم، صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرام، الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ الَّذِي لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ البَصِيرُ الخَبِيرُ..»، إلى آخر الدُّعاء وهو طويل، وتَجده في (مفاتيح الجنان)، وغيره من كُتُب الأدعية.

تتابع الرّواية كلامَ الإمام الصادق عليه السلام، حول ما يُعمَل بعد الدّعاء:

«**ثمّ اسجدي على الأرض وعفِّري خدَّيكِ، وقولي: أللّهمَّ لك سجدتُ وبك آمنتُ، فارحم ذُلّي وفاقتي واجتهادي وتضرُّعي ومَسْكَنتي وفقري إليك يا ربّ. واجتهدي أن تسحَّ عيناكِ ولو بقدر رأسِ الذّبابة دموعاً، فإنّ ذلك علامة الإجابة**».

ولا يَنحصر وقتُ عمل الاستفتاح بمنتصف رجب، وإن كان ذلك موسمُه الأساس، الّذي وَرَد فيه.

تقول أمّ داود: سألتُ الإمام الصادق عليه السلام: يا سيّدي، أيُدعى بهذا الدّعاء في غير رجب؟ قال: «**نعم، يوم عرفة، وإنْ وافقَ ذلك يومَ الجمعة لم يفرغ صاحبُه منه حتّى يَغفر اللهُ له، وفي كلّ شهرٍ إذا أراد ذلك صام الأيّام البيض، ودعا به في آخرها كما وَصَفْتُ**».

وفي روايةٍ أخرى أنّه عليه السلام قال: «**نعم في يوم عرفة، وفي كلّ يومٍ دعا، فإنّ الله يُجيب إن شاء الله تعالى**».

ملاحظة: قال السّيّد ابن طاوس: «قال شيخُنا المفيد: إذا لم تُحسن قراءة السُّوَر المخصوصة في يوم النّصف من رجب، أو لم تُطق قراءة ذلك، فَلْتقرأ الحمد مائة مرّة، وآية الكرسيّ عشر مرّات، ثمّ تقرأ الإخلاص ألف مرّة».

أضاف السّيّد: «وأقول: ورأيتُ في بعض الرّوايات، ويحتمل أن يكون ذلك لأهل الضّرورات أو مَن يكون على حالِ سفرٍ أو في شيءٍ من المهمّات، فيُجزيه قراءة قل هو الله أحد، مائة مرّة».

اللّيلة السّابعة والعشرون - ليلة المبعث

١ - الصّلاة المرويّة عن الإمام الجواد، قال عليه السلام: «**في رجب ليلةٌ هي خيرٌ للنّاس ممّا طَلَعَت عليه الشّمس، وهي ليلةُ سبع وعشرين منه، بُعث النّبيّ في صبيحتِها، وإنّ للعاملِ فيها -أصلَحَك الله- من شيعتِنا مثل أجر عمل ستّين سنة.**

قِيل: وما العمل فيها؟ قال: **إذ صلّيتَ العشاء الآخرة، وأخذْتَ مضجعك، ثمّ استيقَظْتَ أيّ ساعةٍ من ساعات اللّيل كانت قبلَ زوالِه أو بعدَه، صلّيتَ اثنتَي عشرة ركعة، باثنتَي عشرة سورةً من خفاف المفصّل من بعد (يس) إلى (الجُحد** [قل يا أيّها الكافرون])، **فإذا فرغْتَ من كلّ شفعٍ جلسْتَ بعد التّسليم، وقرأْتَ الحمد سبعاً، والمعوّذتين سبعاً، و(قل هو الله أحد) سبعاً، و(قل يا أيّها الكافرون) سبعاً، و(إنّا أنزلناه) سبعاً، وآية الكرسيّ سبعاً، وقلتَ بعد ذلك من الدُّعاء:**

الحمدُ للهِ الذي لَم يَتّخِذ صاحِبةً ولا وَلَداً، ولم يكن له شريكٌ في المُلك، ولم يكن له وليٌّ من الذُّلّ وكبِّره تكبيراً. أللّهمّ إنّي أسألُك بمعاقِد

عزّكَ على أركانِ عرشِك، ومُنتَهى الرّحمة من كتابِك، وباسمِك الأعظَمِ الأعظَمِ الأعظَمِ، وذِكرِكَ الأعلى الأعلى الأعلى، وبكلماتك التّامّات، أن تصلّيَ على محمّدٍ وآله، وأن تفعل بي ما أنت أهلُه. وادعُ بما أحببت، فإنّك لا تدعو بشيءٍ إلّا أُجبت، ما لم تدعُ بمأثَم، أو قَطيعةِ رحِم، أو هلاكِ قومٍ مؤمنين..».

٢- يُستحبُّ الغسل في هذه اللّيلة أيضاً، وقد مرّت عند ذكر ليلة النّصف من رجب صلاة من اثنتَي عشرة ركعة، تُصلّى أيضاً في هذه اللّيلة.

٣- زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: وهي أفضلُ أعمال هذه اللّيلة، وله عليه السلام فيها زياراتٌ ثلاث:

الأولى: الزّيارة الرّجبيّة، وأوّلها: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَشْهَدَنا مَشْهَدَ أَوْلِيائِهِ..**». [انظر: «لولا دعاؤكم» من هذا العدد]

الثّانية: زيارة: «**السَّلامُ عَلى أَبِي الأَئِمَّةِ وَمَعْدِنِ النُّبُوَّةِ..**». **الثّالثة**: الزّيارة التي أوْرَدَها الشّيخ المفيد، والسّيّد ابن طاوس والشّهيد الأوّل، بكيفيّةٍ خاصّة [انظر: مفاتيح الجنان، زيارة ليلة المبعث ويومه، تحت عنوان زيارات الأمير عليه السلام المخصوصة]

٤- قراءة الدُّعاء الذي رواه السّيّد في (الإقبال) والشّيخ الكفعميّ في (البلد الأمين)، وأوّله:

«**أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالتَّجَلِّي الأَعْظَمِ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الشَّهْرِ المُعَظَّمِ وَالمُرْسَلِ المُكَرَّمِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنا ما أَنْتَ بِهِ مِنَّا أَعْلَمُ يا مَنْ يَعْلَمُ وَلا نَعْلَمُ ..**»، ويُقرأ هذا الدّعاء في يوم المبعث الشّريف أيضاً.

اليوم السّابع والعشرون - يوم المبعث اليوم السّابع والعشرون عيدٌ من الأعياد العظيمة، وفيه كانت بعثةُ النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وهبوط جبرئيل عليه صلى الله عليه وآله بالرّسالة، ومن الأعمال الواردة فيه:

١- الغُسل. ٢- الصّيام، وهذا اليوم أحدُ الأيّام الأربعة الّتي خُصّت بالصّيام من بين أيّام السّنة، ويعدلُ صومُه صيامَ سبعين سنة.

٣- الإكثار من الصّلاة على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ. ٤- زيارة النّبيّ وزيارة أمير المؤمنين عليهما وآلهما السّلام.

٥- الصّلاة المرويّة في (الكافي) عن الإمام الصّادق عليه السلام، حيث قال: «**يَوْمُ سَبْعَةٍ وعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ نُبِّئَ فِيه رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، مَنْ صَلَّى فِيه أَيَّ وَقْتٍ شَاءَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وسُورَةٍ مَا تَيَسَّرَ، فَإِذَا فَرَغَ وسَلَّمَ جَلَسَ مَكَانَه ثُمَّ قَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، والْمُعَوِّذَاتِ الثَّلَاثَ** [المعوّذتَين والتّوحيد] **كُلَّ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا فَرَغَ وهُوَ فِي مَكَانِه قَالَ:**

لَا إِلَه إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، والْحَمْدُ للهِ وسُبْحَانَ الله، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، (أَرْبَعَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِه شَيْئاً، (أَرْبَعَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ يَدْعُو، فَلَا يَدْعُو بِشَيْءٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَه فِي كُلِّ حَاجَةٍ، إِلَّا أَنْ يَدْعُوَ فِي جَائِحَةِ [الجَوح: الهلاك والاستئصال] **قَوْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِم**».

وفي روايةٍ أخرى أنّ الإمام الجواد عليه السلام، صامَ يوم المَبعث وصامَ معه حَشْمُه، ثمّ أمَرَهُم بأداء هذه الصّلاة.

٦- صلاة اثنتَي عشرة ركعة قبل الزّوال، تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وما تيسّر من السُّوَر، وتقول بين كلّ ركعتين:

«**الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً. يا عُدَّتِي فِي مُدَّتِي، يا صاحِبِي فِي شِدَّتِي، يا وَلِيِّي فِي نِعْمَتِي، يا غِياثِي فِي رَغْبَتِي، يا نَجاحِي فِي حاجَتِي، يا حافِظِي فِي غَيْبَتِي، يا كافِئِي** (كالئي) **فِي وَحْدَتِي، يا أُنْسِي فِي وَحْشَتِي، أَنْتَ السَّاتِرُ عَوْرَتِي فَلَكَ الحَمْدُ، وَأَنْتَ المُقِيلُ عَثْرَتِي فَلَكَ الحَمْدُ، وَأَنْتَ المُنْعِشُ صَرْعَتِي فَلَكَ الحَمْدُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَتِي، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَاصْفَحْ عَنْ جُرْمِي، وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِّئاتِي فِي أَصْحابِ الجَنَّةِ، وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ**».

فإذا فَرغتَ من الصّلاة والدّعاء قرأتَ الحمد، و(قل هو الله أحد)، و(قل يا أيّها الكافرون)، والمعوّذتين، و(إنّا أنزلناه في ليلة القدر)، وآية الكرسيّ، سبعاً سبعاً، ثمّ تقول: «**لا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبرُ، وسبحانَ اللهِ ولا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله**» سبع مرّات، وتقول: «**اللهُ اللهُ ربّي لا أُشركُ به شيئاً**» سبع مرّات، ثمّ ادعُ بما أحبَبْتَ.

٧- قراءة الدُّعاء الذي أوّله: «**يا مَنْ أَمَرَ بِالعَفْوِ وَالتَّجاوُزِ، وَضَمَّنَ نَفْسَهُ العَفْوَ وَالتَّجاوُزَ، يا مَنْ عَفا وَتَجاوَزَ، اعْفُ عَنِّي وَتَجاوَزْ يا كَرِيمُ..**»، وهو دعاء الإمام الكاظم صلوات الله عليه، دَعا به يومَ انطَلَق به جلاوزةُ العباسيّين من المدينة المنوّرة إلى بغداد، وهو أيضاً من مَذْخور أدعية شهر رجب، كما يؤكّد المحدّث القمّيّ في (مفاتيح الجنان).

اليوم الأخير من الشّهر وَرَد فيه الغُسل، وصيامُه يوجبُ غفرانَ الذُّنوب، ما تقدّمَ منها وما تأخّر، كما في الرّواية عن الإمام الرّضا عليه السلام، ويصلّي فيه الرّكعات العشر الأخيرة من صلاة سلمان الّتي مرّت في اليوم الأوّل.

الإحسان وسلامةُ الاجتماع
الإنفاق المعنويّ أساسُ كلِّ إحسان

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي قدس سره

هذا النّصّ نموذجٌ من أبحاث تفسير القرآن بالقرآن، وفقَ منهج العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله، في كتابه النّوعيّ «الميزان في تفسير القرآن»، حيث يُبيّنُ مرادَ الآيات من خلال السّياق الذي وردتْ فيه، ومثيلاتِها في ثنايا الكتاب المجيد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٠-١٣٨.

هذه الآيات التِّسع -خاصّة- فيها ترغيبٌ وتحذيرٌ؛ فهي تُرَغِّبُ المؤمنين للمسارعة إلى الخير، من خلال:

١- الإنفاق في سبيل الله في السَّرّاء والضَّرّاء.

٢- كَظْم الغَيْظ.

٣- العفو عن النَّاس.

وهذه الثّلاثة، يَجمَعُها بثُّ الإحسانِ والخيرِ في المجتمع، والصَّبر على الأذى والسُّوء، والصَّفحُ عن الإساءة، فهذه هي الطَّريقة الوحيدة الّتي تُستحفَظُ بها حياة المجتمع ويُشَدُّ بها عَظْمُه، فيقوم على ساقٍ.

ومن لوازم هذا الإنفاق والإحسان تَرْكُ الرِّبا، ولذلك بَدَأ به، وهو كَالتَّوْطِئة للدَّعوة إلى الإحسان والإنفاق؛ فمعلومٌ أنَّ الإنفاق -بجميعِ طُرُقِه- مِن أعظم ما تَعتمدُ عليه بُنْيَةُ المجتمع الإنسانيّ، وهو الَّذي يَنفخُ روحَ الوحدة فيه، فَتَتَّحِد به قواهُ المُتفرِّقة، فتُنالُ بذلك سعادتُه في الحياة، ويَقْوَى به على دفعِ كلِّ آفَةٍ مُهلكةٍ أو مؤذيةٍ تَتهدّده.

ومعلومٌ أيضاً أنَّ الرِّبا مِن أعظم ما يُضادُّ الإنفاق في خاصَّته هذه. فهذا ما يُرَغِّبُهم اللهُ تعالى فيه، ثمَّ يُرَغِّبُهم في أنْ لا يَنقطعوا عن ربِّهم بِقَواطعِ الذُّنوب والمعاصي، فإنْ أَتوا بما لا يَرضاهُ لهم ربُّهم تداركُوه بالتَّوبة والرُّجوع إليه ثانياً وثالثاً، من غير أن يَكسلوا أو يَتوانَوْا.

وبهذَين الأمرَين يَستقيمُ سَيْرُهم في صِراطِ الحياة السَّعيدة فلا يَضلُّون ولا يقفون فيَهلكوا. وهذا البيان، كما ترى، أحسنُ طريقٍ يُهدَى به الإنسانُ إلى تكميلِ نفسه بعد ظهورِ النَّقص، وأَجودُ سبيلٍ في علاج الرَّذائل النّفسانيّة الّتي ربّما دبَّت في النُّفوس المحلَّاة بالفضائل، فأَوْرَثَت السّفالَ والسّقوطَ، وهدَّدت بالهَلَكَةِ والرَّدى.

التّعليمُ الإلهيّ

من دَأْبِ القرآنِ الكريم في تعليمِهِ الإلهيّ، قرانُ العلمِ بالعمل، إذ لَمْ يَزَلْ يجعل في مدَّةِ نزوله -وهي ثلاث وعشرون سنة- لِكُلِّيّات تعاليمِه موادّ أوَّليّة، حتّى إذا عُمل بشيءٍ منها أخذَ صورة العمل الواقع مادَّةً لتعليمِهم ثانياً، فألقاها إليهم بعد إصلاح الفاسدِ من أجزائه، وتركيبه بالصَّحيح الباقي، وذمِّ الفاسِد، والثَّناء على الصَّحيح المستقيم، والوعد الجميل والشُّكر الجزيل لِفاعِلِه.

فكتابُ اللهِ العزيز كتابُ علمٍ وعملٍ، لا كتابُ فرضٍ وتقديرٍ، ولا كتابُ تعْمِيَةٍ وتقليدٍ. ومَثَله مَثَل المعلِّم يُلقي إلى تلامذته الكلِّيّات العلميّة في أَوْجَزِ بيانٍ وأقصرِ لفظٍ، ويأمُرُهم بالعمل بها، ثمَّ يَأخذ ما عملوه ثانياً، ويُحلِّلُه إلى أوائل أجزائه من صحيحٍ وفاسدٍ، فيُبَيِّن لهم مواردَ النَّقصِ والقُصورِ مُشَفِّعَةً بالعِظَةِ والوَعيدِ،

ويَمدحُ موارِدَ الاستقامةِ والصِّحَّة ويُقارنُها بالوَعدِ والشُّكرِ، ويَأمُرهم بالعملِ ثانياً، وهذا فِعالُهُ حتَّى يكمُلوا في فنِّهم ويَسعدوا في جِدِّهم.

وهذا الَّذي ذكرناه، من الحقائق القرآنيّة اللَّائحة للمُتدبِّر الدَّقيق، فتَراهُ سبحانَهُ -مثلاً- يُنزل كلِّيات الجهاد في آياته بادئ الأمر: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ..﴾ البقرة:٢١٦، ويَأمرُ المؤمنين به فيها، ثمَّ يأخذ قصَّة بَدْرٍ ثانياً ويَأمرهُم بما يُبَيِّن لهم فيها، ثمَّ قصَّةَ أُحُد، ثمَّ قصَّةً أخرى وهكذا. وتراهُ سبحانَه يقصُّ قَصَص السَّابقين من الأنبياء وأُمَمِهم، ثمَّ يجعلُها بعد إصلاحِها وبيانِ وجهِ الحقِّ فيها، عبرةً للَّاحقين ودستوراً لِعملِهم.

مع الآيات

* قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ..﴾ آل عمران:١٣٠: المُرادُ بالأكل هَهنا مطلَق التّصرّف في الأموال.

* قوله تعالى: ﴿..أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ..﴾ آل عمران:١٣٠: يُشيرُ إلى الوَصْفِ الغالبِ في الرِّبا، فإنَّه بِحَسَبِ الطَّبع يَتضاعفُ فيَصير المالُ أضعافاً مضاعفةً بإنفادِ مالِ الغيرِ وضمِّه إلى رأسِ المالِ الرِّبويّ.

* قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ آل عمران:١٣١: إشارةٌ إلى كُفْرِ آكِلِ الرِّبا.

* قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ..﴾ آل عمران:١٣٣: المُسارعةُ هي الاشتداد في السُّرعةِ، وهي مَمْدوحةٌ في الخيراتِ ومذمومةٌ في الشُّرور. وقد قُرِنَتِ -في القرآن الكريم- المغفرة بالجنَّة في غالبِ الموارِدِ، وليس ذلك إلَّا لأنَّ الجنَّةَ دارُ طهارةٍ لا تدخلُها قذاراتُ المعاصي والذُّنوبِ وأدرانُها، ولا مَن تَقَذَّرَ بها إلَّا بعد المغفرة والإزالة.

والمغفرةُ والجنَّةُ المذكورتان في هذه الآية تُحاذيان ما في الآيتَين التَّاليتَين؛ أمَّا المغفرةُ فتُحاذي ما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ..﴾ آل عمران:١٣٥، وأمَّا الجنَّة فتُحاذي ما في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..﴾ آل عمران:١٣٤.

* قولُه تعالى: ﴿..وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ..﴾ آل عمران:١٣٣: فالمُرادُ بالعَرْضِ السِّعة، وهو استعمالٌ شائعٌ، وكأنَّ التَّعبيرَ كنايةٌ عن بلوغِها في السِّعة غايتَها، أو ما لا يَحدُّه الوَهْمُ البشريّ.

* قوله تعالى: ﴿..أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران:١٣٣: كالتَّوطِئة لِذِكر ما يذكرُه بعدُ من أوصاف المُتَّقين؛ فإنَّ الغَرَضَ هو بيانُ الأوصاف الَّتي تَرتبطُ بِحالِ المؤمنين في المَقام، أعني عند نزولِ هذه الآيات وقد نَزَلت بعد غَزْوَةِ أُحُد، وقد جرى عليهم ومنهم ما جرى من الضَّعف والوَهْنِ والمخالفةِ، وهم مع ذلك مُشرفون على غَزَواتٍ أُخَر مثلِها، وحوادث تُشابهُها، وبهم حاجة إلى الاتِّحاد والاتِّفاق والتَّلاؤم.

* قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..﴾ آل عمران:١٣٤: إلى آخر الآية: السَّرَّاء والضَّرَّاء ما يسرُّ الإنسان وما يَسوؤه، أو اليُسر والعُسر. والكَظْمُ في الأصل هو شدُّ رأسِ القِرْبَة بعد مَلْئِها، فاستُعيرَ للإنسان إذا امْتَلأَ حُزناً أو غَضَباً، والغيظُ هَيَجانُ الطَّبْعِ للانتقامِ بمشاهدةِ كَثرة ما لا يَرتَضيه، بِخِلافِ الغَضب فهو إرادةُ الانتقامِ أو المُجازاة، ولذلك يُقال: غَضِبَ اللهُ ولا يُقال اغْتَاظ.

* قولُه تعالى: ﴿..وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران:١٣٤: إشارة إلى أنَّ ما ذَكَرَه من الأوصافِ مُعرِّفٌ لهم، وإنَّما هو معرِّفٌ للمُحسنين في جنبِ النَّاس بالإحسانِ إليهم، وأمَّا في جنبِ الله فمُعرِّفهم ما في قوله تعالى: ﴿..وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأحقاف:١٢-١٣.

بل هذا الإحسانُ المذكور في هذه الآيات هو المَحْتِد [الأصل] للمذكور في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..﴾ آل عمران:١٣٤، فإنَّ الإنفاقَ ونحوَهُ إذا لم يَكُن لِوجه الله لم يَكُن له منزلةٌ عند الله سبحانَه.

ويدلّ على ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت:٦٩، فإنَّ هذا الجهاد هو بَذْلُ الجهد، ولا يكون إلَّا في ما يُخالف هوى النّفس ومُقتَضى الطَّبع، ولا يكون إلَّا إذا كان عندَهم إيمانٌ بأمورٍ يقتضي الجَرْيُ على مُقتضاها والثَّباتُ عليها مقاومةً بإزاء ما يحبُّه طبعُ الإنسانِ وتَشتهيه نفسُه. ولازمُه بِحَسب القَوْل والاعتقاد أن يكونوا قائلين: (ربُّنا الله) وهم مستقيمون عليه، وبِحَسب العمل أن يُقيموا هذا القَوْل بالجهاد في عبادة الله في ما بينهم وبينَ الله، وبالإنفاقِ وحُسنِ العشرةِ في ما بينهم وبين النَّاس. فتحصّل ممَّا ذكرنا: **أنَّ الإحسان إتيانُ الأعمال على وجهِ الحُسْن من جهة الاستقامة، والثَّبات على الإيمانِ بالله سبحانه.**

ألفاظُ القرآن الكريم
وجوهُ المعاني، وأنواعُها

الشّيخ المفيد قدس سره

مختصَر من تمهيدٍ ذكرَه الشّيخ المفيد في مطلع كتابه «التّذكرة بأصول الفقه» في سياق بيانه لأصول الأحكام الشّرعية، حيث قال: «اعلم أنّ أصولَ الأحكام الشّرعيّة ثلاثة أشياء: كتاب الله سبحانه، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأقوال الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام..»، ثمّ شرعَ في بيانِ وجوهِ معاني ألفاظ القرآن الكريم، وأنواعها.

معاني القرآن الكريم على ضربَين: ظاهرٍ وباطِن.

* **الظّاهر**: هو المُطابِق لِخاصّ العبارة عنه، تحقيقاً على عادات أهل اللّسان، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ يونس:٤٤. فالعُقلاءُ العارفون باللّسان، يَفهمون من ظاهر هذا اللّفظ المُرادَ [منه].

* **الباطِن**: هو ما خَرَج عن خاصّ العبارة وحقيقتِها إلى وُجوهِ الاتّساع، فيَحتاجُ العاقلُ في معرفة المُراد من ذلك إلى الأدلّة الزّائدة على ظاهرِ الألفاظ، كَقولِهِ سُبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ..﴾ البقرة:٤٣. فالصّلاة في ظاهر اللّفظ، هي الدُّعاءُ حَسَب المعهود بين أهل اللُّغة، وهي في الحقيقة لا يَصحّ منها «القيام». والزّكاةُ هي النّموّ عندَهم بلا خلاف، ولا يصحّ أيضاً فيها «الإتيان».

وليسَ المُراد في الآية ظاهرُها، وإنّما هو [المراد] أمرٌ «مشروع»، فالصّلاةُ المأمورُ بها فيها، هي أفعالٌ مخصوصةٌ مشتملةٌ على قيامٍ، ورُكوعٍ، وسُجودٍ، وجلوس. والزّكاة المأمور بها فيها، هي إخراجُ مقدارٍ من المال على وجهٍ أيضاً مخصوص، وليس يُفهَم هذا من ظاهرِ القَولِ، فهو الباطنُ المَقصود.

أنواع معاني القرآن

وأنواعُ أُصول معاني القرآن أربعة:

أَحَدها: الأمرُ، وما استُعيرَ له لفظُه. وإذا وَرَد الأمرُ مقيّداً بصفةٍ يخصُّ بها بعضَ المكلَّفين، فهو مقصورٌ على ذي الصّفة، غير متعدِّية إلى غيره إلّا بدليل، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ المدّثر:١-٢.

وإذا وَرَد بصفةٍ تتعدّى المذكور إلى غيره من المكلَّفين، كان متوجّهاً إلى سائرهم على العموم، إلّا ما خَصَّصه الدّليل، كَقولِه عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ..﴾ الطّلاق:١.

والأمرُ بالشّيء لا يكون إلّا قبلَه لاستحالة تعلُّق الأمر بالموجود، ويَصحُّ توجُّهُ الأمر إلى مَن يُعلمُ مِن حالِه أنّه يعجز في المستقبل عمّا أُمِرَ به، أو يُحال بينَه وبينه، أو يُخترَم [يموت] دونَه، لِما يَجوزُ في ذلك من مصلحة المأمورِ في اعتقادِه فعلَ ما أُمِرَ به، واللُّطفِ له في استحقاقه الثّواب على نيّتِه، وإمكانِ استصلاح غيره من المكلَّفين بأمرِه.

الثّاني: النّهي، وَلَهُ صورة في اللّسان محقَّقةٌ يتميّز بها عن غيره، وهي قولك: «لا تفعل»، إذا وَرَد مطلقاً. والنّهيُ في الحقيقة لا يكونُ منك إلّا لِمَن دونك، كالأمر. والنّهيُ موجِبٌ للتّرك المُستدام ما لم يكن شرطٌ يُخصّصه بحالٍ [من الأحوال].

الثّالث: الخبر، وَهو ما أمكنَ فيه الصّدقُ والكَذِب، وله صيغةٌ مبيّنةٌ يَنفصل بها عمّا يخالفُه في معناه. وقد تُستعار صيغتُه في ما ليس بخبر، كما يُستعار غيرُهما من صِيَغِ الحقائق في ما سواه على وجه الاتّساع والمجاز. قال الله عزّ وجلّ: ﴿..وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ..﴾ آل عمران:٩٧، فهو لفظٌ بصيغةِ الخبر، والمُراد به الأمر: «يُؤمَّن مَن دخلَه».

الرّابع: العامُّ والخاصّ. والعامّ في معنى الكلام: ما أفادَ لفظُه اثنين فما زاد.

والخاصّ: ما أفاد واحداً دونَ ما سِواه، لأنّ أصلَ الخصوص التّوحيد، وأصلَ العُموم الاجتماع. وقد يُعبَّر عن كلّ واحدٍ منهما بلفظ الآخر تشبُّهاً وتجوُّزاً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر:٩. فعبَّرَ عن نفسِه سُبحانه، وهو واحدٌ، بلَفظِ الجميع. وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ آل عمران:١٧٣. وكان سببُ نزولِ هذه الآية، أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام قُبيل وَقعةِ أُحُد: «إنّ أبا سفيان قد جَمَع لكم الجُموع»، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل**». (مختصَر)

موجز في التّفسير

سورةُ الصّافّات

من دروس «المركز الإسلامي»

* **السُّورة السّابعة والثّلاثون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «الأنعام».**
* **آياتُها مائة واثنتان وثمانون، وهي مكّيّة، يُحفظُ قارئُها من الآفات، والبلاء، ويكونُ بريئاً من الشِّرك.**
* **سُمِّيت بـ «الصافّات»، لابتدائها بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ الصافات:١.**

في (التّفسير الكاشف) للشّيخ محمّد جواد مغنيّة أنّ المفسّرين اختلفوا في معنى «**الصّافّات**» و«**الزّاجرات**» و«**التّاليات**» الواردة في الآيات الثلاث الأُوَل من السّورة. فمنهم مَن قال: إنّها الملائكة. ومنهم مَن قال: الصّافات هي جماعةُ المؤمنين تَصطفّ في الصّلاة وفي الجهاد، والزّاجرات زواجرُ القرآن وآياتُه، والتّاليات قرّاءُ القرآن يَتلونه في الصّلاة وغيرها.

وغيرُ بعيدٍ أن يكون المُراد بالأنواع الثّلاثة [أولئك] الّذين ذكرَهم الإمام عليّ عليه السلام في الخطبة الأولى من (نهج البلاغة). قال صلوات الله عليه في وصف الملائكة: **فَمِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ**، أي ثابتون في أماكنِهم. فجائزٌ أن يكون قولَه عليه السلام: «**وصافّون لا يَتزايلون**» إشارةً إلى ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ الصّافات:١.

هدفُ السُّورة

«**تفسير الميزان**» **للعلّامة الطّباطبائيّ**: في سورة الصّافّات:

١- احتجاجٌ على التّوحيد. [الآيات: ١ - ١٧]

٢- وإنذارٌ للمُشركين. [الآيات: ١٨ - ٣٩]

٣- وتبشيرٌ للمُخلِصين من المؤمنين. [الآيات: ٤٠ - ٦١]

٤- وبيانُ ما يؤول إليه حالُ كلٍّ من الفريقَين. [الآيات: ٦٢ - ٧٤]

٥- ثمّ ذِكْرُ عدّةٍ من العباد المؤمنين ممّن مَنَّ اللهُ تعالى عليهم وقضى أنْ يَنصرهم على عدوِّهم. [الآيات: ٧٥ - ١٤٨]

٦- وفي خاتمة السُّورة ما هو بمنزلة مُحصّل الغرض منها، وهو تنزيهه عزَّ وجلَّ، والسَّلام على عباده المُرسَلين، وتحميدُه تعالى في ما فعل. [الآيات: ١٤٩ - ١٨٢]

محتوى السُّورة

«**تفسير الأمثل**» **للشّيخ مكارم الشّيرازيّ**: يُمكن تلخيص محتوى سورة الصافّات في خمسة أقسام:

القسم الأوّل: يَبحثُ حولَ مجاميع من ملائكة الرَّحمن، ومجموعة من الشَّياطين المُتمرِّدين ومصيرِهم.

القسم الثّاني: يَتحدّث عن الكافرين وإنكارهم النُّبوّة والمَعاد، والعقاب الّذي يَنتظرهم يوم القيامة، كما يَستعرضُ الحوار الذي يدور بينهم في ذلك اليوم، ويُحمِّلهم جميعاً مسؤوليّة الذَّنب والعذاب الإلهيّ الّذي سَيَشملهم، كما يشرح هذا القسم جوانبَ من النِّعم الموجودة في الجنّة، إضافة إلى ملذّاتِها، وجمالِها، وسُرورِ أهلِها.

القسم الثّالث: يَشرحُ، بصورةٍ مختصرةٍ، تاريخ أنبياء الله تعالى: نوح، وإبراهيم، وإسحاق، وموسى، وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس عليهم السلام، وبصورةٍ ذات تأثير قويّ. كما يَتحدّثُ هذا القسم بشكلٍ مُفصّلٍ عن النّبيّ إبراهيم عليه السلام مُحطِّم الأصنام، وعن جوانب مختلفة من حياته.

القسم الرّابع: يُعالجُ صورةً معيّنةً من صُوَرِ الشِّرك، هي أسوأُ صُوَرِه، وهو الاعتقاد بوجود رابطة قرابة بين الله سبحانه وتعالى والجنّ والملائكة، ويُبيِّن بطلان مثل هذه العقائد التّافهة بآياتٍ قصار.

القسم الخامس: يؤكّدُ حتميّةَ انتصارَ جيوش الحقّ على جيوش الكُفر والشِّرك والنِّفاق، وابتلاءَهم -أي الكافرين والمُشركين والمنافقين- بالعذاب الإلهيّ، وتُنزّه آياتُ هذا القسم اللهَ سبحانه وتعالى، وتُقدّسه عن الأشياء التي نَسَبها المُشركون إليه، ثمّ تنتهي السُّورة بالحمد والثّناء على الباري عزَّ وجلَّ.

ثوابُ تلاوتها

«**تفسير مجمع البيان**» **للشّيخ الطّبرسيّ**: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن قرأ سورة الصّافّات أُعطيَ من الأجرِ عشرَ حسناتٍ، بعددِ كلِّ جنٍّ وشيطانٍ، وتَباعدت عنه مَرَدَةُ الشَّياطين، وبَرئ من الشِّرك، وشَهدَ له حافِظاه يومَ القيامةِ أنّه كان مؤمناً بالمُرسَلين**».

«ثواب الأعمال» للشّيخ الصّدوق: عن الإمام الصّادق عليه السلام: «مَن قَرأ سورة الصّافّات في كلّ جمعة لم يزَلْ محفوظاً من كلّ آفّة، مدفوعاً عنه كلُّ بليّة في حياته الدُّنيا، مرزوقاً في الدُّنيا بأوسعِ ما يكون من الرِّزق، ولم يُصبْه اللهُ في مالِه، ولا ولدِه، ولا بَدَنِه بسوءٍ من شيطانٍ رجيمٍ، ولا جبّارٍ عنيدٍ، وإنْ مات في يومه أو ليلته بَعَثَهُ اللهُ شهيداً، وأَمانَهُ شهيداً، وأَدخَلَهُ الجنّة مع الشُّهداء في درجةٍ من الجنّة».

«تفسير نور الثّقلين» للشّيخ الحويزيّ: عن سليمان الجعفريّ قال: «رأيتُ أبا الحسن [الإمام الكاظم] عليه السلام يقول لابنِه القاسم: قُم، فاقرأ عند رأس أخيك «والصّافّاتِ» حتّى تَستتمَّها. فقرأ، فلمّا بلغ ﴿.. فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ..﴾ الصافات:١١، قضى الفتى. فلمّا سُجّي، وخرجوا، أقبل عليه يعقوب بن جعفر [من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام]، فقال له: كنّا نعهدُ الميّتَ إذا نزلَ به الموت، يقرأ عنده ﴿يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ يس:١-٢، فصرتَ تأمرُنا بالصّافّات، فقال: يا بنيّ، لم تُقرَأ عند مكروبٍ من موتٍ قطّ، إلّا عجّلَ اللهُ راحَتَه».

تفسيرُ آياتٍ من السّورة

بعد ذكر الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها نقلاً -باستثناء الآية ١٣٠- عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدِّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله عليه.

- قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ الصافات:٢٤.

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة ونُصب الصّراطُ على جهنّم، لم يَجُزْ عليه إلّا مَن معه جوازٌ فيه ولايةُ عليّ بن أبي طالب، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ الصافات:٢٤، يعني عن ولايةِ عليّ بن أبي طالب».

** وعنه صلى الله عليه وآله: «أوّلُ ما يَسألُ اللهُ عنه العبدَ حبّنا أهلَ البيت».

*** الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا جَمَعَ العِبادَ يومَ القيامة، سَأَلَهُم عمّا عَهِدَ إليهم، ولَمْ يَسألْهُم عمّا قَضى عليهم».

- قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ الصافات:٨٨.

* سُئل الإمامُ الصّادق عليه السلام: ما تقولُ في عِلْمِ النُّجوم؟ فقال: «هو علمٌ قَلَّت منافعُهُ وكثُرت مَضارُّه، لأنّه لا يُدفَعُ به المَقدور، ولا يُتّقى به المَحذور، إنْ خبَّرَ المُنجّمُ بالبلاءِ لم يُنجِه التَّحرُّز من القضاء، وإنْ خبَّر هو بخيرٍ لم يَستَطِع تعجيلَه، وإن حدَثَ به سوءٌ لم يُمكنْه صرْفَه، والمنجّمُ يُضادُّ اللهَ في عِلمِه بِزعمِه أنّه يردُّ قضاءَ الله عن خَلْقِه».

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الصافات: ١٣٧-١٣٨.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «تَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ إِذَا قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ، فاقرأوا مَا قَصَّ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنْ خَبَرِهِمْ».

- قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ الصافات:١٣٠.

* الإمام المهديّ عليه السلام: «إذا أَردتم التّوجهَ -بنا- إلى الله تعالى وإلينا فقولوا: سلامٌ على آلِ يس.. الزّيارة». ويُستفاد من كلامِ بعض أهل العبادة، أنّ هذه الزّيارة، وزيارة «سلامُ اللهِ الكاملُ التّامّ» طريقٌ إلى التّشرُّفِ بلقائه صلوات الله عليه.

** «تفسير مجمع البيان»: «قرأ ابنُ عامر ونافع ورويس عن يعقوب: (آل يس) بفتحِ الألِف وكَسْرِ اللّام المقطوعة من (ياسين)، والباقون: (إلياسين) بكسرِ الألِف، وسكون اللّام موصولةً بياسين».

- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات: ١٦٤.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «أُنزِلَت في الأئمّةِ والأوصياء من آلِ محمّدٍ عليهم السلام».

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ الصافات: ١٦٥-١٦٦.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «نحنُ شجرةُ النُّبوّة، ومَعدِنُ الرِّسالة، ومُختَلَفُ الملائكة، ونحنُ عهدُ اللهِ وذِمّتُه، ونحنُ ودائعُ الله وحُجّتُه، كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسبِّح، فَسَبَّح أهلُ السَّماء بِتَسبيحِنا إلى أنْ هَبَطْنا إلى الأرض، فَسَبَّحنا، فَسَبَّحَ أهلُ الأرضِ بِتَسبيحِنا، وإنّا لَنحنُ الصَّافّونَ وإنّا لَنحنُ المُسبِّحون، فمَن وَفى بذمّتِنا فقد وَفى بعهدِ اللهِ عزَّ وجلَّ وذِمّتِه، ومَن خَفَرَ ذمّتَنا فقد خَفَرَ ذمّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ وعهدَه».

- قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات: ١٨٠.

* الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ أرادَ أنْ يَكتالَ بالمكيالِ الأوْفى فليَقُل إذا أراد أنْ يَقومَ من مَجلسِه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الصافات:١٤٠-١٤٢».

** الإمام الصّادق عليه السلام قالَ: «تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام؛ إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَكَبِّرِ اللهَ أَرْبَعاً وثَلَاثِينَ، واحْمَدْه ثَلَاثاً وثَلَاثِينَ، وسَبِّحْه ثَلَاثاً وثَلَاثِينَ، وتَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، والْمُعَوِّذَتَيْنِ، وعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ وعَشْراً مِنْ آخِرِهَا».

مناسبات شهر رَجَب الحرام

إعداد: صافي رزق

١ رجب / ٥٧ هجريّة

مولد الإمام محمّد الباقر عليه السلام.

٢ رجب / ٢١٢ هجريّة

مولد الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

٣ رجب / ٢٥٤ هجريّة

شهادة الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

١٠ رجب / ١٩٥ هجريّة

مولد الإمام محمّد الجواد عليه السلام.

١٣ رجب/ ٢٣ قبل الهجرة

ولادة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١٥ رجب/ ٦٢ هجريّة

وفاة السّيّدة زينب عليها السلام.

٢٠ رجب / ٤٥ هجريّة

ولادة السّيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام.

٢٤ رجب/ ٧ هجريّة

* فتح حُصون خَيْبَر على يد أمير المؤمنين عليه السلام.
* عودة جعفر بن أبي طالب وصحبِه من الحبشة.

٢٥ رجب/ ١٨٣ هجريّة

شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

٢٧ رجب/ ١٣ قبل الهجرة

بعثة النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. (ليلة ٢٧ خيرٌ مما طلعت عليه الشمس)

أبرز مناسبات شهر رَجَب

❖ بعثةُ النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. ❖ ولادة أمير المؤمنين عليه السلام. ❖ ولادة الإمام الباقر عليه السلام. ❖ شهادة الإمام الكاظم عليه السلام. ❖ ولادة الإمام الجواد عليه السلام. ❖ ولادة الإمام الهادي وشهادتُه عليه السلام. ❖ وفاة السّيّدة زينب عليها السلام.

بعد تقديم فهرسٍ بتواريخ مناسبات الشّهر الهجريّ، تُقدِّم «شعائر» مختصَراً حول أبرزها، كمدخلٍ إلى حُسنِ التّفاعل مع المناسبات المباركة، مع الحِرْصِ على عنايةٍ خاصّةٍ بأيّام المعصومين عليهم السلام.

اليوم السّابع والعشرون، المبعثُ الشّريف: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «..ولَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَه مُحَمَّداً، رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله لإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُه، مَشْهُورَةً سِمَاتُه كَرِيماً مِيلَادُه، وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِه أَوْ مُلْحِدٍ فِي إِسْمِه، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه، فَهَدَاهُمْ بِه مِنَ الضَّلَالَةِ وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِه مِنَ الْجَهَالَةِ، ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَه لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لِقَاءَه، ورَضِيَ لَه مَا عِنْدَه وأَكْرَمَه عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، ورَغِبَ بِه عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَه إِلَيْه كَرِيماً صلى الله عليه وآله، وخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ولَا عَلَمٍ قَائِمٍ..». (نهج البلاغة)

اليوم الثّالث عشر، ولادةُ أمير المؤمنين عليه السلام: * قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «ما أظلَّت الخضراءُ ولا أقلَّت الغبراءُ بعدي على أفضل من عليِّ بن أبي طالب، وإنَّه إمامُ أُمَّتي وأميرُها، وإنَّه لَوصيِّي وخَليفتي عليها، مَنِ اقتَدى بِهِ بعدي اهتَدى، ومَنِ اهتَدى بغيرِه ضلَّ وغَوَى. إنِّي أنا النَّبيُّ المُصطفى، ما أَنْطِقُ بفضلِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عن الهَوَى، إنْ هوَ إلَّا وحيٌ يوحَى، نَزَل بِهِ الرُّوحُ المُجتبى، عن الَّذي له ما في السَّماوات وما في الأرضِ وما بينَهُما وما تحتَ الثَّرى». (كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكيّ)

** «أكثرُ شيوخنا يُفضِّلونه -يعني علياً عليه السلام- على أُولي العزم عليهم السلام، لِعُمومِ رئاستِه وانتفاعِ جميع أهل الدُّنيا بخلافتِه، لِكَوْنِه خليفةً لِنُبوَّةٍ عامّةٍ بخلافِ نبوَّتِهم، ولِقولِ النّبيّ صلى الله عليه وآله في خبر الطّائر المشويّ: (ائْتِني بِأحبِّ خَلْقِكَ إليكَ)، ولَمْ يَستثْنِ الأنبياء، ولأنَّه مساوٍ للنّبيّ الّذي هو أفضلُ في قوله تعالى: ﴿..وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ..﴾ آل عمران:٦١، والمُراد المُماثلةُ لامتناع الاتّحاد، ولأنَّه أفضلُ من الحسنَين عليهما السلام في قولِه صلى الله عليه وآله: (أبوهُما خيرٌ منهُما)، وقد جعلَهُما جدُّهما سيِّدَين لِأهلِ الجنَّة في الحديث المشهور فيهما، وقد أَسند الأعمشُ إلى جابر الأنصاريّ قولَ النّبيّ صلى الله عليه وآله: (أيّ الأخوان أفضل؟) قلت: النّبيّون، فقال صلى الله عليه وآله: (أنا أفضلُهم، وأحبُّ الإخوة إليَّ عليُّ بن أبي طالب، فهو عندي أفضلُ من الأنبياء، فمَن قال: إنَّهم خيرٌ منه، فقد جَعَلَني أقلَّهم، لأنِّي اتَّخذتُه أخاً لِما علمْتُ من فضلِه وأمَرَني ربِّي به)».

(الصّراط المستقيم، النّباطيّ العامليّ)

اليوم الأوّل، ولادة الإمام الباقر عليه السلام: كتب عليه السلام إلى بعض أصحابه: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله، فَإِنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ مِنَ التَّلَفِ والْغَنِيمَةَ فِي الْمُنْقَلَبِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقِي بِالتَّقْوَى عَنِ الْعَبْدِ مَا عَزَبَ عَنْه عَقْلُه، ويُجْلِي بِالتَّقْوَى عَنْه عَمَاه وجَهْلَه. وبِالتَّقْوَى نَجَا نُوحٌ ومَنْ مَعَه فِي السَّفِينَةِ، وصَالِحٌ ومَنْ مَعَه مِنَ الصَّاعِقَةِ، وبِالتَّقْوَى فَازَ الصَّابِرُونَ ونَجَتْ تِلْكَ الْعُصَبُ مِنَ الْمَهَالِكِ.

ولَهُمْ إِخْوَانٌ عَلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ يَلْتَمِسُونَ تِلْكَ الْفَضِيلَةَ، نَبَذُوا طُغْيَانَهُمْ مِنَ الإِيرَادِ (الالتِذَاذِ) بِالشَّهَوَاتِ لِمَا بَلَغَهُمْ فِي الْكِتَابِ مِنَ الْمَثُلَاتِ، حَمِدُوا رَبَّهُمْ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ وهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ، وذَمُّوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَرَّطُوا وهُمْ أَهْلُ الذَّمِّ، وعَلِمُوا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى الْحَلِيمِ الْعَلِيمِ، إِنَّمَا غَضَبُه عَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْه رِضَاه، وإِنَّمَا يَمْنَعُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْه عَطَاه، وإِنَّمَا يُضِلُّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْه هُدَاه..».

اليوم الخامس والعشرون، شهادة الإمام الكاظم عليه السلام: * طلب هارون العبّاسيّ من جلوازِه السّنديّ بن شاهك أن يقتلَ الإمام الكاظم عليه السلام بسُمٍّ يدسُّه في الرُّطب، فلما تناول منه الإمام صوات الله عليه، قال له السّنديّ: تَزداد؟ فقال عليه السلام: **حسبُكَ، قد بلغتُ ما يُحتاجُ إليه في ما أُمِرتَ به**، ثمَّ إنَّه [السّنديّ] أحضرَ القُضاةَ والشّهود، وذلك قبل وفاة الإمام عليه السلام بأيّامٍ، وأَخْرَجَهُ إليهم، وقال: النَّاسُ يقولون إنَّ أبا الحسن موسى في ضَنْكٍ وضُرّ، وها هو ذا لا عِلَّةَ به، ولا مرضَ، ولا ضُرّ.

فالتَفَت عليه السلام، فقالَ لهم: **اشهدوا عليَّ أنّي مقتولٌ بالسُّمّ منذ ثلاثة أيّامٍ، اشهدوا أنّي صحيحُ الظَّاهرِ لكنّي مسمومٌ**«..» **وأمضي** [بعدَ غدٍ] **إلى رحمةِ اللهِ ورِضْوانِه**». (عن: منتَهى الآمال، المحدِّث القمّيّ)

** سألَ أحدُهم الإمامَ الكاظم عليه السلام: لأيّ علّةٍ عَرَج اللهُ بنَبيّه صلى الله عليه وآله إلى السَّماء، ومنها إلى سِدْرَةِ المُنتهى، ومنها إلى إلى حُجُبِ النُّور، وخاطَبَهُ وناجاهُ هناك، واللهُ لا يُوصَف بمكانٍ؟ فقال عليه السلام: «**إنّ اللهَ لا يُوصَفُ بمكانٍ ولا يَجري عليه زمانٌ، ولكنّه عزَّ وجلَّ أراد أن يُشرِّفَ به ملائكتَهُ وسُكّانَ سماواتِه، ويُكرِمَهُم بِمُشاهدتِه، ويُرِيه من عَجايبِ عظمتِه ما يُخبِرُ به بعد هُبوطِهِ، وليس ذلك على ما يقولُه المشبّهون، سبحانَ اللهِ وتعالى عمَّا يَصِفون**». (علل الشَّرائع، الصَّدوق)

اليوم العاشر، ولادة الإمام الجواد عليه السلام: عندما وُلد الإمام الجواد عليه السلام، قال الإمام الرِّضا عليه السلام لِأصحابه: «**قد وُلِد لي شبيهُ موسى بنِ عمران فالِقِ البِحار، وشبيهُ عيسى بنِ مريم، قُدِّسَتْ أمٌّ وَلَدَتْهُ قد خُلِقَتْ طاهرةً مُطهَّرة**. ثمَّ قال: **يُقتَلُ غَصْباً فيَبكي له وعليه أهلُ السَّماء، ويَغضبُ اللهُ على عدوِّه وظالِمِهِ، فلا يَلبَثُ إلّا يَسيراً حتَّى يُعجِّل اللهُ به إلى عذابِهِ الأليمِ وعقابِهِ الشَّديد**»، وكان الرّضا عليه السلام طولَ ليلتِه يُناغيهِ في مَهْدِه. (بحار الأنوار، المجلسيّ)

اليوم الثّاني واليوم الثّالث، ولادة الإمام الهادي وشهادتُه عليه السلام: «.. أَمَرَ المتوكّل العبّاسيّ العسكرَ وهم تسعونَ ألف فارسٍ من الأتراك السّاكنين بِسُرّ مَن رَأى، أنْ يملأَ كلُّ واحدٍ مِخْلاةَ فَرَسِهِ من الطِّين الأحمر، ويَجعلوا بَعضَهُ على بعضٍ في وسط برِّيّةٍ واسعةٍ هناك، ففعلوا. فلمَّا صار مثل جبلٍ عظيمٍ صَعدَ فوقه، واستَدْعى أبا الحسن [الإمام الهادي] عليه السلام واستَصْعَدَهُ، وقال: استَحضِرُكَ لِنَظارةِ خُيولي، وقد كان أَمَرَهُم أنْ يَلبسوا التّجافيف [ثوب من المعدن يلبسُه الفارس] ويَحملوا الأسلحة، وقد عُرِضوا بأحسنِ زينةٍ، وأتمِّ عُدَّةٍ، وأعظمِ هَيبةٍ، وكان غَرَضُهُ أنْ يَكسرَ قلبَ كلِّ مَنْ يَخرُجُ عليه، وكان خوفُهُ من أبي الحَسن عليه السلام أنْ يَأمرَ أحداً مِن أهلِ بيتِه أنْ يَخرُجَ عليه.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: **وهل تُريدُ أنْ أَعرِضَ عليك عَسْكَري**؟ قال: نعم. فَدَعا اللهَ سُبحانَه فإذا بين السَّماءِ والأرضِ من المَشرِقِ إلى المَغرِبِ ملائكةٌ مُدَجَّجُون، فَغشِيَ على المتوكّل، فلمَّا أفاقَ قال له أبو الحسن عليه السلام: «.. **فلا عليك منّي ممّا تظنُّ بَأس**». (الخرائج، الرّاونديّ)

** عنه عليه السلام: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جَعَلَ من أرضِهِ بقاعاً تُسمَّى المَرحومات، أحبَّ أن يُدعى فيها فيُجيب، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جَعَلَ من أرضِه بِقاعاً تسمّى المُنتَقِمات، فإذا كَسَبَ رجلٌ مالاً مِن غيرِ حِلِّه سَلَّطَ اللهُ عليه بقعةً منها فَأَنْفَقَهُ فيها**». (الكافي، الكلينيّ)

اليوم الخامس عشر، وفاة السّيّدة زينب عليها السلام: «فلم يُرَ أكرمَ منها أخلاقاً، ولا أنبلَ فِطْرةً، ولا أطيبَ عنصُراً، ولا أخلصَ جَوْهراً، إلّا أنْ يكون جدّها واللَّذَين أَولداها، وكانت ممَّن لا يَستفِزُّها نَزَقٌ، ولا يَستخِفُّها غضبٌ، ولا يروعُ حِلْمَها رائعٌ، آيةٌ من آياتِ اللهِ في ذكاءِ الفهم، وصفاءِ النّفسِ، ولطافةِ الحِسِّ، وقوّةِ الجَنانِ، وثباتِ الفؤادِ، في أَرْوَعِ صورةٍ من صُوَرِ الشّجاعةِ والإباءِ والتّرفُّع..».

(عقيلة الوحي، السّيّد شرف الدّين)

أَينَ الرّجبيّون؟

شهرُ رجب، والصّومُ فيه

إعداد: محمد ناصر

«إنَّ في الجنَّة قصراً لا يَدخلُه إلَّا صُوَّامُ رَجَب». رسول الله ﷺ

مجموعةٌ من الأحاديث الشّريفة وَرَدت في فضيلة شهر رجب ومنزلته، وثواب الصّيام فيه، يليها ما وردَ عن المعصومين عليهم السلام في ما يُعمل عوضاً عن الصّوم فيه، لمَن عجز عن ذلك.

* عن عبد الله بن عبّاس: «كان رسولُ الله ﷺ إذا جاء شهرُ رجب، جَمَعَ المسلمين حوله وقام فيهم خطيباً، فقال: أيُّها المسلمون، قد أَظَلَّكُم شهرٌ عظيمٌ مبارَكٌ، وهو شهرُ الله الأصبّ، يَصبُّ فيه الرَّحمة على مَنْ عَبَدَهُ، إلَّا عبداً مُشرِكاً، أو مُظْهِرَ بدعةٍ في الإسلام».

الصَّومُ في رجب

* عن رسول الله ﷺ: «مَن صامَ رجباً كلَّه كَتَبَ اللهُ له رِضاه، ومَن كَتَبَ لهُ رِضاه لم يُعذِّبْه».

* عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «في الجنَّةِ نهرٌ يُقالُ له رَجَب، أشدُّ بياضاً من الثَّلج، وأحلَى من العَسَل، فمَن صام يوماً مِن رجب، سَقاهُ اللهُ من ذلك النَّهر».

* وعنه عليه السلام: «إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ من بُطنانِ العرش [أي من وسطه أو أوصلِه]: أينَ الرَّجبيُّون؟ فيقومُ أُناسٌ يُضيءُ وجوهُهم لأهلِ الجَمْعِ، على رؤوسِهم تيجانُ المُلكِ، مكلَّلةً بالدُّرِّ والياقوت، مع كلِّ واحدٍ منهم ألفُ ملَكٍ عن يمينِه وألفُ ملَكٍ عن يساره، ويقولون: هنيئاً لكَ كرامة اللهِ عزَّ وجلَّ يا عبدَ الله.

فيأتي النِّداءُ من عندِ اللهِ جلَّ جلالُه: عِبادي وإمَائي، وعزَّتي وجَلالي لَأُكرِمَنَّ مثواكُم ولَأُجْزِلَنَّ عطاياكُم، ولَأُوتِيَنَّكُم من الجنَّة غُرَفاً تَجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ونِعْمَ أجرُ العاملينَ، إنَّكم تَطَوَّعْتُم بالصُّومِ لِي في شهرٍ عظَّمْتُ حُرْمَتَهُ وأَوْجَبْتُ حَقَّهُ. ملائكتي، أَدْخِلُوا عِبادي وإمائيَ الجنَّة.

ثمَّ قال عليه السلام: هذا لِمَنْ صامَ من رَجب شيئاً، ولو يوماً واحداً في أوَّلِه أو وَسَطِه أو آخِرِه».

* وعنه عليه السلام: «..مَن صام يوماً من آخِرِ الشَّهر [رجب]، كان ذلك أماناً له من شدَّة سَكَرات الموتِ، وأماناً له من هَوْلِ المُطَّلَع وعذابِ القبر، ومَن صامَ يومَين مِن آخرِ هذا الشَّهر كان له بذلك جوازٌ على الصِّراط، ومَن صامَ ثلاثة أيَّامٍ من آخِرِ هذا الشَّهر أَمِنَ يومَ الفزعِ الأكبر من أهوالِه وشدائده، وأُعطيَ براءةً من النّار».

* عن الإمام الكاظم عليه السلام: «بَعَثَ اللهُ عزَّ وجَلَّ مُحَمَّداً ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فِي سَبْعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، فَمَنْ صَامَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَتَبَ اللهُ لَه صِيَامَ سِتِّينَ شَهْراً».

قال العلماء

رُوي عن المعصومين عليهم السلام أنّ مَن عجزَ عن الصّيام المُستحبِّ (غير الواجب، كالقضاء والنّذر) في شهر رجب، استعاضَ عن ذلك بالتّصدّق على مسكينٍ بمُدٍّ من الطّعام، ورُوي أنّ العوضَ عن صوم يومٍ واحد مقدارُه درهم. ولعلَّ التّفاوت بِحَسَبِ سعَةِ اليَسارِ ودرجاتِ الاقتدار. وفي روايةٍ أخرى أنَّه يتصدَّق عن كلِّ يومٍ منه برغيفٍ، ولعلَّه لأهل الإقتار تخفيفاً للتَّكليف.

ومن العوضِ لِمَن لا يقدرُ على التّصدّق أن يقول هذا التّسبيح: «سبحانَ الإلهِ الجليلِ، سبحانَ مَنْ لا يَنبغي التّسبيحُ إلَّا له، سبحانَ الأعزِّ الأكرم، سبحانَ مَنْ لَبِسَ العِزَّ وهو له أهلٌ».

ويحتاط المُوسِر في أمرِه، بأن يتصدّق ويقرأ هذا التّسبيح عن كلّ يومٍ عجزَ عن صيامه. (إقبال الأعمال، بتصرّف)

..إنَّ لِرَجب فضلاً، وهو أوّل الأشهر الحُرُم

العُمرة، ودعوةُ المؤمن أخاه للإفطار

إعداد: «شعائر»

العمرةُ لغةً، يليها مجموعةٌ من الآراء التي وردَت في الرّسائل العمليّة حول أحكام العمرة واستحبابها، ودعوة الإمام الصادق عليه السلام لأخيه المؤمن. تستَعرضُ «شعائر» هذَين الموضوعَين لأهمّيّتهما في رحابِ شهر رجب الأصبّ، الّذي يصبُّ الله تعالى فيه الرّحمة صبّاً.

العُمْرةُ لغةً: هي الزِّيارة، وقَصدُ المكانِ العامِر؛ وفي الاصطلاح الفقهيّ: هي قَصْدُ الكعبة المعظّمة للزِّيارة والتَّعبُّد.

وهي أفعالٌ مخصوصةٌ تُسمَّى الحجّ الأصغر، قبالة الحجّ الأكبر، ويُفرَّقُ بينهما الوقوفُ بعرَفة، وأفعالها سبعة: الإحرام، والطَّواف وصلاتُه، والسَّعيُ بين الصَّفا والمروة، والحَلْقُ أو التَّقصير، وطوافُ النِّساء وصلاتُه.

ومنها: **عمرةُ التَّمتُّع**: وهي العمرة المتَّصلة بالحجِّ، فالمُعتَمِر يَعتَمِرُ ثمَّ يَحجّ. ومنها: **العمرةُ المُفردة**: وهي العمرةُ المُنْفَصِلة عن الحجّ، أيْ غير متَّصلة به، فالمُعتمِر يَعتَمِرُ ويَرجع دون أنْ يحجّ. (المصطلحات، مركز المعجم الفقهيّ)

* **مسألة**: تَنقسمُ العمرةُ كالحجِّ إلى واجبٍ أصليٍّ وعَرَضيٍّ ومندوبٍ، فتَجِبُ بأصلِ الشَّرعِ على كلِّ مكلَّفٍ -بالشَّرائط المُعتَبَرة في الحجِّ- مرّةً في العمر، وهي واجبةٌ فوراً كالحجّ، ولا يُشترَطُ في وجوبها استطاعةُ الحجّ، بل تكفي استطاعتُها فيه وإن لم يَتحقَّق استطاعتُه [الحجّ]، كما أنَّ العكس كذلك، فلو استطاعَ للحجِّ دونَها وَجَبَ دونها.

* **مسألة**: تُجزي العمرةُ المُتمتِّع بها عن العمرةِ المفردة، وهل تَجب على مَنْ وظيفَتُه حجّ التّمتُّع إذا استطاع لها ولم يَكُن مستطيعاً للحجّ؟ المشهور عَدَمُه، وهو الأقوى "..".

* **مسألة**: قد تَجِبُ العمرةُ بالنَّذرِ والحلفِ والعهدِ والشَّرط في ضمن العقد والإجارة والإفساد «..» وتَجِبُ أيضاً لدخول مكَّة؛ بمعنى حرمتِه من دونها، فإنَّه لا يجوزُ دخولُها إلَّا مُحرِماً إلَّا في بعض الموارد: منها مَن يكون مُقتضى شغله الدُّخول والخروج كراراً كالحطَّاب والحشَّاش، وأمَّا استثناءُ مُطلَقِ مَن يتكرَّر منه فَمُشكل "..." ويُستحبُّ تكرارها كالحجّ، واختلفوا في مقدار الفصل بين العمرتَين، والأحوط في ما دون الشَّهر الإتيانُ بها رجاءً. (تحرير الوسيلة، الإمام الخمينيّ)

دعوةُ الإمام الصَّادق عليه السلام لأخيه المؤمن

* جاء في كتاب (رياض المسائل) للسّيّد عليّ الطّباطبائيّ، قولُه: «ومَن صامَ نَدباً ودُعِيَ إلى طعامٍ، فالأفضلُ له الإفطارُ للنُّصوصِ المُستفيضة، وفيها الصَّحيحُ وغيرُه.

ولا فَرْقَ -في إطلاقِها كالفَتوى- بين دُعائه أوَّلَ النّهار وآخره، ولا بين مُهيّئ الطّعام له وغيره، ولا بين مَنْ يَشقُّ عليه المخالفة وغيره. نعم يُشترَط كَوْنَه مؤمناً، والحكمةُ في ذلك إجابةُ دعوةِ المؤمن وإدخالُ السُّرور عليه، وعدمُ ردِّ قولِه، لا مجرَّد كونه آكلاً.

وليس في العبارة وجملة من الرِّوايات اشتراطُ عدمِ الإخبار بالصَّوم، كما قيل، بل هي مُطلَقة. نعم في بعضِها التَّقييدُ بذلك، ولعلَّه محمولٌ على اشتراطِه في ترتُّب الثَّواب المذكور فيه، وهو أنَّه يُكتَب له صَومُ سنة».

* وجاء في (صراط النّجاة)، للميرزا التّبريزيّ، قولُه: «يُستحبُّ الإفطار عند الدَّعوة في موردَين:

أ - أنْ يكون إفطارُه مُوجِباً لِسُرور الدَّاعي له إلى الإفطار.

ب- إذا دخل على شخصٍ فدَعاهُ إلى الطَّعام، سواء عَلِمَ بأنَّه صائمٌ أمْ لَمْ يَعلم، واللهُ العالِم».

* وقال الإمام السّيّد الخامنئيّ في (أجوبة الاستفتاءات): «قبولُ دعوة المؤمن للإفطار في الصَّوم المُستحبّ أمرٌ راجحٌ شرعاً، وبتناولِ الطَّعام بدعوةٍ من أخيه المؤمن، وإنْ كان يُبطِلُ صَومَهُ، لكنَّه لا يُحرَم مِن أجرِه وثوابِه».

ليلةُ الرَّغائب

...أنْ تَغْفرَ لِصُوّام رَجَب

العلّامة الحلّي قدس سره

ليلةُ الرَّغائب هي أوّلُ ليلةِ جمعة من شهرِ رجب، وإنْ لم يَكُن يومُ الخميس منه. وتُعتبر الصّلاةُ -المُقترِنةُ بالصَّوم- المرويّةُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله بخُصوصِ هذه اللَّيلة، من أهمِّ أعمال شهر رَجب، وقد ذكَرَها المحدِّثون والفقهاءُ في مصنَّفاتهم أو استَشْهَدوا بها في سياقِ الكلام على الصَّوم والصَّلاة المندوبَين. فقد أوردَ العلَّامة الحلّيّ «عمل الرّغائب» في إجازته لبني زهرة (الإجازة الكبيرة)، وذكرَه الشّيخ الكفعميّ في (المصباح)، والشّيخ الحرّ العامليّ في (وسائل الشّيعة)، والسّيّد ابن طاوس في (إقبال الأعمال)، والشّيخ الملَكيّ التبريزيّ في (المراقبات)، والسّيّد البروجرديّ في (جامع أحاديث الشّيعة)، وغيرهم، ويؤتى بها برجاء المطلوبيّة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تَغفلوا عن أوّلِ ليلةِ جمعة منه [شهر رجب]، فإنّها ليلةٌ تُسمّيها الملائكة ليلة الرَّغائب، وذلك أنّه إذا مضى ثُلُثُ اللّيل لم يَبْقَ مَلَكٌ في السَّماواتِ والأرضِ إلّا يَجتمعون في الكعبة وحَوالَيْها، ويَطّلعُ اللهُ عليهم اطّلاعةً، فيقولُ لهم: يا ملائكتي! سَلوني ما شِئتُم، فيقولون: ربّنا، حاجتنا إليك أنْ تَغفر لِصُوّام رجب، فيقول الله تبارك وتعالى: قد فعلتُ ذلك.

ثمّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: ما مِن أحدٍ صامَ يوم الخميس، أوّل خميس من رجب، ثمّ يُصلّي بين العشاء والعتمة [بين المغرب والعشاء، والقول بأنّ وقتَها بعد صلاة العشاء غير صحيح] اثنتَي عشرة ركعة:

١- يفصل بين كلّ ركعتين بتسليمة،

٢- يقرأ في كلّ ركعة: (فاتحة الكتاب) مرّة، و(إنّا أنزلناه في ليلة القدر) ثلاث مرّات، و(قل هو الله أحد) اثنتي عشرة مرّة،

٣- فإذا فَرغَ من صلاته صلّى عليَّ سبعين مرّة، يقول: أللّهمَّ صَلِّ على مُحمّدٍ النَّبيِّ الأُمّيِّ (الهاشميّ) وعلى آلِه،

٤- ثمّ يَسجد ويقول في سُجودِهِ سبعين مرّة: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوح،

٥- ثمّ يرفع رأسه ويقول: رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيُّ الأَعْظَمُ،

٦- ثمّ يَسجد سجدةً أخرى فيقول فيها مثل ما قال في السَّجدةِ الأولى،

٧- ثمّ يسألُ اللهَ حاجتَه في سجوده، فإنّه تُقضى إن شاءَ اللهُ تعالى.

يا ملائكتي! سَلوني ما شِئتُم، فيقولون: ربّنا، حاجتنا إليك أنْ تَغفر لِصُوّام رجب، فيقول اللّه تبارك وتعالى: قد فعلتُ ذلك.

ثمّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: والّذي نَفْسي بيدِه، لا يُصلّي عبدٌ أو أَمَةٌ هذه الصَّلاة إلّا غَفَرَ اللهُ له جميعَ ذنوبِه ولو كانت ذنوبُه مثل زَبَدِ البحر، وعددِ الرّمل، وَوَزْنِ الجبال، وعددِ ورق (أوراق) الأشجار، ويُشفَّع يومَ القيامةِ في سبعمائة من أهل بيته ممّن قد استوجَب النّار، فإذا كان أوّلُ ليلة نزولِه إلى قبره بعثَ اللهُ إليه ثوابَ هذه الصَّلاة في أحسن صورةٍ بوجهٍ طَلقٍ ولسانٍ ذَلق، فيقول: يا حبيبي أبْشِرْ، فقد نَجَوْتَ من كلِّ شدّةٍ. فيقول: من أنتَ، فما رأيتُ أحسنَ وجهاً منكَ، ولا شَمَمْتُ رائحةً أطيبَ من رائحتِك؟

فيقول: يا حبيبي! أنا ثوابُ تلك الصَّلاة الّتي صلّيتها ليلة كذا، في بلدةِ كذا في شهرِ كذا، في سنةِ كذا، جئتُ اللّيلة لِأَقضيَ حقَّك، وآنَسَ وحدتَكَ، وأرفعَ عنكَ وحشتَك، فإذا نُفِخ في الصُّور ظَلَلْتُ في عرصةِ القيامةِ على رأسِكَ، وإنّك لنْ تُعْدَمَ الخيرَ من مولاكَ أبداً».

الملف

قراءةٌ في مواعظِ أميرِ المؤمنين عليه السلام

إقرأ في الملف

إستهلال	من مواعظ (نهج البلاغة)
موعظةُ الإمام عليّ عليه السلام حول ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾	إبنُ أبي الحديد المعتَزليّ
موعظتُه عليه السلام لشَيخٍ شاميّ	الفيضُ الكاشانيّ قدس سره
الأمل، وحركةُ الحياة	العلّامة شمس الدين رحمه الله
الموعظة، والمشروعُ الإسلاميّ العالميّ	الشيخ حسين كوراني

استهلال

قال الإمام علي عليه السلام لرجل سأله أن يعظه :

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل . ويرجي التوبة بطول الأمل . يقول في الدنيا بقول الزاهدين . ويعمل فيها بعمل الراغبين .

إن أعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع . يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة في ما بقي . ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي . يحب الصالحين ولا يعمل عملهم . ويبغض المذنبين وهو أحدهم . يكره الموت لكثرة ذنوبه . ويقيم على ما يكره الموت من أجله . إن سقم ظل نادما وإن صح أمن لاهيا . يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي . إن أصابه بلاء دعا مضطرا وإن ناله رخاء أعرض مغترا تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن . يخاف على غيره بأدنى من ذنبه . ويرجو لنفسه بأكثر من عمله . إن استغنى بطر وفتن وإن افتقر قنط ووهن . يقصر إذا عمل . ويبالغ إذا سأل . إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة . وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة . يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ . فهو بالقول مدل ومن العمل مقل . ينافس في ما يفنى . ويسامح في ما يبقى . يرى الغنم مغرما والغرم مغنما . يخشى الموت ولا يبادر الفوت . يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه . ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره . فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن . اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء . يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره . يرشد غيره ويغوي نفسه . فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه ..

قال الرضي - جامع نهج البلاغة : ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام ، لكفى به موعظة ناجعة ، وحكمة بالغة ، وبصيرة لمبصر ، وعبرة لناظر .

موعظتُه عليه السلام حولَ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ..﴾

تَطَئُونَ فِي هَامِهِم، وتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِم الأَيَّامُ بَيْنَكُم وبَيْنَهُم، بَوَاكٍ، ونَوَائِحُ عَلَيْكُم

ابنُ أبي الحديد المعتزليّ

* «..أُقسمُ بمَن تقسمُ الأممُ كلُّها به، لقد قرأتُ هذه الخطبةَ منذَ خمسينَ سنة وإلى الآن أكثرَ من ألف مرّة. ما قرأتُها قطّ، إلّا وأحدَثتْ عندي روعةً وخوفاً، وعِظَةً، وأثّرت في قلبي وجيباً، وفي أعضائي رِعدةً، ولا تأمّلتُها إلّا وذكرتُ المَوتى من أهلي وأقاربي "..".

* «كم قد قالَ الواعظون والخطباءُ والفصحاءُ في هذا المعنى، وكم وقفتُ على ما قالوه وتكرّر وقوفي عليه، فلم أجد لشيءٍ منه مثلَ تأثير هذا الكلام في نفسي». (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ١٥٤)

* تقدّم «شعائر» هذه الخطبة العلويّة محرّكةً، مَن (نهج البلاغة- تحقيق الدّكتور صبحي الصّالح)، مع مختاراتٍ من شرح ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة).

قال ابنُ أبي الحديد: من كلامٍ له عليه السلام قالَه بعَد تلاوتِه ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾:

* يَا لَه مَرَاماً مَا أَبْعَدَه وزَوْراً مَا أَغْفَلَه * وخَطراً مَا أَفْظَعَه * لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ * أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ؟

يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ وحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ * ولأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً * ولأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ * أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ * لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ * وضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ.

* ولَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ والرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ * ذَهَبُوا فِي الأَرْضِ ضُلَّالًا وذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا * تَطَئُونَ فِي هَامِهِمْ وتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ * وتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا * وإِنَّمَا الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ ونَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

* أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ * الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكاً وسُوَقاً * سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيه * فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ * فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ * وضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ * لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الأَهْوَالِ * ولَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الأَحْوَالِ * ولَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ولَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ * غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ وشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ * وإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وآلَافاً (أُلَّافاً) فَافْتَرَقُوا * ومَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ ولَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وصَمَّتْ دِيَارُهُمْ * ولَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً * وبِالسَّمْعِ صَمَماً وبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً * فَكَأَنَّهُمْ فِي

ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ * جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ وأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ * بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ * وانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الإِخَاءِ * فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وهُمْ جَمِيعٌ * وبِجَانِبِ الْهَجْرِ وهُمْ أَخِلَّاءُ * لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً ولَا لِنَهَارٍ مَسَاءً * أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيه كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً * شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا * ورَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا * فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ * إِلَى مَبَاءَةٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ والرَّجَاءِ * فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا * لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا ومَا عَايَنُوا.

* ولَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ * لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ * وسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ * وتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ * فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوه النَّوَاضِرُ وخَوَتِ الأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ * ولَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى وتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ * وتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ وتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ * فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا وتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا * وطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا * ولَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً ولَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً * فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ * أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ * وقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ * واكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ * وتَقَطَّعَتِ الأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا * وهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا * وعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا * وسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا * مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ولَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ * لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وأَقْذَاءَ عُيُونٍ * لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ * وغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي.

* فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وأَنِيقِ لَوْنٍ * كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ ورَبِيبَ شَرَفٍ * يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِه * ويَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ به * ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِه وشَحَاحَةً بِلَهْوِه ولَعِبِه * فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وتَضْحَكُ إِلَيْه * فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ به حَسَكَه * ونَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاه * ونَظَرَتْ إِلَيْه الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ * فَخَالَطَه بَثٌّ لَا يَعْرِفُه ونَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُه * وتَوَلَّدَتْ فِيه فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِه،

* فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَه الأَطِبَّاءُ * مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ * فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً * ولَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً * ولَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ * إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ * حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُه وذَهَلَ مُمَرِّضُه * وتَعَايَا أَهْلُه بِصِفَةِ دَائِه * وخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْه * وتَنَازَعُوا دُونَه شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَه * فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِه ومُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِه * ومُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِه * يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِه،

* فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا * وتَرْكِ الأَحِبَّةِ * إِذْ عَرَضَ لَه عَارِضٌ مِنْ غُصَصِه * فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِه ويَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِه * فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِه عَرَفَه فَعَيَّ عَنْ رَدِّه * ودُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِه سَمِعَه فَتَصَامَّ عَنْه * مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُه أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُه * وإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ * أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل - ويرجى التوبة بطول الأمل

الشّرح:

قد اختلفَ المفسّرون في تأويلِ هاتَين الآيتَين، فقال قومٌ: المعنى أنّكم قطَعتم أيّامَ عمرِكم في التّكاثر بالأموال والأولاد حتّى أتاكم الموت، فكنّى عن حلولِ الموت بهم بزيارةِ المقابر.

وقال قومٌ: بل كانوا يتفاخرون بأنفسِهم، وتَعدَّى ذلك إلى أن تَفاخروا بأسلافِهم الأموات، فقالوا منّا فلان وفلان - لقوم كانوا وانقرضوا.

وهذا هو التّفسير الذي يدلُّ عليه كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام.

* (**يَا لَه مَرَاماً**): منصوبٌ على التّمييز.

* (**مَا أَبْعَدَه**): أي لا فخرَ في ذلك، وطلبُ الفخر من هذا الباب بعيد، وإنّما الفخرُ بتَقوى الله تعالى وطاعتِه.

* (**وزَوْراً مَا أَغْفَلَه**): إشارة إلى القوم الذين افتَخروا. جعلَهم بتذكّر الأموات السّالفين كالزّائرين لقبورِهم -والزَّوْر اسمٌ للواحد والجمع، كالخَصمِ والضّيف- قال: ما أغفلَهم عمّا يُراد منهم لأنّهم تركوا العبادةَ والطّاعة، وصرّموا الأوقاتَ بالمفاخرةِ بالمَوتى.

* (**لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ**): "..." أراد بـ (استخْلَوا) ذكرَ مَن خلا من آبائهم، أي مَن مضى. يُقال: هذا الأمرُ من الأمور الخالية، وهذا القرنُ من القرون الخالية، أي الماضية. واستَخلى فلانٌ في حديثِه، أي حدّث عن أمورٍ خالية، والمعنى: أنّه [عليه السلام] استعظمَ ما يُوجبه حديثُهم عمّا خلا وعمّن خلا من أسلافِهم وآثارِ أسلافهم من التّذكير، فقال: أيّ مدّكرٍ وواعظٍ في ذلك؟ ورُوي: «أيّ مذّكر»، بمعنى المصدر، كالمعتقد بمعنى الاعتقاد، والمعتبر بمعنى الاعتبار.

*(**وتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**): أي تناولوهم، والمراد: ذَكروهم وتحدّثوا عنهم فكأنّهم تناولوهم، وهذه اللّفظة من ألفاظ القرآن العزيز: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ سبأ:٥٢، وأنّى لهم تناولُ الإيمان حينئذٍ بعدَ فواتِ الأمر.

* (**يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ**): أي يذكرون آباءَهم فكأنّهم ردّوهم إلى الدّنيا وارتَجعوهم من القبور، وَخَوَت: خَلَت. "..."

* قوله عليه السلام: (**تَطَئُونَ فِي هَامِهِمْ**): أخذَ هذا المعنى أبو العلاء المعرّيّ، فقال:

خَفِّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيْمَ الأَرْضِ ... إلّا مِن هَذِهِ الأَجْسَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ... ضَاحِكٍ مِن تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلى بقايا دَفِينٍ ... من عهودِ الآباءِ وَالأَجْدَادِ
صاحَ هَذي قبورُنا تَمْلَأُ الأرضَ ... فَأَيْنَ القبورُ من عهدِ عَادِ
سِرْ إنِ اسْطَعْتَ في الهواءِ رُوَيْداً ... لا اختيالاً على رفاتِ العبادِ

* (**وتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِم**): أي تزرعونَ النّباتَ في أجسادِهم "..." ورُوي: وتَستثبتون، بالثّاء، أي: وتَنصبون الأشياءَ الثّابتةَ كالعُمد والأساطين للأوطان في أجسادِ الموتى.

* (**وتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا**): لفَظتُ الشّيء، بالفَتح، رميتُه من فمي، ألفِظُه، بالكسر. ويجوزُ أن يريد بذلك أنّكم تأكلونَ ما خلّفوه "...".

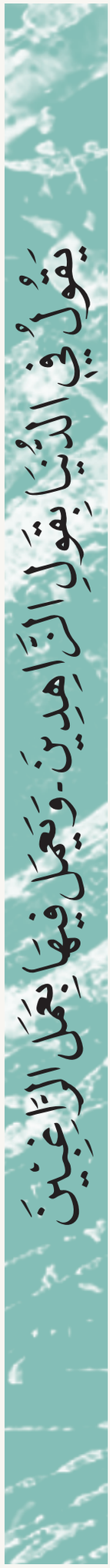

*(**وتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا**): أي تسكنونَ في المساكن التي لم يعمّروها بالذِّكر والعبادة، فكأنّهم أخرَبوها في المعنى ".." ويجوزُ أن يريد: وتسكنونَ في دُورٍ فَارَقوها وأخلَوها، فأَطلقَ على الخُلُوِّ والفَراغ لفظَ (الخراب) مجازاً.

* (**وإِنَّمَا الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ ونَوَائِحُ عَلَيْكُمْ**): يريدُ أنّ الأيّام واللّيالي تُشيِّعُ رائحاً إلى المقابر، وتبكي وتنوحُ على الباقين الذين سيَلتحقون به عن قريب.

* قوله (**أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُم، وفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ**): «**السَّلَف**»: المتقدّمون، و«**الغاية**»: الحدُّ الذي يُنتهى إليه، إمّا حسّيّاً أو معنويّاً، والمرادُ هاهنا الموت. و«**الفَرَط**»: القومُ يسبقون الحيّ إلى المَنهل.

* (**مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكاً وسُوَقاً**): «**مَقَاوِمُ الْعِزِّ**»: دعائمُه، جمع مِقْوَم، وأصلُها الخَشبةُ التي يُمسكُها الحرّاث. و«**حَلَبَاتُ الفَخر**» جمعُ حَلْبَة، وهي الخيلُ تُجمَع للسّباق. و«**السّوَق**»، بفتح الواو، جمعُ سَوَقة، وهو مَن دونَ المَلِك.

***

* وبعد الفقرة التي تنتهي بقوله عليه السلام «**وإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ * أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا**»، قال ابنُ أبي الحديد:

«هذا موضعُ المَثل (مَلْعاً يا ظليمُ وإلّا فَالتَّخويَة) [المَلْع: السَّيْرُ السّريع، ويُقال: خَوِيَ الطّائر إذا أرسلَ جناحَيه. وهو مثلٌ بمعنَى هكذا، وإلّا فَلَا] مَن أرادَ أن يَعِظَ ويخوِّف، ويقْرَعَ صَفاةَ القلب، ويُعرِّفَ النّاسَ قَدْرَ الدّنيا وتَصرُّفَها بأهلها، فَلْيَأتِ بمثلِ هذه الموعظةِ في مثلِ هذا الكلام الفَصيح، وإلّا فَلْيُمسِك، فإنّ السّكوتَ أستَر، والعيُّ خيرٌ من منطقٍ يفضحُ صاحبَه. ومَن تَأمَّلَ هذا الفصلَ عَلِمَ صدقَ معاوية في قولِه فيه: «واللهِ ما سنَّ الفصاحةَ لقريشٍ غيرُه»، وينبغي لو اجتمعَ فصحاءُ العرب قاطبةً في مجلسٍ وتُلِيَ عليهم [نصّ هذه الخطبة] أن يَسجدوا له، كما سجدَ الشّعراءُ لقولِ عَدِيّ بن الرّقاع: **قلمٌ أصابَ من الدّواةِ مِدادَها** فلمّا قيلَ لهم في ذلك، قالوا: إنّا نعرفُ مواضعَ السّجودِ في الشِّعر كما تعرفون مواضعَ السّجودِ في القرآن.

وإنّي لَأُطيلُ التّعجُّبَ من رَجلٍ يخطبُ في الحرب بكلامٍ يدلُّ على أنّ طبعَه مناسبٌ لطباعِ الأسودِ والنّمور وأمثالِهما من السّباع الضّارية، ثمّ يخطبُ في ذلك الموقفِ بعينِه إذا أرادَ الموعظةَ بكلامٍ يدلُّ على أنّ طبعَه مُشاكِلٌ لطباعِ الرّهبانِ لابسي المُسوح الذين لم يَأكلوا لحماً ولم يُريقوا دماً "..".

وَأُقسِمُ بمَن تُقسِمُ الأُمَمُ كلُّها به، لقد قرأتُ هذه الخطبةَ منذ خمسين سنةً وإلى الآن أكثرَ من ألفِ مرّة، مَا قَرَأْتُها قطُّ إلّا وَأَحدَثتْ عندي روعةً وخوفاً وعِظَةً، وَأَثَّرَت في قلبي وَجيباً، وفي أعضائي رعدةً، وَلا تأمّلتُها إلّا وَذكرتُ المَوتى من أهلي و أقاربي وأربابِ ودِّي وخيّلتُ [كلّاً منهم] **في نفسي، فقال: إنّي أنا ذلك الشَّخصُ الذي وصفَ** عليه السلام **حالَه.**

وكَم قد قالَ الواعظون والخطباءُ والفصحاءُ في هذا المعنى، وكم وقفتُ على ما قالوه وتكرَّر وقوفي عليه، فلَم أجد لشيءٍ منه مثلَ تأثير هذا الكلامِ في نفسي..».

***

أعْقَلُ النّاس، مَن بلغت أعمالُه الرُّشد
أحْمَقُ النّاس، المُغتَرُّ بالدّنيا وهو يَرى تَقَلُّبَ أحوالِها

الفقيه، الفيضُ الكاشانيّ قدس سره (١٠٠٧ - ١٠٩١هجريّة)

*** شيخٌ شاميٌّ كبير، حلَّ في مجلسِ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، على أبوابِ نشوبِ الحرب، وطلبَ منه عليه السلام أن يَعِظَه.**

*** تَماهى في هذا الشّيخ الشّاميّ -واتّحَدَ- طلبُ الموعظة، والاتّعاظ، فالجهاد والشّهادة، فإذا الموعظةُ التي سَمِعَها والتّرجمة العمليّة لاتّعاظه مدرسةٌ للأجيال في العلم والعَمل.**

*** تقدّم «شعائر» في ما يلي هذه الموعظة العلويّة في سياق سَرد حكايتِها الكاملة كما رواها -وشرحَ مفرداتها- الفقيهُ الفيضُ الكاشانيّ في (الوافي: ج ٢٦، ص ٢٢٦).**

قال الفيضُ الكاشانيّ: ".." عن موسى بنِ جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه عليهم السلام قال:

«بينا أمير المؤمنين عليه السلام ذاتَ يومٍ جالسٌ مع أصحابِه يُعبّيهم للحرب إذ أَتاه شيخٌ كبيرٌ عليه شحبة السّفر، فقال: أينَ أميرُ المؤمنين؟ فقيلَ: هوَ ذا هو، فَسَلَّمَ عليه، ثمّ قال: يا أميرَ المؤمنين، إنّي أَتيتُك من ناحيةِ الشّام، وأنا شيخٌ كبير، وقد سمعتُ فيكَ من الفضلِ مَا لا أُحصي، وإنّي أظنُّكَ ستُغتال، فعلِّمني ممّا علّمكَ الله.

قال: نَعم يا شيخ، مَن اعتدلَ يوماه فَهو مغبونٌ، ومَن كانتِ الدّنيا همّتَه اشتدّت حسرتُه عندَ فراقِها، ومَن كان غدُه شرَّ يومَيه فهو مَحروم، ومَن لم يبالِ بما زُوِيَ من آخرتِه إذا سَلِمَت له دُنياه فهو هالك، ومَن لم يَتعاهد النَّقْصَ من نفسِه غلبَ عليه الهَوى، ومَن كان في نقصٍ فالموتُ خيرٌ له. [يا شيخ، إنّ الدّنيا خَضِرةٌ حلوةٌ ولها أَهْل، وإنّ الآخرةَ لها أَهل، ظَلِفَت أنفسُهم عن مفاخرةِ أهلِ الدّنيا لا يتنافسون في الدّنيا، ولا يَفرحون بغضارتِها، ولا يَحزنون لِبُؤسِها.

يا شيخ، مَن خاف البياتَ قلَّ نومُه، ما أسرعَ اللّيالي والأيّامَ في عمرِ العَبد، فَاخزِنْ لسانَك، وَعُدَّ كلامَك يقلَّ كلامُك إلّا بخير].

يا شيخ، ارضَ للنّاس مَا ترضى لنفسِك، وائتِ إلى النّاسِ مَا تحبُّ أن يُؤتَى إليك.

ثمّ أقبلَ على أصحابِه، فقال: أيُّها النّاس، أمَا تَرونَ إلى أهلِ الدّنيا يُمسونَ ويُصبحونَ على أحوالٍ شَتّى، فبينَ صريعٍ يتلوّى، وبينَ عائدٍ ومَعُود، وآخرَ بنفسِه يجود، وآخرَ لا يُرجى، وآخرَ مُسَجّى، وطالبِ الدّنيا والموتُ يطلبُه، وغافلٍ وليسَ بمغفولٍ عنه، وعلى أثرِ الماضي يصيرُ الباقي.

فقال له زيدُ بنُ صَوحان العبديّ: **يا أمير المؤمنين، أيُّ سلطانٍ أغلبُ وأقوى؟**

قال: الهوى.

قال: فأيُّ ذُلٍّ أذلّ؟

قال: الحرصُ على الدّنيا.

قال: فأيُّ فقرٍ أشدّ؟

قال: الكفرُ بعدَ الإيمان.

قال: فأيُّ دعوةٍ أَضَلّ؟

قال: الدّاعي بما لا يَكون.

قال: فأيُّ عملٍ أفضل؟

> **أهلُ الدّنيا يُمسونَ ويصبحونَ على أحوالٍ شتّى، فبينَ صريعٍ يتلوّى، وبينَ عائدٍ ومَعُود، وآخرَ بنفسِه يجود.**

قال: التّقوى.

قال: فأيُّ عملٍ أنجَح؟

قال: طَلَبُ ما عندَ الله.

قال: فأيُّ صاحبِ شرّ؟

قال: المُزَيِّنُ لكَ معصيةَ الله.

قال: فأيُّ الخَلْق أشقَى؟

قال: مَن باعَ دينَه بدنيا غيرِه.

قال: فأيُّ الخَلق أقوى؟

قال: الحليم.

- أيّ الخَلق أقوى؟ قال: الحليم
- فمَن أحلمُ النّاس؟
قال: الذي لا يَغضب

قال: فأيُّ الخَلقِ أَشَحّ؟

قال: مَن أخذَ المالَ من غير حِلِّهِ فجعلَه في غير حقِّه.

قال: فأيُّ النّاس أكيَس؟

قال: مَن أبصرَ رُشدَه من غَيِّهِ، فمالَ إلى رُشدِه.

قال: فمَن أحلمُ النّاس؟

قال: الذي لا يَغضب.

قال: فأيُّ النّاسِ أثبتُ رأياً؟

قال: مَن لم يَغُرَّهُ النّاسُ من نفسِه، ومَن لم تغرّه الدّنيا بتشوُّفِها.

قال: فأيُّ النّاس أَحمَق؟

قال: المغترُّ بالدّنيا وهو يَرى ما فيها من تقلُّبِ أحوالِها.

قال: فأيُّ النّاسِ أشدُّ حسرةً؟

أيُّ المصائب أشدّ؟
قال: المصيبةُ في الدِّين.

قال: الّذي حُرِمَ الدّنيا والآخرة ﴿.. ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ الحج: ١١.

قال: فأيُّ الخَلْقِ أَعمى؟

قال: الذي عملَ لغيرِ الله، ويطلبُ بعملِه الثّوابَ من عندِ الله.

قال: فأيُّ القنوعِ أفضل؟

قال: القانعُ بما أعطاه اللهُ عزّ وجلّ.

قال: فأيُّ المصائبِ أشدّ؟

قال: المصيبةُ في الدِّين.

قال: فأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ تعالى؟

قال: انتظارُ الفَرَج.

قال: فأيُّ النّاسِ خيرٌ عندَ الله؟

قال: أخوفُهم لله وأعملُهم بالتّقوى وأزهدُهم في الدّنيا.

قال: فأيُّ الكلامِ أفضلُ عندَ الله؟

قال: كَثرةُ ذِكرِه والتّضرُّع إليه بالدّعاء.

قال: فأيُّ القولِ أصدَق؟

قال: شهادةُ أن لا إلهَ إلّا الله.

قال: فأيُّ الأعمالِ أعظمُ عندَ اللهِ عزّ وجلّ؟

قال: التّسليمُ والوَرَع.

قال: فأيُّ النّاس أصدَق؟

قال: مَنْ صَدَق في المواطن. [في ساحات الجهاد].

ثمّ أقبلَ على الشّيخ، فقال: يا شَيخ، إنّ الله عزّ وجلّ خلقَ خَلْقاً ضيّقَ الدّنيا عليهم -نظراً لهم- فَزَهَّدَهم فيها وفي حُطامِها، فَرَغِبوا في دار السّلامِ الّتي دَعاهم إليها، وصَبروا على ضيقِ المعيشةِ وصبَروا على المكروه، واشتاقوا إلى ما عندَ اللهِ من الكرامة، فبَذلوا أنفسَهم ابتغاءَ رضوانِ الله، وكانت خاتمة أعمالِهم الشّهادة، فَلقوا اللهَ وهو عنهم راضٍ، وعلموا أنّ الموتَ سبيلُ مَن مضى ومَن بَقِي، فتَزوّدوا لآخرتِهم غيرَ الذَّهبِ والفضّة، وَلَبِسوا الخَشِن، وصَبروا على البَلوى، وقدّموا الفَضل، وأحبّوا في اللهِ وأبغَضوا في اللهِ تعالى، أولئكَ المصابيحُ وأهلُ النّعيم في الآخرة. والسّلام

قال الشّيخ: فَأَينَ أذهبُ وأَدَعُ الجنّةَ وأنا أراها وأرى أهلَها معكَ. يا أميرَ المؤمنين، جَهِّزني بقوّةٍ أتقوّى بها على عدوِّك. فَأَعطاه أميرُ المؤمنين عليه السلام سلاحاً وحملَه، فكان في الحربِ بين يدَي أميرِ المؤمنين عليه السلام يضربُ قُدُماً وأميرُ المؤمنين عليه السلام يعجبُ ممّا يصنع.

..عَلِموا أنّ الموتَ سبيلُ مَن مضى ومَن بَقِي، فَتَزوّدوا لآخرتِهم غيرَ الذَّهبِ والفضّة.

فلمّا اشتدّتِ الحربُ أقدمَ فرسَه حتّى قُتِلَ رحمَه الله، وأتبعَه رجلٌ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فوجدَه صريعاً وَوَجدَ دابّتَه وَوَجدَ سيفَه في ذراعِه، فلمّا انقضتِ الحربُ أُتِيَ أميرُ المؤمنين عليه السلام بدابّتِه وسلاحِه، وصلّى عليه أميرُ المؤمنين، وقال: هذا واللهِ السّعيدُ حقّاً، فترحّموا على أخيكم» .

(الفيض الكاشاني، الوافي: ج ٢٦، ص ٢٢٦)

قال الفيض الكاشانيّ: (بيان:

* «التّعبئة»: التّهيئة. و«الشّحبة» -بالشّين المعجَمة والحاء المهملة والباء الموحّدة- بمعنى تغيُّر اللّون لعارضٍ من مَرَضٍ أو سَفَر.
* و«الاغتيال»: الإهلاك. يُقال: اغتالَه إذا أخذَه من حيث لا يدري.
* «شرّ يومَيه»: يعني شرّاً من يومِه.
* «زُوِيَ»: صُرِف وقُبِض، وفي بعض النُّسَخ، «رزي» بتقديم المُهملة، بمعنى نُقِص وتعاهدَ النّقصُ طلبَه وتداركَه.
* و«الصّريع»: المصروعُ لمرضٍ أو جراحةٍ أو غيرهم.
* و«التّلوّي»: الانفتالُ والانثناءُ، يعني ساقطٌ من المرضِ يتقلّبُ من جانبٍ إلى آخر.
* و«الجُودُ بالنّفس» كنايةٌ عن انتزاع الرّوح. وسجّيتُ الميتَ تسجيةً، إذا مددتُ عليه ثوبَه وسترتُه.
* و«النّجح»: الظَّفَرُ بالحوائج، و«الشُّحّ»: البُخل، و«الكَيس»: خلافُ الحُمق.
* و«التَّشوُّف للشيّء» -بالمعجمة والفاء: طموحُ البصرِ إليه.
* و«التّزيّن له في المواطن»: أي المواطن كلّها، يعني في الشدّة والرّخاء والفقر والغِنى إلى غير ذلك.
* و«التّجهيز» تهيئةُ ما يحتاج إليه.
* «قُدُماً» أي متقدّماً، ويُقال: رجلٌ قُدُم -بضمّتين- أي شجاع. ومَضَى قُدُماً: إذا لم يُقِم ولم يحتَبس).

**

* أوردَ الفيضُ هذه الموعظة نقلاً عن (مَن لا يحضرُه الفقيه)، وأوردَها المجلسيّ في (البحار: ج ٧٤، ص ٣٧٦) نقلاً عن (معاني الأخبار)، و(الأمالي) للصّدوق رحمه الله، وبالرّجوع إلى كُتُب الشّيخ الصّدوق الثّلاثة يتّضح أنّها وردت في (الفقيه: ج ٤، ص ٣٨١) ولم تَرِد فيها فقرة: «**يا شَيخ، إنّ الدّنيا خَضِرةٌ حلوة..**» إلى قولِه عليه السلام: «..**إلّا بخير**»، وكذلك وردَتْ في (معاني الأخبار: ص ١٩٨)، إلّا أنّها في (الأمالي) وردَتْ بزيادةِ هذه الفقرة، التي تجدها في صفحة ٣٧ بين قوسَين[ ].

الأمل وحركةُ الحياة
موازنةٌ بين الاعتدال والاسترسال

آية الله الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين رحمه الله

*** رؤيةُ الإمام عليه السلام لحركة التّاريخ في المستقبل لا تقتصرُ على رؤية النَّكَبات والكوارث -كما توحي بذلك كَثرةُ النّصوص الحاكية عن ذلك في (نهج البلاغة)- وإنّما تشملُ البشائرَ أيضاً.**
*** الأملُ الكبيرُ الآتي الذي يبشِّرُ به الإمام عليه السلام يتمثّلُ في قيام ثورة عالميّة تصحِّحُ وضعَ عالم الإسلام، ومن ثمّ وضعَ العالم كلِّه، يقودها رجلٌ من أهل البيت هو الإمام المهديّ عليه السلام.**

الإنسان يعيشُ في الحاضر مشدوداً بين وترَين: الماضي والمستقبل، فهو لا يَني يحملُ الماضي في وعيه، وفي ذاكرته، وفي تركيبِ جسده، مثقلاً بأحزانه وأفراحه، ومخاوفه وآمالِه، مندفعاً بها نحو المستقبل، يضيءُ عينَيه نورُ الأمل الذي يغمر قلبَه بالحياة الأفضل. ولكنّه أملٌ معذّبٌ بالحَيرة، والقلق، والمخاوف من خَيبات الأمل.

وهذه الحقيقة بارزةٌ في تكوين وحياة الإنسان الفرد بوضوح، وهي لا تقلُّ وضوحاً في حياة الأمم والشّعوب والجماعات.

وقد وقف الإسلامُ في تعليمِه التّربويّ الإيمانيّ للأفراد في وجه المَيل إلى الإغراق في الأمل، لأنّه حين يشتدّ ويغلب على مزاج الإنسان يجعلُه غيرَ واقعيّ، ويحبسُه في داخل ذاته، وينمّي فيه الشّعور بـ «الأنا» على نحوٍ لا يعود الآخرون موضوعاً لاهتمامه وعنايته، أو يجعله قليلَ الاهتمام بهم، وهذا أمرٌ مرفوضٌ في دينٍ يجعلُ الاهتمامَ الشّخصيّ بالآخرين أحدَ المقوّمات الأساسيّة للشّخصيّة الإنسانيّة السّليمة، ولأنّ الإغراقَ في الأمل يحولُ بين الإنسان وبين كثيرٍ من فرَص كثيرة للتّكامل الرّوحيّ والأخلاقيّ، والنّصوص القرآنيّة في هذا الشّأن كثيرة، كذلك النّصوص النّبويّة الواردة في السُّنّة. وقد حفلت مواعظُ الإمام عليّ عليه السلام في (نهج البلاغة) بالتّحذير من الاسترسالِ مع الآمال.

وهذا لا يَعني -بطبيعة الحال- أنّ تأميلَ الإنسان في مستقبله -باعتدال وواقعيّة- ممارسةٌ غير أخلاقيّة في الإسلام، كيف وقد حذّر اللهُ تعالى في القرآن الكريم من اليأس، ونَهى عنه في آياتٍ تذكّرُ برحمة الله ورَوح الله، ومن ذلك تعليم يعقوب سلام الله عليه لبَنيه حين أمرَهم بالبحث عن يوسف وأخيه، وذلك كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ يوسف:٨٧. "..."

والأملُ الموضوعيّ القائمُ على اعتباراتٍ عمليّةٍ تنبعُ من الجُهد الإنسانيّ، واعتباراتٍ عقيديّةٍ وروحيّة... هذا الأمل يشغلُ حيّزاً مهمّاً وأساسيّاً في تربية الله تعالى للبشريّةِ السّائرةِ في حياتها على خطّ الإيمانِ السّليم. وقد اشتملَ القرآن الكريم على آياتٍ محكَمات تتضمّن وعدَ الله تعالى بالنّصر والعزّة لأهل الإيمان، وقادتِهم من الأنبياء والتّابعين لَهم بإحسان. "..."

وقد وجّهَ اللهُ تعالى في القرآن الكريم رسولَه محمّداً صلى الله عليه وآله والمسلمين إلى أنّ الأملَ بالنّصر والحياة الأفضل يجبُ أن يبقى حيّاً نابضاً، دافعاً إلى العمل حتّى في أحلَكِ ساعاتِ الخذلان والهزيمة وانعدامِ النّاصر...

لقد كانت الآمالُ بالنّصر تتحقّقُ في النّهاية على أروعِ صُوَرها حين يخالجُ اليأسُ قلوبَ أهل الإيمان، وحين يصلُ الرُّسُلُ الكرامُ إلى حافّة اليأس :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يوسف:١٠٩-١١١.

**

إنّ الأمل الجَماعيّ بمستقبلٍ أكثر إشراقاً وأقلّ عذاباً، أو مستقبلٍ مترَعٍ بالفرح، خالٍ من المنغّصات... إنّ هذا الأمل يستندُ إلى وعدٍ إلهيّ. فهو، إذاً، ليس مغامرةً في المستقبل، وإنّما هو سيرٌ نحو المستقبل على بصيرة، وهو أملٌ يرفضُ الواقعَ التّجريبيّ الحافلَ بالمعوّقات نحو مستقبلٍ مثاليّ مشروطٍ بالعمل المخلصِ في سبيلِ الله. وفي سبيل الله تعالى بناءُ الحياة، وعمارةُ الأرض، وإصلاحُ المجتمع. كما أنّ هذا المستقبل مشروطٌ بالصّبر على الأذى في جَنبِ الله، والصّدق في تناول الحياة والتّعامل معها ومع المجتمع، والرّضا بقضاء الله تعالى.

**

والتّأمّلُ العميقُ الواعي في نصوص الكتاب الكريم والسّنّةِ الشّريفة التي تُفصح عن العلاقة بين الله عزّ وجلّ والإنسان، وتكشفُ عن طبيعة هذه العلاقة... كذلك التّأمُّل في الفقهِ المبنيِّ على هذَين الأصلَين... إنّ هذا التّأمّل يكشفُ عن أنّ العلاقة بين الله سبحانه والنّاس مبنيّةٌ على ثلاث حقائق ربانيّة؛ يقوم عليها وجودُ المجتمع البشريّ، وديمومتُه، ونموُّه وتقدُّمه :

الحقيقة الأولى: هي الإنعامُ المطلق غير المشروط بشيءٍ على صعيد الشّروط الماديّة للحياة، بما يكفلُ لها الدّيمومة والنّموَّ التّصاعديّ نحو الأفضل، فقد خلقَ الله تعالى الإنسان، وزوّدَه بالمواهب العقليّة والنّفسيّة والرّوحيّة التي تتيحُ له أن يتعاملَ مع الطّبيعة المسخَّرة له، وتمكّنُه من اكتشاف خَيراتِها وكنوزها، ومعرفةِ قوانينها وتوجيهِ هذه الاكتشافات والمعارف لخدمة نفسه ونوعه.

الحقيقة الثّانية: هي الرّحمة التي كتبَها الله تعالى على نفسِه: ﴿..كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ..﴾ الأنعام:١٢، والتي وَسِعَت كلَّ شيء: ﴿..وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ..﴾ الأعراف:١٥٦، وإقالةِ العَثرات -على صعيد الأُمم والجماعات والمجتمعات، والأفراد- والتّجاوز عن الخطايا والسّيّئات، ومنْح الفرَص المتجدّدة لتصحيح السّلوك، وتقويم الإعوجاج، والتّوبة والإنابة إلى الله تعالى، والعمل بقوانينِه وشرائعه. وهذه الحقيقة نابعةٌ من معادلةٍ تقابلُ بين حقيقتَين كونيّتَين :

أ- خيريّة الله الشّاملة المطلَقة.

ب- الحقيقة الموضوعيّة الثّابتة في الفكر الإسلاميّ، هي أنّ الإنسان خُلِقَ ضعيفاً. ﴿..وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾.

وما يخالف هذه الحقيقة من الآلام والكوارث فهو على قسمَين :

الأوّل: ناشئٌ عن عمل الطّبيعة وقوانينها، وهي قوانينُ تعمل، في غرضها الأقصى، لخيرِ الجنس البشريّ بصورة شاملة وغير مقيّدة بزمانٍ أو رقعةٍ جغرافيّة، وهذا ما يجعلُها قوانينَ عادلة، وإن أصابت بالآلام بعضاً من البشر في زمانٍ بعينِه أو مكان بعينِه.

وهذا بالنّسبة إلى الكوارث الطّبيعية التي تحصلُ بغير تدخّلٍ من الإنسان أو تقصيرٍ منه. أمّا ما يحدثُ في الطبيعة

نتيجةً لعمل الإنسان نفسِه أو سلبيّتِه، أو عدم التزامٍ بالقوانين (في عصرنا الحاضر: تلويثُ البيئة، مثلاً، أو روح الاستغلال والعدوان في المجتمعات الصّناعيّة ضدّ العالم الثّالث، مثلاً)... هذا النّوع من الكوارث يدخلُ في القسم الثّاني التّالي.

الثّاني: ناشئٌ عن سوء اختيار الإنسان، واستعجالِه الخيرَ قبل توفُّرِ شروطِه ونُضجِها، ومن عدوان بعضِهم على بعض.

الحقيقة الثّالثة: هي البشارة من الله تعالى بأنّ أمورَ الحياة والمجتمع تصيرُ إلى أفضل وأحسن ممّا عليه في الحاضر. ولكنّ هذه البشارة لا تتحقّق بطريقةٍ إعجازيّةٍ مَحضة.

إنّ تحقيق البشارة يتمُّ وفاءً بالوعدِ الإلهيّ، ومن ثمّ ففيها عنصرٌ غيبيٌّ غيرُ تجريبيّ، ولكنّ تحقيقَها مشروطٌ بالعمل البشريّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء:٩.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر:١٧-١٨.

**

من هذا المنطلق الثّابت في الفكر الإسلاميّ، ومن البشائر المحدَّدة في الكتاب الكريم والسُّنّة النّبويّة بفرجٍ شاملٍ آتٍ في النّهاية يملأُ الدّنيا عدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجَوْراً... من هذا المنطلق، ومن هذه البشائر، كانَ أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام يرى نورَ الأمل في المستقبل، وكان يبشّر بأنّ فرجاً آتٍ لا ريبَ فيه.

إنّ حركة التّاريخ تقضي به، وإنّ وعد الله يقضي به، واللهُ تبارك وتَعالى لا يخلفُ الميعاد.

وقد كانت رؤية الإمام صلوات الله عليه لحركة التّاريخ في المستقبل لا تقتصرُ على رؤية النَّكَبات والكوارث -كما توحي بذلك كَثرة النّصوص الحاكية عن ذلك في (نهج البلاغة)- وإنّما تشملُ البشائر أيضاً "..." وكانت رؤيةُ الإمام دقيقةً، محدّدةً، مُضيئةً، واضحةَ المعالم، في نطاقِ الخطوط الكبرى والتيّارات الأساسيّة لحركة التّاريخ، وإن لم تشتمل على التّفاصيل، من ذلك هذا الشّاهد على رؤيته لحركة الثّورة العادلة التي لا تنطفئ مهما تكالبت عليها الرّياح الهُوج، فقد قال له بعضُ أصحابه، لمّا أظفرَه اللهُ تعالى بأصحاب الجمل: وددتُ أنّ أخي فلاناً كان شاهدَنا ليَرى ما نصرَك اللهُ به على أعدائك، فقال له الإمامُ عليه السلام: «**أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟** فَقَالَ: نَعَم. قَالَ عليه السلام: **فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا، فِي عَسْكَرِنَا هَذَا، أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَى بِهِمُ الإِيمَانُ**».

هذا الأملُ الكبير الآتي الذي يبشّر به الإمام عليه السلام يتمثّل في قيام ثورة عالميّة تُصحِّح وَضْعَ عالم الإسلام، ومن ثمّ وَضْعَ العالم كلِّه، يقودُها رجلٌ من أهل البيت هو الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف.

وقد وردت في (نهج البلاغة) نصوصٌ قليلةٌ نسبيّاً تحدِّدُ بعضَ ملامحِ هذا الأمل، فمن ذلك قولُه عليه السلام: «**حَتَّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُم، وَيَضُمُّ نَشْرَكُم**».

والعقيدةُ بالإمام المهديّ عليه السلام عقيدةٌ إسلاميّةٌ ثابتة، أجمعَ عليها المسلمون بأَسْرِهم، ودلَّ عليها القرآنُ الكريمُ في جملةِ آيات، والسّنّة الشّريفة في مئات الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

(الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين، التّاريخ وحركة التّقدّم البشريّ ونظرة الإسلام: ص ١٩٧ - ٢٠٣)

مواعظُ الإمام عليّ عليه السلام والمشروعُ الإسلاميّ العالميّ

نهجُ البلاغة، نهجُ «الكوثر»

الشّيخ حسين كوراني

*** «لم نُغْزَ في عُقْرِ دُورنا -أيّها الأحبّة- ولم تُصبح بلادُنا «نَهباً صِيحَ في حُجُراته»، ولم نُصبح غُثاءً كغُثاء السَّيْل، إلّا حينَ أصبحت المواعظُ تقبعُ في هامشِ اهتمامنا. هذا إذا سمَحنا لها أن تدخلَ إلى دائرة الاهتمام».**

*** « ليس بينَنا وبين أن نشربَ من «الكوثر» إلّا أن نفتحَ (نهج البلاغة)، بشرطِ أن تكون قلوبُنا نقيّةً طاهرة، عندها سنَشعرُ أنّ هذا الطَّعمَ، هو طعمُ الكَوثر..»**

من درسٍ في «مسجد الحوزة الدّينيّة» في صور، عام ١٩٩٤م، بعد أن أعدتُ النّظر فيه، وأضفتُ إليه بعضَ الأَسطر.

تحتلُّ الموعظةُ في القرآن الكريم موقعاً شامخاً سامقاً كما سَنرى.

إنّها المحورُ والأساس، نحن في أحسنِ حالاتنا نعدُّها أمراً من الأمر، وشأناً من الشأن، شيئاً مّا، أمّا أن نعدُّها المحورَ الذي ينبغي أن تدورَ عليه رَحى كلِّ الأعمال، فهذا أمرٌ لا يتحقّقُ عادةً.

ترى، هل نحتاجُ بعد نهجِ أبي الحسن عليٍّ عليه السلام إلى دليلٍ على التّوأمةِ الكاملة بين الموعظة والجهاد، وهل أبقى حديثُ شفرَتي (ذي الفقار) مجالاً للتّساؤل عن جَدوى الموعظة، أو عن إمكانيّة الاهتمامِ بأمور المسلمين والجهاد إذا غلبَ على المؤمن طابعُ الوَعظ .

سَلْ (ذا الفقار) يُنبئْك أنّ الجهاد لا يُمكن أن يكون ماضياً كحدِّ السّيف إلّا إذا انطلقَ من الشّخصيّة المتّعظة .

كان الإمام عليّ عليه السلام في مجال الطّعام والأَخْذِ من الدّنيا مكتفياً بقرصَيه، ومع ذلك كان بعضُ فعلِه (الإستراتيجيّ) في ساحة الجهاد دقَّ عُنُقِ عمرو بنِ وِد، وقَلعَ بابِ خيبر، وحصاداً -في بدر- هو نصفُ القتلى، والنّصف الآخر للملائكة ولسائر الجيش .

كان عليٌّ عليه السلام قد اكتفى من لباسه بطِمرَيه -بثوبَين قديمَين- متّعظاً بما سمعَه من رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلّا أنّه ألبسَ الأجيالَ كلّها أبرادَ العزِّ والكرامةِ والسّؤدَد . كان عليٌّ عليه السلام واعظاً متّعظاً، زاهداً في الدّنيا، معرضاً عنها، طلّقها ثلاثاً، ولذلك فإنّه عليه السلام ما يزال -وسيظلّ- هاجس الطّواغيت، كلِّ الطّواغيت .

وفي عصرنا الحاضر -أيّها الحبيب- ترجمة وافية لمواعظه عليه السلام، تحدّثنا ببعض ما بذره عليٌّ عليه السلام في ظَهر الغَيب، ليَنبت في هذا العصر من خلال أبي مصطفى الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه.

ترجمةُ مواعظ الأمير هذه، هي ما نعرفه باسم (خطّ الإمام) و ما نعرفه بـ (المقاومة الإسلاميّة) الرّائدة.

كان الإمام الخمينيّ زاهداً عابداً واعظاً متّعظاً، و لذلك مكّن له اللهُ عزّ وجلّ فاستطاعَ أن يهـزّ الخافقَين. شَهِدَ الإمام انهيارَ المعسكر الشّرقيّ، وهذا هو المعسكرُ الغربيّ رغم أنّه يبدو منتصراً فإنّ تحليلات كبار الاقتصاديّين الأميركيّين تحدّثنا عن مستقبلٍ مرعبٍ للشّيطان الأكبر.

لقد قال الإمام رضوان الله عليه: (**هذا القرن قرنُ انتصارِ الإسلام، قرنُ غَلَبةِ المستضعَفين على المستكبرين**). ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٨. وها هم أبطالُ المقاومة الإسلاميّة، ونحن نرى ونلمسُ فعلَهم الإستراتيجيّ في مختلَف العمليّات، لا يحتاجُ إلى إقناعِ الآخَرين بقوّة تأثيره وخطورةِ آثاره.

عمليّة الدّبشة -العمليّة الأخيرة- هذا الرّدُّ الذي أتي بعد أقلّ من يومٍ على متفجّرة العدوّ في (الصّفير)، إلى ما

يستندُ هذا لفعل؟ يستندُ إلى توفيق الله تعالى لمجاهدينَ متّعظين بالقرآن الكريم، وبما جاء عن رسول الله ﷺ، وبـ (نهج البلاغة)، محاولين الاقتداء بأبي الحسن عليه السلام، وبأهلِ البيت عليهم السلام، ليتحقّقَ ما يتيسّر من حُسن الاقتداء بسيّد النّبيّين ﷺ. نحن نعرفُ هؤلاء الشّباب في الظّاهر، لكنّنا لا نعرفُ حقائقَهم.

أيّها الحبيب: ربّما نكتشفُ في يوم القيامة أنّ الصّورة الحقيقيّة لهذا المجاهد أو ذاك من هؤلاء الشّباب الذين نعرفهم هي كصورةِ الإمام الحسين عليه السلام الآن التي في أذهاننا، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام أعظمُ بكثيرٍ وبما لا يُقاس، وبما لا يُمكننا إدراكُه ولو من بعيد. أن يصبحَ شهيدٌ جارَ رسول الله ﷺ، (**وَشِيعَتُكَ عَلى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ مُبْيَضَّةً وُجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الجَنَّةِ وَهُمْ جِيرانِي**)، ومن أُمراء الجنّة، فهذا شأنٌ آخر فوقَ الدّنيا وما فيها.

لماذا هذا القُربُ في الآخرة من رسول الله ﷺ؟ إنّه تجسيدٌ لقُربٍ كان في الدّنيا. هؤلاء الشّباب الذين نعرفُهم في الظّاهر، لا يمتلكُ أحدُهم أحياناً كثيرةً حتّى ثمنَ ثوبَيه -طمرَيه- لا يمتلكُ حتّى هذا الثّمنَ الصّغير، إلّا أنّه ينسجُ للأمّة حُلَل العزّ والفَخار، ولولاهم لكنّا عراةً في سوق النّخّاسين.

كرامتُنا، عنفوانُنا، شعورُنا بوجودنا مرتبطٌ بتوفيق الله عزّ وجلّ لهؤلاء المجاهدين.

ما هو السّرُّ في شخصيّتهم يا تُرى؟ إنّه (**الاتّعاظ**). الاهتمام بالموعظة، والحرصُ عليها، وبذلُ الجهد في تحويلِها إلى سلوكٍ وعمل. أدرَكوا حقائق الدّنيا وأطلّوا على حقائق الآخرة واستَشرفوها، فهم يستعدّون للآخرة، يستعدّون ليوم العرضِ على الله تعالى. إقرأ وصايا الشّهداء، تَجِدْ أنّ المحورَ هو اتّعاظُهم.

لأنّهم اتّعظوا تَعَمْلَقَ الفعلُ عندَهم فإذا هو استراتيجيّ. لأنّهم عاشوا مع أمير المؤمنين عليه السلام في (**صفات المتّقين**)، وفي موقفه من المال، وفي نظرتِه إلى الدّنيا، وفي حنينِه إلى الشّهادة، شربوا مع الحليب حبَّ أبي الحسن، الذي أمرَ رسولُ الله ﷺ بحبّه، وعندما بدأت مداركُهم تنمو -رُوَيْداً رويداً- تفتّحتْ على مواعظِ أبي الحسن عليه السلام.

الموعظة -إذاً- هي السّرُّ في هاتَين التّرجمتَين الوافيتَين لحديث (نهج الكوثر) وشفرتَي(ذي الفقار):

التّرجمة الأولى الشّاملة والأمّ: خطُّ الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه.

التّرجمة الثّانية: المقاومة الإسلاميّة، وهي أنضجُ ثمرَات (خطّ الإمام).

تكشفُ هاتان التّرجمتان عن أهميّة الوعظ والاتّعاظ، وتكشفان كم نذهبُ في الخطأ بعيداً وعريضاً حين تبقى الموعظةُ تقبعُ في هامش اهتمامنا، حتّى في هامشِ اهتمام الكثير من (المشايخ) منّا، وليس حديثُ الشّيخ مثلي عن الموعظة كاشفاً عن أنّ الموعظة تحتلُّ في ذهنِه موقعَها الطبيعيّ. أبداً، فقد يكون مرضُ تهميش الموعظة قد ضربَ حتّى هذا الشّخصَ (الواعظ).

لِيسأل كلٌّ منّا نفسه. ماذا يتبادر إلى ذهنِه عندما يسمعُ كلمةَ موعظة؟ لماذا صارت (المَسكَنة) و(الدَّرْوَشة) مقترنةً بالموعظة؟!

من أين جاءَنا هذا الفهمُ المُعْوَجُّ الخاطئ؟

* الواعظُ الأوّل هو اللهُ تعالى، والقرآنُ الكريم مواعظُه تعالى

للموعظة في الإسلام تلك المكانة العالية. اللهُ عزّ وجلّ هو الواعظُ الأوّل. الأنبياء عليهم السلام وُعّاظ. أهلُ البيت -والإمام عليّ عليه وعليهم السلام- سادةُ الواعظين.

* **لنتأمّل بعض النّصوص**: يعرّف اللهُ تعالى نفسَه بأنّه واعظ، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾

النساء: ٥٨. **وفي آية ثانية:** ﴿..يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:٩٠. **وفي آية ثالثة:** ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ النور:١٧. **وفي آية رابعة:** يقولُ عزّ وجلّ للنّبيّ نوح -على نبيّنا وآله وعليه السلام-: ﴿..يَا نُوحُ ... إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود:٤٦. اللهُ عزّ وجلّ هو الواعظُ الأوّل، والقرآنُ الكريم موعظتُه سبحانَه وتَعالى. والآياتُ كثيرةٌ في وصفِ القرآن بالموعظة منها: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ..﴾ آل عمران:١٣٨.

وأنبياءُ الله تعالى وعّاظ

وصفَ القرآنُ الكريم الأنبياءَ بأنّهم وعّاظ. والآياتُ في ذلك كثيرة. منها حول سيّد النّبيّين صلى الله عليه وآله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ النساء:٦٣. (إلى غير ذلك من الآيات التي تُعرَف وتُقرَأ كثيراً).

كما نجدُ أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا إذا أُتيحت لأحدهم فرصة، يقول:(**يا رسولَ الله ،عِظْني**).

لا يسأل عن الأوضاع السّياسيّة، وكيف يقرأُها ويحلِّلُها! بل، يا رسولَ الله ،عِظْني.

كذلك أصحابُ الأئمّة عليهم السلام، كان أحدُهم إذا أُتيحَت له فرصة، يسألُ الإمام: (**يا أميرَ المؤمنين عِظْني، يا ابنَ رسول الله، عِظْني**). أحياناً يطلبُ أن تكونَ الموعظةُ موجزةً ليحفظَها: (**عِظْني وَأَوْجِز**)، وما أكثرَ المواعظ التي جاءَت في سياق قولِ القائل: عِظْني. أنبياءُ الله تعالى وأولياؤه سبحانه وعّاظ.

ضرورةُ إعادة الاعتبار للمَوعظة

عندما نقارنُ بينَ هذا الموقع المتميّز للموعظة، وبين ما هو الغالبُ علينا والسّائدُ فينا في التّعامل مع الوعظ والمواعظ، نجدُ الفرقَ الهائلَ إلى حدٍّ أنّنا نجدُ التّناقضَ العجيب -في الغالب- لدى مَن يهتمّ بالموعظة نسبيّاً، فهو يهتمُّ بها نظريّاً ويهمّشُها عمليّاً. يستحي أن يتمحّض حديثُه في الموعظة، بل يستحي أن يغلبَ على عملِه التّبليغيّ طابعُ الوعظ، إلى حدّ أنّ (أسابيع الموتى) ومناسبات الحديث عن الموتى لا تكادُ تشهَد حديثاً عن الوعظ والإرشاد، إلّا النّزر اليَسير، وعندما يتضمّنُ البرنامج كلمةً في الوعظ والإرشاد، فهي كلمةٌ ثانويّة.

أصبحنا نعتبرُ أنّ التّحليل السّياسيّ، والقراءة السّياسيّة أهمّ من الموعظة!

صحيحٌ أنّه لا بدّ من التّحليل السّياسيّ، ويجب أن نُعنى به، إلّا أنّ الذي يصنعُ المحلِّل السّياسيّ هو ضرامُ لهيبِ الباطن المتصاعدِ من أتون المواعظ، وإلّا فإنّ الإنسان يغرقُ في أوحال تحليلِه، ويقضي على نفسِه والآخرين.

بالموعظة، ببناء النّفس، بالجهادِ الأكبر، يُمكننا أن نحقّقَ ليس التّوازن الإستراتيجي مع الأعداء فحسب، وإنّما بالموعظة يُمكننا أن نحقّقَ التّفوّق على الأعداء ونُحرزَ النّصر. إنّ هذا الأمر يحتاجُ إلى بذل جُهدٍ في مجاله يتناسبُ مع المسؤوليّات الجسام الملقاةِ علينا. نحتاجُ إلى إعادة الاعتبارِ في نفوسنا إلى الموعظة، ثمّ نثبّتُ حضورَها في التّخطيط الثّقافيّ والإعلاميّ بمختلفِ أساليبِه ووسائله، وفي مناهج الدّورات، خصوصاً تلك التي تُعنى بالإرادة وقيادة الذّات، وعلم النّفس والبَرمجة العصبيّة، والإرشاد الأُسَريّ.وحيث قد تفاقمت في هذا العصر المنكَرات وخيّمت أجواؤها، فإنّنا دائماً بأَمَسِّ الحاجة إلى التّواصل مع الوعظِ والإرشاد.هنا أسألُ نفسي وغيري: نحن بشكلٍ عامّ أين يجري تَواصلُنا مع الوعظ والإرشاد؟ أين نتّعظ؟ أين (نشحن بَطارّياتنا) بالوَقود الإيمانيّ، أين؟ لأنّنا لا نُعير هذا الأمر الاهتمامَ الكافي أصبحت النّتيجة كما نحسُّ ونرى. النّتيجة، ضعْفُ الرّادع الدّاخليّ فينا، والتّأثّر بالأجواء العامّة الماديّة، وإذا كان في شخصٍ منّا بقيّةُ وقودٍ إيمانيّ، فإنّ وسائل الإعلام -وفي طليعتِها التّلفزيون- كفيلةٌ بالقضاء على هذه الثُّمالة الباقية.

حقّاً، متى وأين نزوّد أنفسَنا بالمخزون الرّوحيّ والوَقود الإيمانيّ؟ هل يتمّ ذلك من خلال الصّلاة؟ إنّنا نعرفُ كيف نصلّي، نصلّي ونحن نفكّر بفلان والمسألة الفلانيّة و(الشّغلة) الفلانيّة!!

أو يتحقّق عبر قراءة القرآن؟ إذا كانت قراءةُ القرآن من دون تدبّر وتأمّل فإنّ القلبَ لم يتّصل ليُمكن أن ينتقلَ إليه المخزون الرّوحيّ (بطاريّة القلب لا تشحن) حيث لم توجَد وسيلة مناسبة لنقلِ الوَقود الإيمانيّ.

أم هل نزوّد أنفسنا بالمخزون الرّوحيّ من خلال قراءة كُتبٍ تذكّرنا بالآخرة؟

وأحاديثُنا مع بعضنا، هل يغلبُ عليها -أو يحضرُ فيها بوضوح- طابعُ التّذكُّر والإرشاد؟

صحيحٌ أنّه لا بدّ من التّرفيه عن النّفس، والمزاح، واللّهو الحلال والضّحِك، وليس سليماً أن يبقى الشّخصُ دائماً يتكلّم عن الآخرة والقبر. لكن ليس صحيحاً أن يكون الغالب -فضلاً عن الدّائم- سوءُ الفعلِ والقول وإطباقُ الغَفلة عن المسار والمصير، وكيف يُمكن لَمن هذه حالُه أن يكفَّ الأذى عن النّاس، ويُحسنَ اختيارَ الصُّحبة، ويحفظَ كراماتِ الآخرين، ويشتغل بما خُلِقَ له. على كلٍّ منا أن يتنبّهَ جيّداً إلى كيفيّة تزويد نفسِه بالوقود الإيمانيّ، فيهتمّ بالموعظة، وسيقودُه ذلك تلقائيّاً إلى علاقةٍ خاصّةٍ بـ (نهج البلاغة) ومواعظِ أمير المؤمنين عليه السلام، ليسيرَ بها ومعَها في آفاق النّفس والقرآن الكريم والحديث الشّريف.

(نهجُ البلاغة) حوضُ الكَوثر

ثمّ إنّ (نهج البلاغة) هو (حوضُ الكوثر) وهو (نهرُ الكوثر)، مَن شَرِبَ من (نهج البلاغة) سيشربُ من (الكَوثر).

أيّها الحبيب، نسمعُ كثيراً أنّ علياً عليه السلام ساقي الحوض، ما معنى (ساقي الحوض)؟

حوضُ الكوثر هو حَوضُ رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ الذي يَسقي منه هو عليٌّ عليه السلام، ما هو السَّبب؟

لأنّ حوضَ الكوثر هو صورةٌ معنويّة، صورةٌ مَلَكوتيّة عن الهداية المحمّديّة في الدّنيا، فهو حوضُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، ولأنّ الشّربَ والأَخذَ والاقتداءَ برسول الله صلى الله عليه وآله، والشّربَ من حوضِه والأخذَ منه في الدّنيا لا يُمكِنُ أن يتحقّق إلّا من خلال عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، لأجلِ ذلك، كان السّاقي على الحوض في يومِ القيامة هو أميرُ المؤمنين عليه السلام.

بلى.. (**أنا مدينةُ العِلم وعليٌّ بابُها**)، و(**عليٌّ ساقي الحوض**)، معناهما: لا يُمكن، على الإطلاق، أن يهتديَ مهتَدٍ في الدّنيا بنورِ المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله إلّا إذا تمسَّكَ بعليٍّ عليه السلام، وعندَها يُمكنُه أن يشربَ من حوض الكوثر، من يدِ السّاقي الذي شربَ منه في الدّنيا، لأنّ الآخرةَ هي باطنُ الدّنيا، تتجسّمُ الأمورُ في الآخرة، الأمور الدّنيويّة تتجسّم وتُصبح في الآخرة بشكلٍ يتناسبُ مع ذلك العالَم.

وحدّثينا يا روايات الكوثر عن طَعم الكوثر، ماذا تقولُ الرّوايات عن طَعم الكوثر؟ (**أَحْلَى من العَسل، وأَلْيَنُ من الزُّبد**). حدّثينا يا روايات الكوثر. تقول: (**في كلِّ رشفةٍ مَذاق، ولكلّ شربةٍ طَعم**). ما هذه الرَّشفة من الكوثر؟ ألا تحنُّ نفسُك -أيّها الحبيب- إلى شربةٍ من يدِ أبي الحسن عليه السلام لا ظَمَأَ بعدَها؟

نحن أمامَ دفّتَي (نهج البلاغة) على ضفافِ الكوثر، ليس بينَنا وبين أن نشربَ من الكوثر إلّا أن نفتحَ (نهج البلاغة)، بشرطِ أن تكونَ قلوبُنا نقيّةً طاهرة، عندها سنشعرُ أنّ هذا الطَّعم هو طعمُ الكوثر، غفرانَك اللّهمّ وحَنانيك، فإذا كان القلبُ مظلماً بالذّنوب، إذا كانت حُجُبُ المعاصي تحولُ بينَ القلبِ و(النّهجِ الكوثر)، فهَل إلى خلاصٍ من سبيل؟ بلى أيّها الحبيب، حبُّ عليٍّ عليه السلام يُطفِئُ بحاراً من نار، والمُحبُّ مطيعٌ لَمن أحبّ. أللّهمّ ارزُقنا الحبَّ الحقيقيّ الذي لا ينفصلُ عن الطّاعة.

من أدعية الإمام صاحب الزّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

وَبارِكْ لَنا فِي شَهْرِنا هذا المُرَجَّبِ المُكَرَّمِ

«شعائر»

من جملة التّواقيع المباركة التي خرجت من النّاحية المقدّسة، دعاءان من أدعية شهر رجب، وزيارة تُعرَف بـ «الزّيارة الرّجبيّة» تُقرَأ عند الحضور في أيٍّ من المشاهد المشرّفة، وهي غير «الزّيارة الرّجبيّة» التي يُزار بها سيّد الشّهداء عليه السلام خاصّة، والتي رواها الشّيخ المفيد والشّهيد الأوّل، وتتضمّن أسماء شهداء كربلاء رضوان الله عليهم.

وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ العِصَم

خَرَج هذا التَّوقيعُ الشَّريف من النَّاحية المقدَّسة على يد الشَّيخ الكبير أبي جعفر محمَّد بن عثمان بن سعيد قدس سره: «أُدعُ في كلّ يومٍ من أيّام رجب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، **اللَّهُمَّ** إنِّي أسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أمْرِكَ، المَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، المُسْتَبْشِرُونَ بِأمْرِكَ، الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ. أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيَّتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأرْكاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ، الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا (بينهم) إلّا أنَّهم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ، أعْضَادٌ وأشْهَادٌ، وَمُنَاةٌ وَأذْوادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمَاءَكَ وَأرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أنْ لا إلهَ إلّا أنْتَ، فَبِذَلِكَ أسْأَلُكَ وَبِمَوَاقِعِ العِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ وبِمَقَامَاتِكَ وعَلامَاتِكَ أنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأنْ تَزِيدَنِي إيمَاناً وَتَثْبِيتاً، يَا باطِناً فِي ظُهُورِهِ، ويَا ظاهراً فِي بُطُونِهِ وَمَكْنُونِهِ، يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّورِ والدَّيْجُورِ، يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْهٍ، وَمَعْروفاً بِغَيْرِ شِبْهٍ، حَادَّ كُلِّ مَحْدُودٍ، وَشَاهِدَ كُلِّ مَشْهُودٍ، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُودٍ، وَفَاقِدَ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُودٍ، أهْلَ الكِبْرِيَاءِ وَالجُودِ. يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ بِكَيْفٍ، وَلا يُؤَيَّنُ بِأيْنٍ، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْنٍ، يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّومُ، وعَالِمَ كُلِّ مَعْلُومٍ، صلِّ عَلى عِبَادِكَ المُنْتَجَبِينَ، وَبَشَرِكَ المُحْتَجَبِينَ وَمَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ، وبُهَمِ الصَّافِّينَ الحَافِّينَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَهْرِنَا هَذا المُرَجَّبِ المُكَرَّمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الأشْهُرِ الحُرُمِ، وَأسْبِغْ عَلَيْنَا فِيهِ النِّعَمَ، وَأجْزِلْ لَنَا فِيهِ القِسَمَ، وأبْرِرْ لَنَا فِيهِ القَسَمَ، بِاسْمِكَ الأعْظَمِ الأجَلِّ الأكْرَمِ الَّذي وَضَعْتَهُ عَلى النَّهَارِ فَأضَاءَ وَعَلى اللَّيْلِ فَأظْلَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا تَعْلَمُ مِنَّا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ العِصَمِ، وَاكْفِنَا كَوَافِيَ قَدَرِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنَا إلى غَيْرِكَ، وَلا تَمْنَعْنَا مِنْ خَيْرِكَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيما كَتَبْتَهُ لَنَا مِنْ أعْمَارِنَا، وَأصْلِحْ لَنَا خَبِيئَةَ أسْرَارِنَا، وَأعْطِنَا مِنْكَ الأمَانَ، واسْتَعْمِلْنَا بِحُسْنِ الإيمَانِ، وَبَلِّغْنَا شَهْرَ الصِّيَامِ، ومَا بَعْدَهُ مِنَ الأيَّامِ والأعْوَامِ، يَا ذا الجَلالِ والإكْرَامِ».

دعاءُ المولودَين في رجب عليهما السلام

خرج من النَّاحية المقدَّسة -أيضاً- على يد الشّيخ أبي القاسم قدس سره، هذا الدُّعاء في أيّام رجب: «**اللَّهُمَّ** إنِّي أسْأَلُكَ بِالمَوْلُودَيْنِ فِي رَجَبٍ، مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثَّانِي وَابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ المُنْتَجَبِ، وَأتَقَرَّبُ بِهِما إلَيْكَ خَيْرَ القُرَبِ، يا مَنْ إلَيْهِ المَعْرُوفُ طُلِبَ، وفِي مَا لَدَيْهِ رُغِبَ، أسْأَلُكَ سُؤالَ مُعْتَرِفٍ مُذْنِبٍ قَدْ أوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ، وَأوْثَقَتْهُ عُيُوبُهُ، وَطَالَ عَلى الخَطَايَا دُؤُوبُهُ، وَمِنَ الرَّزايا خُطُوبُهُ، يَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ، وَحُسْنَ الأوْبَةَ، والنُّزُوعَ مِنَ الحَوْبَةِ، وَمِنَ النَّارِ فَكَاكَ رَقَبَتِهِ، والعَفْوَ عَمَّا فِي رِبْقَتِهِ، فَأنْتَ يا مَوْلايَ أعْظَمُ أمَلِهِ وَثِقَتِهِ. **أللَّهُمَّ** وأسْأَلُكَ بِمَسَائِلِكَ الشَّرِيفَةِ، وَوَسَائِلِكَ المُنِيفَةِ، أنْ تَتَغَمَّدَنِي فِي هَذا الشَّهْرِ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ وَاسِعَةٍ، وَنِعْمَةٍ وَازِعَةٍ، وَنَفْسٍ بِمَا رَزَقْتَهَا قَانِعَةٍ إلَى نُزُولِ الحَافِرَةِ، وَمَحَلِّ الآخِرَةِ، وَمَا هِيَ إلَيْهِ صَائِرَةٌ».

الزّيارة الرّجبيّة

وعن أبي القاسم حسين بن روح قدس سره أنّه قال: «زُرْ أيّ المشاهد كنت بحضرتها في رجب، وتقول: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، الحَمْدُ لله الَّذِي أشْهَدَنا مَشْهَدَ أوْلِيائِهِ فِي رَجَبٍ وَأوْجَبَ عَلَيْنا مِنْ حَقِّهِمْ ما قَدْ وَجَبَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ المُنْتَجَبِ وَعَلى أوْصِيائِهِ الحُجُبِ، **أللّهُمَّ** فَكَما أشْهَدْتَنا مَشْهَدَهُمْ فَانْجِزْ لَنا مَوْعِدَهُمْ وَأوْرِدْنا مَوْرِدَهُمْ غَيْرَ مُحَلَّئِينَ عَنْ وِردٍ فِي دارِ المُقامَةِ وَالخُلْدِ وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ؛ إنِّي قَصَدْتُكُم وَاعْتَمَدْتُكُمْ بِمَسْأَلَتِي وَحاجَتِي وَهِيَ فَكاكُ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ وَالمَقَرُّ مَعَكُمْ فِي دارِ القَرارِ مَعَ شِيعَتِكُم الأبْرارِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ. أنَا سائِلُكُمْ وَآمِلُكُمْ فِيما إلَيْكُم التَّفْوِيضُ وَعَلَيْكُم التَّعْوِيضُ، فَبِكُم يُجْبَرُ المَهِيضُ وَيُشْفى المَرِيضُ وَما تَزْدادُ الأرْحامُ وَما تَغِيضُ. إنِّي بِسِرِّكُمْ مُؤْمِنٌ وَلِقَوْلِكُمْ مُسَلِّمٌ وَعَلى اللهِ بِكُمْ مُقْسِمٌ فِي رَجْعِي بِحَوائِجِي وَقَضائِها وَإمْضائِها وَإنْجاحِها وَإبْراحِها وَبِشُؤُونِي لَدَيْكُمْ وَصَلاحِها، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ سَلامَ مُوَدِّعٍ وَلَكُمْ حَوائِجَهُ مُودِعٌ يَسْأَلُ اللهَ إلَيْكُمُ المَرْجِعَ وَسَعْيَهُ إلَيْكُمْ غَيْرَ مُنْقَطِعٍ، وَأنْ يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرَ مَرْجِعٍ إلى جَنابٍ مُمْرِعٍ، وَخَفْضِ عَيْشٍ مُوَسَّعٍ، وَدَعَةٍ وَمَهَلٍ إلى حِينِ الأجَلِ، وَخَيْرِ مَصِيرٍ وَمَحَلٍّ فِي النَّعِيمِ الأزَلِ، وَالعَيْشِ المُقْتَبَلِ وَدَوامِ الأُكُلِ وَشُرْبِ الرَّحِيقِ، وَالسَّلْسَلِ وَعَلٍّ وَنَهَلٍ لا سَأمٍ مِنْهُ وَلا مَلَلٍ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، وَتَحِيَّاتُهُ عَلَيْكُمْ حَتَّى العَوْدِ إلى حَضْرَتِكُمْ وَالفَوْزِ فِي كَرَّتِكُمْ وَالحَشْرِ فِي زُمْرَتِكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

علاماتُ الظّهور
ضرورة وضع ضابطة عامّة لدراسة الرّوايات

السّيّد جعفر مرتضى العاملي

من الأمورِ الّتي أصبَحت مألوفة لنا، أنْ نَجدَ كثيرين من النَّاس حين يُواجهون الأزمات، ويَجدونَ أنفسَهم وجهاً لوجهٍ مع الأحداثِ الكبيرة والخطيرة، نَجِدُهم يُظهرون اهتماماً متزايداً بقضيّة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف وبعَلائم الظُّهور، ويَبحثون عن المزيد ممَّا يَمنَحُهم بصيصَ أَمَل، ويُلقي لهم بعض الضَّوء على ما سيَحدث في المستقبل القريب أو البعيد.

يحاولُ عددٌ من الكُتَّاب والمؤلِّفين الاستجابة للرَّغبة الظَّاهرة عند النّاس في معرفة علائم حركة ظهور الإمام المهديّ صلوات الله عليه، ويَبذلون جهوداً كبيرةً لِترسيمِ مستقبلِ الأحداث وفْقَ ما يتيسَّر لهم فهمُهُ من النُّصوص الحاضرة لديهم. تلك النُّصوص الَّتي جاء أكثرُها غامضاً وغائماً، اختَلَطَ غثُّها بِسَمِينِها، وصَحيحُها بِسَقيمِها، وتَعرَّض كثيرٌ منها للتَّحريف، وزِيدَ فيه أو نُقِّصَ منه، هذا عدا عن الكثير ممَّا اختَلَقَتْهُ يدُ الأطماعِ والأهواءِ.

إنَّنا وإن كنَّا نؤيّدُ لجوءَ النَّاسِ إلى الدِّين وإلى النُّصوص الدِّينيّة، وشعورهم بأنَّه هو الَّذي يَملكُ الإجابات الصَّحيحة على كثيرٍ من تساؤلاتِهم، ولديه الحُلول الجذريَّة لِمَا يُعانون من مشكلاتٍ وبلايا، إلَّا أنَّ تعامُلَهم في خُصوص الإخبارات الغَيبيّة، وبالأخصّ مع قضيّة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، قد جاء ليُنذرَ بانحرافٍ خطيرٍ في المجالِ العقائديّ، فضلاً عن المجالِ العلميّ، وذلك حينما اقْتَصَر على زاويةٍ واحدةٍ منه، وهي تلك الّتي تَشغلُ بالَ النَّاس، وتَستأثِرُ باهتماماتِ الكَثرةِ الكاثِرةِ منهُم، أَلَا وهي علاماتُ ظهورِه عليه السلام وما رافَقَ ذلك من إخباراتٍ غيبيَّةٍ بِما سَيَحدثُ في آخر الزَّمان، أو في طُولِ الزَّمان المُمتدِّ من عصرِهم صلوات الله وسلامه عليهم إلى حين ظُهورِ الإمام الحُجَّة عجل الله فرجه الشريف.

وقد اسْتَبْطَنَ ذلك إهمالَ سائرِ مُفرداتِ ومجالاتِ التَّعامل مع هذه القضيّة حتَّى أصبَحَت في عالَمِ النِّسيان، لا تكادُ تَخطر لأحدٍ منهم على بالٍ، ولا تمرُّ له في خاطِرٍ، رغم أنَّها هي الأهمّ والأكثر مَساساً بحياتِهم وبوُجودِهم، وعلى رأسِها التَّعاملُ معه عليه السلام كقائدٍ للمَسيرة، ومُهَيْمِنٍ على السُّلوك والموقف، ومُوَجِّهٍ لها.

وهكذا، لم يَعُد الإمامُ المهديّ عليه السلام بالنِّسبة إلى الكثيرين منَّا هو ذلك الإمامُ الحاضرُ والنَّاظِرُ، الّذي يعيشُ من أجلِ قضيَّةٍ، ويَعملُ ويُضحِّي، ويدعونا إلى العملِ والجهادِ والتَّضحية من أجلِها وفي سبيلِها. كما أنَّنا لم نَعُد نحمل هُمومَه كما يَحملُ هو هُمومَنا، ولا نَشعر معه كما يَشعر هو معنا، ولا نَرْقبُ حركَتنا معه كما يَرقبُ هو حركتَنا، ولا نتوقَّع منه، ولا نُريد أن يَتوقَّع منَّا أيَّ عملٍ إيجابيٍّ تجاه القضيّة الكبرى الّتي يعيشها، ويُجاهدُ ويُعاني في سبيلِها، وهي قضيّة الإسلام والإنسان التي تمسُّ وجودَنا ومستقبلَنا ومصيرَنا في الصَّميم.

الانحراف يَتَضاعف

حتّى في ما يختصّ بذلك الجانب الخاصّ، ويَرتبطُ بتلكَ الزَّاوية المحدودة التي آثرناها على كلِّ ما هو سواها، وهي الإخبارات المستقبليّة وعلامات الظُّهور، فإنَّ تعامُلَنا معها قد جاء بصورةٍ خاطئةٍ بدرجةٍ كبيرةٍ، وذلك حينما نَجِدُ أنفسَنا في موقعِ المُستَسْلِم الخاضِع لأمورٍ نعتقدُها حتميَّةً ولا مناصَ منها، فهي القضاءُ المُبْرَم، والقَدَرُ اللَّازم. الأمر الّذي مِن شأنِه أنْ يُرسِّخ فينا الشُّعور بالإحباط والانهزام، والعجز، ما دمْنا نَجِدُ أنفسنا في مواجهة أمرٍ خارجٍ عن اختيارِنا، لا نَملكُ دفعَه، ولا التَّأثيرَ فيه.

ومن جهةٍ ثانية: فإنَّ ذلك يَبعث فينا الشُّعور بالرِّضى، وبراءةِ الذِّمَّة حيث لم نعد نتحمَّل أيّة مسؤوليّة، ولا يُطلب منّا، أو فَقُلْ ليس من الصَّحيح أنْ يُطلبَ منَّا تَسجيلُ أيّ موقفٍ تجاه الأحداث، والمستجدَّات مهما كانت.

إذاً، فلا مكان بعد هذا للشُّعور بالذَّنب، ولا بالتَّقصير، إذا تركنا الفسادَ يَستَشْري، والظُّلمَ يَسودُ ويُهَيْمِن. بل يكون التَّصدِّي لذلك حتّى في أدنى دَرَجاتِه، وأسلم عَواقِبه هو الذَّنب وهو

* من كتابه: (دراسة في علامات الظّهور) – بتصرّف يسير

الجريمة، حيث إنَّه يمثِّل اعتراضاً على إرادةِ اللهِ سبحانه، وهو من ثمَّ إلقاءٌ للنَّفس في التَّهْلُكةِ، أو إهدارٌ للطَّاقات بلا مبرِّرٍ ظاهرٍ، ولا سببٍ وجيهٍ. وقد نشعر أنَّ من مسؤوليَّاتنا بثّ هذا النَّوع من الفهم وتعميمه حرصاً منَّا على مصلحة المسلمين، وعَمَلاً بالتَّكليف الشَّرعيِّ المَوْهوم!!

ولا نَجِد حرجاً بعد هذا في أن نتتبَّع الرِّوايات لِنَستخلِصَ منها بعضَ ما يُفيد في معرفة شيءٍ ممّا سيَحدث عن قريب، ونوزِّع الإخبارات الغيبيّة والتَّنبُّؤات هنا وهناك ونَبثُّها بين النَّاس، لِتُثير بعضاً من فضولهم، وتَستَأثِر بشيءٍ من عَجَبِهم أو إعْجابهم.

الأئمَّةُ عليهم السلام واقفون على سلبيَّات الأمر

وفي اعتقادنا أنَّ أئمَّتَنا صلواتُ الله عليهم كانوا يُدركون أنَّ هذا النَّوع من الأخبار الّتي تَصدر عنهم، وإن كانت له إيجابيَّاته الكبرى، إلَّا أنَّ له أيضاً سلبيَّات من نوعٍ آخَر، لا بدَّ من التَّصدِّي لها ومعالجتِها، والحدِّ من تأثيراتِها قدر الإمكان.

وذلك لأنَّ هذا الموضوع جذَّاب، يَستَهوِي أصحابَ الأهواءِ والطُّموحات، خصوصاً أصحابَ الدَّعوات الباطلة والزَّائفة منهم، ممَّن يُريدون تكريسَ دَعَواتِهم تلك بالأساليب المُلتوية، وبالادِّعاءات المثيرةِ لِفُضولِ النَّاس العاديِّين، شَريطة أنْ لا يَجرؤ أحدٌ على تكذيبِها بِصورةٍ صريحةٍ ولا حتّى التّشكيكِ فيها، وذلك بِسَبب ما تُثيره فيهم من شعورٍ مُبْهَمٍ بالخوفِ والوَجَلِ تِجاهها. فإنَّ أصحابَ الطُّموحات والدَّعوات الباطلة يدركون جيِّداً أنَّ الإنسانَ العاديّ لا يَملك إلَّا الاستسلام للغَيْبِ، والانهزامَ أمام المجهول، ومحاولة التَّحرُّز منه ومن أخطاره المحتَمَلَة.

وهذا بالذَّات هو ما يُضعِفُ مقاومةَ النَّاس العاديِّين أمام تلك الدَّعوات مهما كانت غائمة، وغير واضحة المَعالِم، أو غير مُنسجمة مع أحكامِ العقل، ومقتضَيات الفِطرة. كما أنَّ ذلك من شأنه أنْ يُبعدَهُم ويَصرفَهُم عن التَّفكير في ماهيَّتِها الحقيقيّة، وفي صلاحِها وفسادِها.

وبعد ما تقدَّم، فإنَّه يُصبحُ من الطّبيعيّ أن يَكثر الاختلاقُ والوَضعُ في مجالِ الإخباراتِ الغيبيّة المستقبليّة، وفي علاماتِ آخر الزَّمان، الّتي يَرصد النَّاسُ فيها مستقبلَهم ومصيرَهم. ولَسوف تُصاغُ بقوالب خادعةٍ ومطَّاطةٍ وغامضةٍ، ليُمكن الاستفادة منها في المَوقع المناسِب.

يجب إعطاءُ ضابطةٍ عامَّة للرّوايات الَّتي تَتناولُ علامات الظّهور، فالمعصوم عليه السلام أخبرَ عن تحقُّق المقتضي لوجود حدَث مّا، ولكنَّه عليه السلام لمْ يُخبِرْ عن شرائط تأثير تلك المُقتضيات؛ هل سوف توجد أم لا؟

الحلُّ الأفضل

وبعد هذا التَّوضيح الّذي ذكرناه، نقول: إنَّ هذا الحلَّ يتلخَّصُ في إعطاءِ ضابطةٍ عامّة للأحاديث الَّتي تَتحدَّث عن المستقبل، وعن علامات ظهور الإمام الحُجَّة عجل الله فرجه، تُشير إلى أنَّها جميعاً -حتّى ما صَحَّ سَنَدُهُ منها- إنّما تتحدَّث عن أمورٍ ليست بِأجمعِها حتميَّةَ الوُقوع، فمِن الجائزِ أن لا يَقَعَ بعضٌ منها، ولكنَّ هذا البعض لا يُمكن لنا تحديده بالدِّقَّة.

والسَّببُ في ذلك هو أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام، إنَّما يَتحدَّث ويُخبر عن تحقُّق المقتضي لوجود ظاهرةٍ أو حدَثٍ مّا، وفْقَ ما هو مخزونٌ في عِلْمِ الغَيب، بحيث لو سارَت الأحداثُ على طبيعتِها، لتَحقَّق ذلك المقتَضي. ولكنَّه عليه السلام لَمْ يُخبِر عن شرائط تأثير تلك المُقتضيات؛ هل سوف توجد أم لا؟ كما أنَّه لَمْ يُخبِر عن الموانع التي قد تَعرض للمُقتضي، وتَمنعُه من التَّأثير.

فإذا تحقَّق شيءٌ ممَّا أخبَرَ عنه عليه السلام، فإنَّ ذلك يَكشف عن تَحقُّق شرائطه، وفَقْدِ موانعه، وتَماميَّةِ عناصرِ عِلَّتِه، وإذا لم يَتحقَّق، فإنَّ ذلك يَكشفُ عن عُروضِ مانعٍ، أو فَقْدِ شرطِ تأثيرِ ذلك المُقتضي. فهو عليه السلام إذاً إنَّما يُخبرُ عن أمورٍ قد تَختلف في المَآلِ والنَّتيجةِ، ولكنَّها مُتَّحدةٌ، وذاتُ طبيعةٍ واحدةٍ، وفي نَسَقٍ واحدٍ من حيث تَحقُّقِ مُقتضياتِها.

وهذا بالذَّات هو ما تَعنيه الرِّواياتُ الّتي نَصَّت على حَتميَّة بعض علامات الظُّهور، وأوْضَحَت أنَّ سائرَ ما يُذكَرُ في الرِّوايات -ممَّا عدا ذلك- قد لا يَقَع بعضٌ منه، إمَّا لاحتمالِ أنْ لا يوجد شرطُ تأثيرِ مُقتضيه، أو لِوجودِ المانِع من التَّأثير.

«علامةٌ بينَكم وبينَ المنافقين»

صلاةُ سلمان المحمّديّ في شهر رجب

إعداد: خليل الشّيخ علي

من أبرز أعمال شهر رجب، الصّلاةُ التي رواها الشّيخ الطّوسيّ في (مصباح المتهجّد)، وتُعرف بـ «صلاة سلمان»، نسبةً إلى الصّحابيّ الجليل سلمان المحمّديّ، الّذي رَوى هذه الصّلاة عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله. وهي صلاةٌ من ثلاثين ركعة، يؤتَى بها على ثلاث دفعات، في أوّل الشّهر وفي أوسطه، وفي آخره.

تليها صلاتان، الأولى يؤتى بها في أيّ يوم جمعةٍ من رجب بين الظُّهرَين، والثّانية تُعرف أيضاً بـ «صلاة سلمان» ويُمكنُ أداؤها في أيٍّ من ليالي الشّهر الفضيل.

روى سلمان المحمّديّ (الفارسيّ) رضوان الله عليه، قال: «دخلتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله في آخرِ يومٍ من جُمادى الآخرة في وقتٍ لم أدخل عليه فيه قبله، قال: **يا سلمان أنت منّا أهل البيت، أفلا أحدِّثُك؟** قلت: بلى فداك أبي وأمّي يا رسول الله، قال: **يا سلمان، ما من مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ صلّى في هذا الشّهر ثلاثين ركعة وهو شهر رجب، يقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، إلّا محا اللهُ تعالى عنه كلَّ ذنبٍ عملَه في صغرِه وكبرِه، "..." يا سلمان، أخبَرَني بذلك جبرئيل عليه السلام، وقال: يا محمّد هذه علامةٌ بينكم وبين المنافقين لأنّ المنافقين لا يُصلّون ذلك.**

قال سلمان: فقلتُ: يا رسول الله، أخبرني كيف أُصلّي هذه الثّلاثين ركعة، ومتى أُصلّيها؟ قال:

يا سلمان، تُصلّي في أوّله عشر ركعات، تقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة واحدة، و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاث مرّات، فإذا سلّمْتَ رفعْتَ يدَيك وقُلتَ: لا إلهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، أَللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ؛ ثمّ امسح بها وجهك.

وصلِّ في وسط الشّهر عشر ركعات [بالكيفيّة نفسها]، **فإذا سلّمت فارفع يديك إلى السّماء، وقل: لا إلهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، إِلَهاً وَاحِداً أَحَداً فَرْداً صَمَداً لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وِلاَ وَلَداً؛ ثمّ امسح بها وجهك.**

وصلِّ في آخر الشّهر عشر ركعات [أيضاً كما سبق]، **فإذا سلّمت فارفع يديك إلى السّماء، وقل: لا إلهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، وصلّى الله على محمّدٍ وآلِه الطاهرين، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ؛ ثمّ امسح بها وجهك، وسَلْ حاجتَك، فإنّه يُستجابُ لك دعاؤك، ويجعل اللهُ بينك وبين جهنّم سبعة خنادق؛ كلّ خندقٍ كما بين السّماء والأرض "..."».**

صلاةُ يوم الجمعة من رجب، بين صلاتَي الظّهر والعصر

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن صلّى يوم الجمعة في شهر رجب ما بين الظّهر والعصر أربع ركعات، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(آية الكرسيّ) سبع مرّات، و(قل هو الله أحد) خمس مرّات، ثمّ قال: أستغفرُ اللهَ الّذي لا إلهَ إلّا هُوَ وأسألُه التّوبة؛ عشر مرّات، كتبَ اللهُ تبارك وتعالى له من يوم يصلّيها إلى يوم يموت كلّ يومٍ ألف حسنة، وأعطاه الله تعالى بكلّ آيةٍ قَرَأها مدينةً في الجنّة..**».

صلاة أخرى تُعرف أيضاً بصلاة سلمان

عن سلمان رضي الله عنه أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من صلّى (في أيّ) ليلة من ليالي رجب عشر ركعات، يقرأ في كلّ ركعة (فاتحة الكتاب) مرّة و(قل يا أيّها الكافرون) و(قل هو الله أحد) ثلاث مرّات، غفر الله تبارك وتعالى له كلّ ذنبٍ عمل وسَلَف له من ذنوبِه، وكَتَبَ اللهُ تبارك وتعالى له بكلّ ركعةٍ عبادة ستّين سنة، "..."**».

أذكارُ شهر رَجَب

«..تَمَنَّ عليَّ ما شِئْتَ حتَّى أعطيك»

إعداد: عبد الله النّابلسيّ

عن رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أَوْجَبَ مغفرةً للتّائبين في رجب».

وعنه ﷺ: «..استَكثِروا في رجبٍ من قولِ أستغفرُ الله، وسلوا اللهَ الإقالةَ والتَّوبةَ في ما مضى، والعصمةَ في ما بقيَ من آجالِكُم..».

الاستغفار

١- عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن قالَ في رجب: أستَغْفِرُ اللهَ الّذي لا إلَهَ إلّا هُوَ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ وأَتُوبُ إلَيْه (مائة مرّة) وختمَها بالصّدقةِ، ختم اللهُ له بالرّحمة والمغفرة، ومَن قالَها أربعمائة مرّة كَتبَ اللهُ له أجرَ مائة شهيد، فإذا لقيَ اللهَ يوم القيامة يقول له: قد أقررْتَ بمُلكي، فتَمَنَّ عليّ ما شئتَ حتّى أعطيك، فإنّه لا مقتدرَ غيري».

٢- وفي روايةٍ: «مَن استغفرَ اللهَ تعالى في رجب، وسألَه التّوبة (سبعين مرّة) بالغداة و(سبعين مرّة) بالعَشِيّ، يقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيه، فإذا بلغَ تمامَ (سبعين مرّة) رَفع يدَيه وقال: أللّهُمَّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عَلَيَّ، فإنْ ماتَ في رجب ماتَ مرضيّاً عنه، ولَمْ تَمسّه النّارُ بِبَركةِ رجب».

٣- رُويَ أيضاً الاستغفار في هذا الشّهر (ألف مرّة) قائلاً: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذا الجَلالِ وَالإكْرامِ مِنْ جَميعِ الذُّنُوبِ والآثامِ»، ليَغفر له اللهُ الرَّحيم.

٤- عن أميرِ المؤمنينَ عليه السلام أنَّه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: مَن قَرأَ في كلِّ يومٍ من أيّام رَجَب وشعبان ورمضان، في كلِّ ليلةٍ منها كُلّاً من (الحمد)، و(آية الكرسيّ)، و(قُلْ يا أيُّها الكافِرونَ) و(قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ) و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ) و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثلاث مرّاتٍ، وقال: سُبْحانَ الله وَالحَمْدُ للهِ وَلا إلهَ إلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وثلاثاً: أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وثلاثاً: أللّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ، وقال أربعمائة مرّة: أَسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ إلَيْهِ، غفرَ اللهُ له ذنوبه وإنْ كانت عدد قَطر الأمطارِ، وورقِ الأشجار، وزَبَد البحار..».

التّهليل

١- عن النّبيّ ﷺ: «مَن قال في رجب «لا إلهَ إلّا اللهُ» ألف مرّة، كَتب اللهُ له مائة ألف حَسَنةٍ، وبنى اللهُ له مائة مدينةٍ في الجنّة».

٢- قال العلّامة المجلسيّ في (زاد المعاد): من المأثورِ قول: «لا إلهَ إلّا اللهُ» في كلِّ ليلةٍ من هذا الشّهر ألف مرّة.

التّسبيح: الذّكرُ البديلُ عن الصَّوم

عن رسول الله ﷺ: «ألا إنّ رجبَ شهرُ الله الأصمّ –وذَكَر صيامَه وما لصيامِ أيّامه من ثوابٍ–، قيل: يا رسول الله، فمَن لم يقدر على هذه الصّفة، يَصنعُ ماذا ليَنالَ ما وصفْتَ؟ قال: يُسبّحُ اللهَ تعالى في كلّ يومٍ من رجب إلى تمامِ الثّلاثين بهذا التّسبيح (مائة مرّة): سُبْحَانَ الإلَهِ الجليل، سُبْحان من لا يَنبغي التسبيحُ إلّا لهُ، سبحانَ الأعزِّ الأكْرَم، سُبحان مَنْ لَبِسَ العزَّ وهو لَهُ أهل».

قراءة سورة التّوحيد

١- مَن قرأ في يوم الجمعة من رجب سورة التّوحيد مائة مرّة، كان له نورٌ يوم القيامة يسعى به إلى الجنّة، كما في الرّواية عن رسولِ الله ﷺ.

٢- عن الرّسول الأكرم ﷺ: «مَن قَرأَ في عمرِه عشرة آلاف مرّة (قل هو الله أحد) بنيّةٍ صادقةٍ في شهر رجب، جاء يومَ القيامةِ خارجاً من ذنوبه كَيَومِ وَلَدَتْهُ أمُّه، فيستقبله سبعون مَلَكاً يبشّرونه بالجنّة».

٣- روى السّيّد ابن طاوس في (الإقبال) فضلا كَثِيراً لقراءة (قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ) عشرة آلاف مرّة، أو ألف مرّة، أو مائة مرّة في شهر رجب.

(نهج البلاغة)، فقهُ القلب والحياة
أوّله كَوَسطِه، وأوسطُه كَآخِره*

إعداد: «شعائر»

إنّ (نهج البلاغة) «فوقَ كلام المخلوق ودونَ كلام الخالق»، بَيْد أنّ البعض في مرْيَةٍ من صدوره عن أمير المؤمنين عليه السلام. وهذه الشُّبهة المُثارة حول هذا الكتاب الجليل كانت في عصر ابن أبي الحديد حين بدأ شرحَه له، إذ دسّها عليه «جماعةٌ من أهل الأهواء».

يقول ابن أبي الحديد المعتزليّ (ت: ٦٥٦ للهجرة) في شرحه على (نهج البلاغة): «كثيرٌ من أرباب الهوى يقولون: إنّ كثيراً من (نهج البلاغة) كلامٌ مُحدَثٌ، صَنَعَه قومٌ من فُصَحاء الشّيعة! وربّما عَزَوا بعضه إلى الرّضيّ أبي الحسن أو غيره! وهؤلاء أَعْمَت العصبيّة أعينهم فَضَلُّوا عن النَّهج الواضح، وركبوا بُنيّات الطّريق [بنيّات الطّريق: الطّريق الصّغيرة المتشعّبة من الجادّة] ضلالاً وقلّة معرفةٍ بأساليب الكلام».

وتبعاً لِزَيغ هؤلاء الضُلّال، أُثيرت هذه الدّسيسة أيضاً في العصور اللّاحقة، فقد طرحها من المُستشرقين: «مسيو ديمومين» و«كارل بروكلمان»، ومن كتّاب العرب: «جرجي زيدان». وساقوا على زعمهم أدلّة باطلة.

ولعلّ عدم إدراج سَنَد الحديث في نُصوصه هو الّذي حدا البعض -في أوّل نظرةٍ له- ألّا يَخالَ هذا الوهم بعيداً عن الحقيقة، فيتورّط في فخّ هذا الخطأ.

ومن الممهّدات الأُخرى لهذه الشّبهة، هي أنّ الشّريف الرّضيّ كان شيعيّاً ذا مودّةٍ لآل البيت عليهم السلام، وكان أديباً مقتدراً وشاعراً مُفلّقاً في آنٍ واحد. فقد قال الدّكتور شفيع السّيّد -وهو أحد المُمتَرين في سند النَّهج: «انتماءُ الشّريف الرّضيّ إلى البيت العلويّ يَسَّرَ الشّكَّ في صحّة قوله واحتمال تعصّبه وانحيازه إلى عليّ. وقال بعضُ مَن كَتَب حوله: كان شاعراً ذَلَّ له قيادُ الطّبع، وكان له لسانٌ طَلِقٌ لَبِق، ومع قدرته في الشّعر كان بليغاً مقتدراً في النّثر أيضاً».

هذا في الوقت الّذي يستبين فيه وَهْنُ هذا الوَهم وضعفُه بأدنى تأمّل، وتَنجلي الحقيقةُ القائلةُ بأنّ النّهج الّذي هو «فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق» قد صدر عن مولى المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وبلحاظ أنّ الشُّبهات التّقليديّة المُثارة حول (نهج البلاغة) باتت مستهلَكة، فقد انبرى للرّدّ عليها -قديماً وحديثاً- طائفةٌ من المؤرّخين والمحدّثين، فبيّنوا مكامنَ الخَلل والتّهافت فيها، بحيث لم يعد يتمسّك بها إلّا معاندٌ أو مكابرٌ، يمكننا بنظرةٍ عامّة أن نقدّم أدلّةً إضافيّةً على صحّة هذا الكتاب الجليل، نوجزُها بما يأتي:

أ. سَبْكُ الكلام وأُسلوبه: فكلُّ مَن ذاق حلاوة الأدب العربيّ وخَبَره يسيراً، أَدركَ بعد التّأمّل في (نهج البلاغة) أنّ ألفاظه لم تَصدر عن شاعرٍ أو خطيبٍ عاديٍّ، ولم تتيسّر إلّا لأمير خطباء العرب وفصحائهم. وهو الّذي قال فيه ابنُ أبي الحديد: «عليٌّ إمامُ الفصحاء، وسيّد البلغاء؛ وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلّم النّاسُ الخطابة والكتابة». وإذا شارف الأدباء والخطباء برمّتهم هذا الكتاب نطقوا بالثّناء عليه من جهة، واعترفوا بعجزهم عن وصفه وبلوغ شَأْوِه وعُمْقه من جهة أُخرى، وأكبروه فعدّوه منهل البلاغة والخطابة، وأماطوا اللّثام عنه من جهةٍ ثالثة، حتّى إنّهم رأوا في كلّ نظرة متجدّدة إليه قبساتٍ بديعة، وأصابوا منه رشفاتٍ مُريعة.

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب إنّه حفظ سبعين خطبة من خُطب أمير المؤمنين عليه السلام: «ففاضت ثمّ فاضت». وقال ابن نُباتة: «حفظتُ من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاقُ إلّا سعةً وكثرةً. حفظتُ مائة فصلٍ من مواعظ عليّ بن أبي طالب». ونقل ابن أبي الحديد في

* نقلاً عن الموقع الالكترونيّ imamreza.net

موضعٍ من شرحه عن ابن الخشّاب حين قيل له: «إنّ كثيراً من النّاس يقولون إنّها [الخطبة الشقشقيّة] من كلام الرّضيّ رحمه الله. فقال: أنّى للرّضيّ ولغير الرّضيّ هذا النَّفَس وهذا الأُسلوب؟! قد وَقَفْنا على رسائل الرّضيّ، وعرفنا طريقتَه وفنَّه في الكلام المنثور، [ولا يشبه هذا الكلام في شيء]».

ب. الانسجام والتّماسك الباطنيّ: إنّ الانسجام والتّماسك الباطنيّ في مجموعةٍ ما من أهمّ الأدلّة على أصالتها وعلوّ شأنها. نلحظُ في القرآن الكريم أنّه عندما أشار إلى شُبهة الكافرين في صدور القرآن عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، أجاب: ﴿..وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء:٨٢.

وهذا الدّليل من أهمّ الأدلّة الّتي تَعرَّض لها ابنُ أبي الحديد، فقال: «لا يخلو إمّا أن يكون كلّ (نهج البلاغة) مصنوعاً منحولاً، أو بعضُه.

والأوّل باطلٌ بالضّرورة؛ لأنّا نعلمُ بالتّواتر صحّة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ وقد نَقل المحدّثون -كلّهم أو جُلّهم- والمؤرّخون كثيراً منه، وليسوا من الشّيعة ليُنسبوا إلى غرَضٍ في ذلك.

والثّاني يدلّ على ما قلناه؛ لأنّ مَن قد أَنِسَ بالكلام والخطابة، وشدا طَرَفاً من علمِ البيان، وصار له ذَوْقٌ في هذا الباب، لا بدّ أن يفرِّقَ بين الكلام الرَّكيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولَّد. وإذا وَقفَ على كرّاسٍ واحدٍ يَتضمّن كلاماً لجماعةٍ من الخطباء أو لاثنين منهم فقط، فلا بدّ أن يفرِّق بين الكلامَين، ويُميِّز بين الطّريقتَين؛ ألا ترى أنّا مع معرفتنا بالشّعر ونقدِه، لو تصفّحنا ديوان أبي تمّام، فوجدناه قد كُتِبَ في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذّوق مباينتها لِشعر أبي تمّام نفسه، وطريقته ومذهبه في القريض؟ ألا ترى أنّ العلماء بهذا الشّأن، حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولةً إليه لِمُباينتها لمذهبِه في الشّعر؟ وكذلك حذفوا من شعر أبي نؤاس كثيراً لمّا ظهر لهم أنّه ليس من ألفاظه ولا من شِعره؛ وكذلك غيرهما من الشّعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلّا على الذّوق خاصّة.

وأنت إذا تأمّلت (نهج البلاغة) وجدْتَه كلّه ماءً واحداً، ونَفَساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الّذي ليس بعضٌ من أبعاضِه مخالِفاً لباقي الأبعاض في الماهيّة؛ وكالقرآن العزيز: أوّلُه كَوسطِه، وأوْسطُه كآخِرِه، وكلُّ سورةٍ منه، وكلُّ آيةٍ، مماثلة في المأخَذ والمذهب والفنّ والطّريق والنَّظْم لباقي الآيات والسّوَر.

ولو كان بعضُ (نهج البلاغة) منحولاً، وبعضُه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك؛ فقد ظَهر لكَ بالبرهان الواضح ضلالُ مَن زعم أنّ هذا الكتابَ أو بعضَه منحولٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

واعلم أنّ قائل هذا القول يَطرُق على نفسه ما لا قِبَل له به، لأنّا متى فتحنا هذا الباب، وسلَّطنا الشّكوك على أنفسنا في هذ النَّحو، لم نَثِق بصحّة كلامٍ منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً، وساغ لِطاعنٍ أن يَطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكلّ

وأنت إذا تأمّلت (نهج البلاغة) وجدْتَه كلّه ماءً واحداً، ونَفَساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسمِ البسيطِ الّذي ليس بعض من أبعاضِه مخالِفاً لباقي الأبعاض في الماهيّة؛ وكالقرآن العزيز: أوّلُه كَوسطِه، وأوْسطُه كآخِرِه.

أمرٍ جعله هذا الطّاعن مستنَداً له في ما يرويه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الرّاشدين والصّحابة والتّابعين والشّعراء والمترسّلين والخطباء؛ فلِناصِري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله في ما يروونه عنه من (نهج البلاغة) وغيره؛ وهذا واضح».

ج. انسجام المضمون مع سائر الأحاديث: إنّ كثيراً ممّا جاء في (نهج البلاغة) في: الميادين الكلاميّة، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة، وغيرها، ينسجم مع ما أُثِر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام في هذا المجال. وهذا الانسجام واضحٌ ملموس، وهو دليلٌ آخَر على أنّ الوارد فيه يفيض ممّا تفيض منه كلمات المعصومين عليهم السلام، فنَبْعهُما واحد. ولعلّ في المقطع الأخير من كلام ابن أبي الحديد المذكور إشارةً إلى هذا الدّليل.

د. الرّصيد التّاريخيّ للرّوايات المذكورة في نهج البلاغة: المأثورُ في (نهج البلاغة) ملحوظٌ أيضاً في المصادر الشّيعيّة والسّنيّة المتقدّمة عليه أو المتأخّرة عنه. وما محاولة الشّريف الرّضيّ في جمع كلمات الإمام عليه السلام إلّا نموذجٌ واحد من محاولاتٍ عَزم عليها مشهورون قبله.

قال محمّد أبو الفضل إبراهيم في مقدّمته على شرح ابن أبي الحديد: «..فقد حاول كثيرٌ من العلماء والأدباء على مرّ العصور أن يُفردوا لكلامه كُتباً خاصّة ودواوين مستقلّة، بقيَ بعضُها وذهبَ الكثيرُ منها على الأيّام؛ منهم: نصر بن مزاحم صاحب (صِفّين)، وأبو المنذر هشام بن محمّد السّائب الكلبيّ، وأبو مِخْنَف لوط بن يحيى الأزديّ، ومحمّد بن عمر الواقديّ، وأبو الحسن عليّ بن محمّد المدائنيّ، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبو الحسن عليّ بن الحسين المسعوديّ، وأبو عبدالله محمّد بن سلامة القُضاعيّ، وعبد الواحد بن محمّد بن عبد الواحد التّميميّ، ورشيد الدّين محمّد بن محمّد المعروف بالوَطْواط، وعزّ الدّين عبد الحميد بن أبي الحديد، وغيرهم كثيرون».

المأثورُ في (نهج البلاغة) ملحوظٌ أيضاً في المصادر الشّيعيّة والسّنيّة المتقدّمة عليه، وما محاولُة الشّريف الرّضيّ في جمع كلمات الإمام عليه السّلام إلّا نموذجٌ واحد من محاولاتٍ عَزم عليها آخرون قبله.

ونَقل ابنُ أبي الحديد في موضعٍ من شرحه في ذَيْلِ الخطبة الشّقشقيّة عن ابن الخشّاب، أنّه قال: «والله، لقد وقفتُ على هذه الخطبة في كُتُبٍ صُنِّفت قبل أن يُخلَق الرّضيّ بمائتَي سنة. ولقد وجدتُها مسطورةً بخطوطٍ أعرفُها، وأعرفُ خطوطَ مَنْ هو مِن العلماء وأهل الأدب، قبل أن يُخلَق النَّقيب أبو أحمد والدُ الرّضيّ».

ويضيف ابن أبي الحديد قائلاً: «وقد وجدتُ أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البَلْخيّ إمام البغداديّين من المعتزلة، قبل أن يُخلَق الرّضيّ بمدّة طويلة، ووجدتُ أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبّة أحد متكلّمي الإماميّة، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب (الإنصاف)، ومات [ابن قبة] في ذلك العصر قبل أن يكون الرّضيّ رحمه الله تعالى موجوداً».

استخرجَ الشّريفُ الرّضيُّ نصوص (نهج البلاغة) من كُتُبٍ صُنِّفت قبله، منها: (البيان والتّبيين) للجاحظ، و(المقتضب) للمبرّد، و(المغازي) لسعيد بن يحيى، و(الجمل) للواقديّ، و(المقامات) لأبي جعفر الإسكافيّ، و(تاريخ الطّبريّ)، وغيرها.

واستنبط محمّد أبو الفضل إبراهيم -في مقدّمته على الشّرح- من تضاعيف (نهج البلاغة) أنّ الشّريف الرّضيّ استخرج الخُطَب، والكُتُب، والحِكمَ من كُتُبٍ صُنِّفت قبله، منها: (البيان والتّبيين) للجاحظ، و(المقتضب) للمبرّد، و(المغازي) لسعيد بن يحيى الأمويّ؛ و(الجُمَل) للواقديّ، و(المقامات في مناقب أمير المؤمنين) لأبي جعفرٍ الإسكافيّ، و(تاريخ الطّبريّ)، وحكاية أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، ورواية اليمانيّ عن أحمد بن قتيبة، وما وُجد بخطّ هشام بن الكلبيّ، ومصادر أُخَر من هذا الضّرب.

على أيّ حالٍ، صُنِّفت كُتُب ورسائل مستقلّة في أسانيد الخطب، والكُتُب، والكلمات القصار في (نهج البلاغة)، وذُكر فيها عنوان كلّ رواية في عددٍ من الكُتب أو الرّسائل بنحوٍ مستقلّ.

ومراجعةٌ لكتاب (استناد نهج البلاغة) لامتياز عليّ خان القرشيّ، و(مصادر نهج البلاغة وأسانيده) للسّيّد عبد الزّهراء الحسينيّ، و(دراسة في أسناد نهج البلاغة ومداركه) [بالفارسيّة] للسّيّد محمّد مهدي الجعفريّ، و(مدارك نهج البلاغة) لرضا أستاديّ، و(مصادر ومراجع نهج البلاغة) لمحمّد دشتيّ وكاظم محمّديّ.. هذه المراجعة تُقدّم لنا نماذجَ من «أسناد نهج البلاغة».

العلمانيّة اللّبنانيّة المُستحيلة
طائفيّةُ لبنان المُنتَصِرة

محمود إبراهيم

يعود السِّجالُ في لبنان ليَستأنفَ دورتَه التّقليديّة في فضاء الاحتدام على جبهتَي الطّائفيّة والعلمانيّة. ولمّا لم يكن في الأمر ما يدعو إلى الاستهجان، يبقى في الصُّورة ما يبرِّر الكلام على اللِّقاء المستحيل بين النِّظام الطّائفيّ وطموحات فئةٍ واسعةٍ من اللّبنانيّين إلى مغادرة قيوده الصَّمّاء.

ربَّما كانت شائعة «الزَّواج المدنيّ» و«قانون الانتخاب» من أبرز العناوين الّتي تستعيد النّقاش المديد حول استحالة تحرُّر اللّبنانيّين من قيود النّظام الطّائفيّ.

فما الّذي يمكن استيلادُه من نقاشٍ كهذا؟

أكثرُ شيءٍ يحيِّرُ كثرةً من اللُّبنانيّين ولا يَملكون جواباً عليه، هو ذلك المُركَّب العجيب من المُساكنة بين العلمانيّ والطّائفيّ. فلا أحد من بين تلك الكثرة يستطيع أن يُعيِّن -بدقَّة- طبيعة، ولون، وماهيَّة النِّظام السّياسيّ في لبنان. فلا هو نظامٌ طائفيٌّ صافٍ، ولا هو كذلك نظامٌ علمانيٌّ بالمعنى الذي يُفهم منه فَصْلُ الدّولة عن الدِّين. وهو بطبيعة الحال نظامٌ لم يتركَّب على مصالَحةٍ مُعلنة بين طرفَين، يَبلغ الاحتدامُ بينهما حدَّ الانتفاء المُتبادَل.

الحاصل في لبنان هو ضربٌ من المفارقةِ يَظهر فيها الواقعُ السّياسيُّ الاجتماعيُّ وكأنَّه جامع التّناقضات الثّلاث، حيثُ تَتساكن العلمانيّة مع الطّائفيّة من دون عَقْد. فليس ثمَّة اعترافٍ متبادَل بينهما؛ بل شيءٌ من القبول الكاذب، تبدو فيه الطّائفيّةُ أشبه بوِعاءٍ يَحوي ألواناً وأفكاراً واعتقاداتٍ وأهواءَ لا حَصْرَ لها...

كيف لي أن أكونَ لبنانيّاً؟

هكذا يُسائل العلمانيُّ اللّبنانيُّ نفسَه اليوم كغريبٍ لا ميراثَ له في منازل الأهل. يَتطلَّع حواليه ليَجِد كيف أحاطت به طائفيّاتٌ من كلِّ جانب. حتّى أنّها اكتظّت به واكتظّ بها، فلا يَكاد يَرغبُ مخرجاً من أسوارِها المُغلقة. لكنَّه، وهو على هذه الحال، يَظلُّ على يقينٍ مقيمٍ بأنَّ الحصارَ المضروبَ من حوله لا يَتأتّى من خصومٍ مرئيّين لكي تَظهرَ أمامَه الحدودُ والتُّخوم والخيارات. إنَّه يَشعر وكأنَّه محاصرٌ من بيتِ أبيه. فلا يُغادرُ هذا البيت إلّا ليَعود إليه. لكأنَّ منازلَ الطَّوائف أمكنةٌ مبنيَّةٌ على حُكْمِ القضاءِ والقدَر.

الحاصلُ -على وجه العموم- هو خلافُ ما يخالفُ قَدَرَ الطّائفيّة وقضاءَها. فالصُّورة الّتي يَجِدُ العلمانيُّ اللّبنانيُّ نفسَه في داخلها، هي أشبه بـ«قلعةٍ صمّاء» يَستحيل عليه مغادرتها؛ أو كَمَن لا مناصَّ له إلّا التّكيُّف مع أنظمتها الصّارمة: عليه أن يَكتفيَ بأن يعيشَ علمانيّته في ذهنِه ويعيشَ طائفيّته في الخارج، كما يقول المُتفلسفة. إلّا أنَّه -أي العلمانيّ- لا يَلبث حين يَأخذه الظَّنُّ أنَّه بالِغٌ «لبنانيّة صافية من أيِّ شائبة»، حتّى يَغشاهُ الوهمُ وتَصدمه الخيبةُ. فإذا به يعود القهقرى إلى محلِّ الاشتباه إيّاه، ثمَّ يَنبري إلى ما يُشبِه التَّوقيع على هويَّةٍ ناقصة.

أكثر شيءٍ يحيِّرُ كثرةً من اللُّبنانيّين، هو ذلك المُركَّب العجيب من المُساكنة بين العلمانيّ والطّائفيّ. فلا أحد يستطيع أن يُعيِّن -بدقَّة- طبيعة، ولون، وماهيَّة النِّظام السّياسيّ في لبنان.

رؤيةُ اللّاطائفيّين إلى حالِ لبنان اليوم هي نفسها الّتي يُعيدونها كلَّما رفعوا الشَّكوى على ما هم عليه من: «انتصَرت الطّائفيّة، وتفوَّقت المذهبيّة، وتراجعت المُواطنيّة، وفَشلت العلمانيّة، ونَأت

الدّيموقراطيّة، ودخل لبنان في القرونِ الوسطى وأقامَ في ماضِيه».

من طَرَفِنا نُضيف إليه الآتي: ما كانت الطّائفيّة اللّبنانيّة إلّا مُنتصرة، وحين حلّتْ على أرضِ انتصارها، أسّسَت للماضي فيما هي تؤسّسُ للحاضر والمستقبل. معها بات لبنان أدنى إلى مستوطناتٍ مُتَشظِّية منه إلى وطنٍ موصول. أمّا في داخل قلاع الطّائفيّة الصمّاء، فلا عقلانيّة بخارجةٍ عن عقلانيّتها، ولا مواطنيّةَ تنأى من خرائطِها المَرسومة بإحكام. حتّى لقد صارت العقلانيّةُ الطّائفيّة طَبْعاً حميماً لِطَبائع النّاس على الجملة.

لا بدَّ إذاً من عقلانيّةٍ مُعاكِسة. لكن من أينَ الطَّريق إليها؟

عقلانيّةُ جمع الأضداد، والشّرائط

إذا كان لا مهرب من ذلك، فلَنا أنْ نقترحَ على العلمانيِّ اللُّبنانيّ ما نسمِّيه بـ «عقلانيّة جمع الأضداد». نقول هذا ولو لم يوافقنا «مَناطقة» الطَّوائف وفلاسفتهم على مثل هذا الدَّعوى المُفارقة.

في تعريفنا الإجماليّ لهذه العقلانيّة، سوف نَجِدُ **أوّلَ شرائطِها** في الصَّبر على ما نَسْتَكْرِه من عقلانيّة الطَّوائف، مثلما نَجِده في الصَّبر على ما نحبُّ ممَّا نأتنِسُ إليه من أفكارٍ وظنونٍ وخواطرَ جميلة.

وثاني شرائطها، التَّبصُّر بالنَّشأة الأولى للبنان؛ أي بالظُّروف والأوضاع والأحوال الّتي حَكَمت هذا البلد منذ تأسيسِه كَكيانٍ سياسيٍّ ودولة، في الرُّبع الأوَّل من القرن العشرين. فلو عَرَفْنا النَّشأةَ الأولى كيف جَرَت، لَهانَت علينا كيف تَجري النَّشآتُ التّالية الأخرى.

ما كانت الطّائفيّة اللّبنانيّة إلّا مُنتصرة، وحين حلّتْ على أرض انتصارها، أسّسَت للماضي فيما هي تؤسّسُ للحاضر والمستقبل. معها بات لبنان أدنى إلى مستوطناتٍ مُتَشظِّية منه إلى وطنٍ موصول.

وثالث شرائطها، إدراكُ المسافات الطَّفيفة بين «طَلَب الحقائق» الّذي يَبسطُ للنَّاس أماكنهم الآمنة والسّعيدة، و«صناعة الحقائق» بوصفها مهنةَ الأقوياء الّذين يُقيمون الموازين على أحكام الوقائع الصَّارمة، لا على أحكامِ القيمةِ والاعتبار.

وأمّا رابع الشَّرائط، وليس آخرها، فإنَّه في تدبُّر المفاهيم الوافدة إلينا من عُصورِ الحداثة القريبة والبعيدة، وهي المفاهيم الّتي أخذناها عن ظهرِ قلبٍ على الجملة: مفهوم الدَّولة – مفهوم العَلمنة – مفهوم المجتمع المدنيّ – مفهوم المواطنيّة – إلى آخر السّلسلة ممّا شقّ علينا أنْ نَجِد لها منفذاً على مهادِ مستوطناتِنا المُترامية الأطراف، من النَّاقورة إلى النَّهر الكبير، إلى ما تبقّى من ذاكرة الأقضية الأربعة..

إنَّنا اليوم نبدو كما لو أنَّنا باقون على سيرتنا الأولى: على شيءٍ سَمَّوْه وطناً. على شيءٍ ليس مثلَه شيءٌ لا في الأوطان القريبة، ولا في تلك العامِرة في أقصى الأرض.

***

لَمْ أعثر، شأني شأن كثيرين من اللّاطائفيّين اللّبنانيّين، على ضالَّتين، كأنْ أَجِدَ بابَ الضَّوء لكي أُفارقَ تشاؤمَ اللّبنانيّين المُزمن... حتّى لَأكاد أُعلن عن خَشيَتي البالغة: من أنْ يَصِلَ اللّبنانيّ اللّاطائفيّ إلى الدّرجة التي يقول فيها: لن أكون لبنانيّاً أبداً...

تلك خَشيةٌ ما زلتُ أحرصُ على أنْ أَضَعَها في مقامِ الاحتمال، دون مقام التَّحقُّق. وهذا مصدر تفاؤلي المُفرط. مع أنَّ كلّ يومٍ يمرُّ من عمر مستوطنات الطَّوائف، والمذاهب، والحزبيّات الضّيّقة، يقصُّ من حَبْلِ الفألِ والرَّجاء قطعةً إضافيّة.

إنَّنا اليوم نبدو كما لو أنَّنا باقون على سيرتنا الأولى: على شيءٍ سَمَّوْه وطناً. على شيءٍ ليس مثلَه شيءٌ لا في الأوطان القريبة، ولا في تلك العامِرة في أقصى الأرض.

لكن حتّى ذلك الحين الّذي يَنفسح لبنان فيه عن طَوْرٍ آخر، لِنبحث عمّا ينجّينا من رمال الطَّوائف المتحرِّكة.

الفقيهُ المتكلّم، الشّيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائيّ

جامعٌ بين المَعقول والمَنقول

إعداد: أكرم زيدان

*** هو الشّيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ، المعروف بـ «ابن أبي جمهور الأحسائيّ»، من أجلّاء علماء الإماميّة. كان فقيهاً مجتهداً، وراويةً شهيراً، كما كان فيلسوفاً كبيراً وأديباً وشاعراً.**

***له أكثر من ثلاثين مصنّفاً في الفقه، والأصول، والكلام، والحكمة، والحديث، واللغة، من أشهرها: (الأقطاب الفقهيّة)، و(المجلّي)، و(عوالي اللآلي).**

*** وُلد في الأحساء في الحجاز، ثمّ انتقلَ إلى النّجف الأشرف لمتابعة مسيرتِه العلميّة، ثم استقرّ بخراسان، وفيها توفّي.**

*** هذه التّرجمة مُقتبسة عن مقدّمة كتاب (الأقطاب الفقهيّة) للمترجَم له، وعن (مستدرك أعيان الشّيعة) للسيّد حسن الأمين.**

هو الشّيخ محمّد، ابن الشّيخ زين الدّين عليّ، ابن الشّيخ حسام الدّين إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور الهَجَريّ الأحسائيّ.

وُلِدَ في «الأحساء» ببلادِ الحجاز، وإليها نُسِب، في حدود سنة ٨٤٠ للهجرة، يظهر ذلك من كلامِه في آخر المجلس الثّاني من مناظرةٍ مع العالَم الهَرَويّ التي جرت في «مشهد خراسان» سنة ٨٧٨ للهجرة، حيث قال: «فإنّ عمري اليوم يقاربُ الأربعين سنة..».

نشأتُه

نشأَ الشّيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائيّ في الأحساء، وتربّى في حضن عائلةٍ مشهودٍ لها بالعلم والتّقوى، فأبوه الشّيخ عليّ كان من كبار علماء الإماميّة، وكان زاهداً عابداً، وأديباً فاضلاً. وجدّه الشّيخ إبراهيم كان من كبار المحقّقين والعلماء أيضاً، وقد ذكرهما العلماء في كُتُب التّراجم وأثنوا عليهما ثناء جميلاً.

قال الشّيخ محمّد بن أبي جمهور -صاحب التّرجمة- في الثّناء على والده وجدّه: «الشّيخ الزّاهد العابد الكامل، زين الملّة والدّين أبو الحسن عليّ ابن الشّيخ المولى الفاضل المتّقي، من بين أنسابه وأضرابه حسام الدّين إبراهيم بن «..» أبي جمهور الأحساويّ...».

وقال أيضاً: «حدّثني أبي وأستاذي الشّيخ العالم الزّاهد الوَرِع زين الدّين أبو الحسن عليّ، ابن الشّيخ العلّامة المحقّق حسّام الدّين إبراهيم بن أبي جمهور الأحساويّ».

صورة حديثة لمنطقة الأحساء في الحجاز

مسيرتُه العلميّة

تلقّى الشّيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائيّ العلوم الأوليّة في الأحساء على يد علمائها الأعلام، من بينهم والده العلّامة زين الدّين عليّ. وفي مدّة قليلة تفوّق على جمع أقرانه، ونال قَصْبَ السّبق في كثيرٍ من العلوم والفنون.

ثمّ هاجر إلى العراق وقصد عاصمة العلم والعلماء «النّجف الأشرف»، وراح يُواصل دراستَه على علمائها العظام، خصوصاً أستاذه الكبير الشّيخ عبد الكريم الفتّال.

وبعد مدّة طويلة قضاها في النّجف الأشرف للتّزوّد من العلم، عزم على حجّ بيت الله الحرام، وذلك سنة ٨٧٧ للهجرة، فتوجّه إلى الحجاز عن طريق الشّام ونزل مدينة «كَرَك نوح»، وفيها التَقى بالشّيخ الجليل عليّ بن هلال الجزائريّ، وأقام عنده شهراً كاملاً مستفيداً من علومه.

وبعد أداء الحجّ والزّيارة، رجع إلى ديارِه وبقي فيها مدّةً قصيرة، ثمّ سافر إلى العراق لزيارة العتبات المقدّسة، ومن ثمّ توجّه إلى خراسان لزيارة الإمام الرّضا عليه السلام، وفي الطّريق ألّف رسالةً في أصول الدّين سمّاها «زاد المسافرين».

وفي مدينة مشهد المقدّسة تتلمذَ على يدَيه السّيّد محسن الرّضويّ القمّيّ، الّذي التَمَس منه شرحَ تلك الرّسالة، فشرحَها وسمّاها «كشف البراهين»؛ وكان ذلك سنة ٨٧٨ للهجرة.

وفي هذه المدينة جرت مناظرته مع الفاضل الهَرَويّ في موضوع الإمامة.

أساتذتُه، وشيوخُه في الرّواية

في مسيرته العلميّة الرّائدة، تتلمذَ شيخنا الأحسائيّ على كبار العلماء الأجلّاء. ذكرَ أربعةً منهم في مقدّمة كتابه (العوالي)، وهم:

١- والده الشّيخ زين الدّين عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ.

٢- السّيّد شمس الدّين محمّد بن كمال الدّين موسى الموسويّ الحسينيّ الأحسائيّ؛ والظّاهر أنّه تتلمذ عليهما في الأحساء.

٣- الشّيخ حسن بن عبد الكريم الفتّال الغروي.

٤- الشّيخ عليّ بن هلال الجزائريّ، قرأ عليه في بلدة (كرَك نوح) قريباً من مدينة بعلبك اللبنانيّة.

وإلى جانب أساتذته الأربعة، روى الشّيخ محمّد بن أبي جمهور عن جماعة من العلماء الأعلام، ذكرهم أيضاً في مقدّمة كتابه (العوالي)، ومنهم:

١- الشّيخ حرز الدّين الأوائليّ (الأوالي) البحرانيّ.

٢- السّيّد شمس الدّين محمّد ابن السّيّد أحمد الموسويّ الحسينيّ.

٣- الشّيخ عبد الله بن فتح الله بن عبد الملك الفتحان الواعظ القمّيّ القاسانيّ (القاشانيّ).

تلامذتُه والرّاوون عنه

روى عن ابن أبي جمهور الأحسائيّ جماعةٌ من العلماء، منهم:

١- تلميذُه المقرّب إليه السّيّد محسن الرّضويّ القمّيّ؛ وتاريخ الإجازة له عام ٨٩٧ للهجرة.

٢- الشّيخ ربيعة (أو ربيع) بن جمعة العبريّ العباديّ الجزائريّ.

٣- السّيّد شرف الدّين محمود ابن السّيّد علاء الدّين الطّالقانيّ.

٤- الشّيخ محمّد صالح الغرويّ الحلّيّ؛ أجازه بثلاث إجازات.

٥- الشّيخ عليّ بن عبد العالي العامليّ صاحب (جامع المقاصد)، والمشتَهر بالمحقّق الكركيّ والمحقّق الثّاني.

مؤلّفاته

ترك الشّيخ ابن جمهور الأحسائيّ مؤلّفات جليلة ناهزت الأربعين، أغنى بها المكتبات الإسلاميّة؛ وقد تنوّعت موضوعاتها، وكان محورُها الفقه وأصولُه، والحديث والكلام والحكمة واللّغة، منها:

١- (أسرار الحجّ)؛ أنهاه عام ٩٠١ للهجرة، وطُبع عام ١٣٢٤ للهجرة ضمن كتابه (المُجلّي) الآتي ذِكرُه.

٢- (الأقطاب الفقهيّة)؛ شرح فيه قواعدَ الأحكام الفقهيّة نظير قواعد الشّهيد إلّا أنّه أَوْجز منه.

٣- (الأنوار المشهديّة)؛ وهو في فقه الصّلاة اليوميّة.

٤- (بداية النّهاية)؛ في الحكمة الإشراقيّة.

٥- (التّحفة الحسينيّة)؛ في شرح (الرّسالة الألفيّة) التي ألّفها الشّهيد الأوّل في الفقه.

٦- (تحفة القاصدين في معرفة اصطلاح المحدّثين).

٧- (التّعليقة) على (أصول الكافي).

٨- (التّعليقة) على (مَن لا يحضره الفقيه)؛ ذكره والذي سبقَه السّيّدُ المرعشيّ في مقدّمة (العوالي).

٩- (الحاشيّة) على (تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول) للعلّامة الحلّيّ.

١٠- (الدّرّة المستخرجة من اللّمعة في الحكمة)؛ ولعلَّ المُراد من (اللّمعة في الحكمة) هو (اللّمعة الجوينيّة في الحكمة) تأليف ابن كمّونة المتوفّى ٦٨٣ للهجرة.

١١- (دُرَر اللّآلي العماديّة)؛ فرغ من تبييضِه عام ٩٠١ للهجرة، رتّبه على مقدّمة في أخبار التّرغيب على العبادات، وخاتمة في الأخلاقيّات، بينهما ثلاثة أقسام في أبواب الفقه كلّها.

١٢- (عوالي اللّآلي العزيزيّة في الأحاديث الدّينيّة)، أو (غوالي اللّآلي) -بالغين المعجمة- ألّفه في أربعة أشهر مدّة إقامته في دار السّيّد محسن الرّضويّ في مدينة مشهد، وقد شرح هذا الكتاب شرحاً وافياً السّيّد نعمة الله الموسويّ الجزائريّ وسمّى شرحه: (الجواهر الغوالي). [انظر: «قراءة في كتاب» من هذا العدد]

١٣- (قبس الاقتداء في شرائط الإفتاء والاستفتاء)؛ ورد في (الذّريعة): «فيه مباحث الاجتهاد والتّقليد. وهو كتاب كبير مفيد».

١٤- (كاشفة الحال عن أحوال الاستدلال)؛ وهو في بيان طريق الاستدلال على التّكاليف الشّرعيّة وكيفيّة أخْذها من الأصول الدّينيّة، وهو من كُتب أصول الفقه، مرتّب على مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة. ويعرف أيضاً بـ (رسالة في طريق الاستدلال)،

أو (رسالة في لزوم العمل بأخبار الأصحاب في هذا الزّمان)، والكلّ كتابٌ واحد.

١٥- (المجلّي لمرآة المنجي)؛ هو شرح لكتابه (مسالك الأفهام في علم الكلام) ولحاشيته على (المسالك) المسمّاة بـ (النّور المنجي من الظّلام)، لأنّ الشّيخ الأحسائيّ كتب أوّلاً: (مسالك الأفهام)، ثمّ علّق عليه بحواشٍ سمّاها (النّور المنجي من الظّلام)، وبعد رجوعه إلى النّجف الأشرف عام ٨٩٤ للهجرة ألّف كتابه (المجلّي) كشرح لـ (مسالك الأفهام) وحاشيته.

١٦- (مجموعة المواعظ والنّصائح والحكم)، وفيه ألغاز ومراثٍ ومدائح ومراسلات شعريّة بينه وبين الشّعراء.

١٧- (مسالك الأفهام في علم الكلام)؛ مرّ.

١٨- (كتاب المقتل)؛ ورد في (الرّوضات): «وقد يُنسب إليه -ابن أبي جمهور- رحمه الله أيضاً كتاب في (المقتل) كبير..».

١٩- (مناظرة بين الغرويّ والهرويّ)، طُبع للمرّة الثّالثة سنة ١٣٩٧ للهجرة، وطُبع أيضاً بعنوان (المناظرات مع العالم الهرويّ)، وهي ثلاث مناظرات جرَت بينه وبين الهرويّ في مسألة الإمامة. وقد تُرجمت هذه المناظرات إلى الفارسيّة عدّة مرّات، منها التّرجمة الكاملة المدرجة ضمن كتاب (فردوس التّواريخ)، وأدرجت التّرجمة كاملة أيضاً في (نامه دانشوران)، كما أُدرج قسم كبير منها ضمن (مجالس المؤمنين).

أقوال العلماء فيه

مَدَح ابن أبي جمهور الأحسائيّ كلُّ مَن ذكره وترجمَ له، وإن كان البعض منهم قد سجّلَ ملاحظاتٍ واستفساراتٍ على بعض آرائه وكُتُبه، ويأتي ما يكشفُ الالتباس. وإليك نماذج ممّا أثبتَه الأعلام في هذا العالم الجليل:

١- المحقّق الخوانساريّ في (الرّوضات): «هو الشّيخ الفاضلُ المحقّق، والحَبر الكاملُ المدقّق، خلاصةُ المتأخّرين».

٢- الحرّ العامليّ في (أمل الآمل): «كان عالماً فاضلاً راويةً، له كُتُب منها (عوالي اللّآلئ)».

٣- المحدّث النّيسابوريّ: «مُتكلّمٌ فقيه».

٤- الشّيخ يوسف البحرانيّ في (لؤلؤة البحرين): «كان فاضلاً مجتهداً متكلّماً».

٥- العلّامة القاضي نور الله الشّوشتريّ في (مجالس المؤمنين): «صِيتُ فضائله معروفٌ ومشهورٌ بين الجمهور، وهو في عداد المجتهدين الإماميّة، وفنون كمالاته خارجةٌ عن حدِّ الإحصاء».

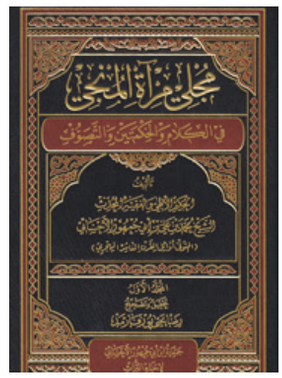

٦- المحدِّث النّوريّ في (خاتمة المستدرك): «الشّيخُ الجليلُ، الفقيهُ العارفُ النّبيل».

٧- السّيّد حسين القزوينيّ في مقدّمات (شرح الشّرائع): «فاضلٌ جامعٌ بين المعقول والمنقول، راوية للأخبار».

٨- الميرزا الأفنديّ في (رياض العلماء) عبَّرَ عنه بـ «الفقيه الحكيم المتكلِّم المحدِّث».

٩- المحدّث الشّيخ عبّاس القمّيّ في (الفوائد الرّضويّة) و(الكنى والألقاب): «عارفٌ عالمٌ حكيمٌ، متكلِّمٌ محقّقٌ مدقّقٌ، فاضلٌ محدِّثٌ خبيرٌ مُتبحِّرٌ ماهرٌ، صاحب كتاب (عوالي اللّآلئ)».

شبهاتٌ وردود

على الرّغم من عظَمة الشّيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائيّ، وسموّ مكانته، فقد دارت حوله بعضُ الشُّبه، ووُجِّه إليه الانتقاد، فاتُّهم بالتّصوّف المفرط، وقالوا إنّه أخباريّ، ونُسب إليه الغلوّ، وشاع عنه أنّه غير متثبّتٍ في نقل الأخبار، ومتساهِلٌ في روايتها.

وقد ردّ على هذه الاتّهامات المحدّث النّوريّ في (مستدرك الوسائل)، وآية الله السّيّد المرعشيّ النّجفيّ في مقدّمة الجزء الأوّل من كتاب (عوالي اللّآلي)، وغيرهما. وممّا قاله السيّد المرعشيّ قدس سره في الرّدّ على هذه الإشكالات:

«وأما النّقود المتوجّهة إلى صاحب الكتاب فأُمور، منها: ..

* **إسنادُ الغلوّ**: وأنت خبيرٌ بأنّه توهُّمٌ لا اعتدادَ به، وهو مُجاب عنه نقضاً وحلّاً:

أمّا النّقض: فليراجع إلى زُبُر الحديث، فإنّه قلّ ما يوجَد كتابٌ لم يُذكر فيه نُبَذٌ من هذه الأخبار المُوهِمة للغلوّ، فلو جازَ هذا الإسناد في الدِّين، لكان هذا النّقدُ متوجّهاً إلى مؤلِّفي تلك الزُّبُر والأسفار أيضاً. فإنْ كان وجهُ الإسناد إلى ابن أبي جمهور غيرَ ما في كتاب (الغوالي)، فراجعوا إلى سائر تآليفه من (المجلّي)، و(الدُّرر العماديّة)، و(الأقطاب)، و(التّعليقة على أصول الكافي)،

و(التّعليقة على الفقيه)، وغيرها من آثاره الممتعة ورَشَحات قلمه الشّريف. فما يقول المعترضون في حقّ كُتُب بقية العلماء فليقولوا في حقّ هذا الشّيخ كذلك.

وأمّا الحلّ: فلم أرَ في كلماته ما يُشعِر بذلك سوى نقله نادراً بعض الرّوايات الموهمة للغلوّ، أو بعض خطاباته لأمير المؤمنين وأولاده الطّاهرين بقوله: «وهم أئمّتي، قبلتي، وبهم أتوجّه إلى الله»، وأمثال هذه الكلمات الّتي شاع الخطاب بها بين الزّعماء ومَن دونهم في كلّ قومٍ ورهطٍ وبكلّ لسان. أفَلا ترى في المُنشآت الفارسيّة قول المنشئين «قبله گاها» ونحوها من العبائر المعمولة في المحاورات وخطابات الأبناء إلى الآباء. وصرفُ نقل الرّواية هل يدلُّ على الغلوّ مع كَون الرّواية ذات محامل قريبة وبعيدة؟ حاشا وكلّا.

* **كونه من الصُّوفيّة**: نسبةُ هذه لصيقةٌ إلى الرّجل البريء ممَّا نُسِب إليه، وظُلمٌ في حقّه. والفرق بين العرفان والتّصوّف غيرُ خفيٍّ على المحقّقين، فحينئذٍ تلك الكلمة والنّسبة فِرْيَةٌ بلا مِرْيَة.

* **نسبةُ الفلسفة إليه**: وهذا غيرُ ضائرٍ أيضاً، إذ الفلسفةُ علمٌ عقليٌّ برَع فيه عدّةٌ من علماء الإسلام؛ كشيخنا المفيد، والشّريف المرتضى، والمحقّق الطّوسيّ، والعلّامة الحلّيّ، والسّيّد الدّاماد، والفاضل السّبزواريّ، والمولى عليّ النوريّ، والمولى محمّد إسماعيل الخواجويّ الأصفهانيّ، وشيخنا البهائيّ، والسّيّد محمّد السّبزواريّ المُشتَهر بمير لوحي، جدّ الشّاب المجاهد السّيّد مجتبى الشّهير بالنّوّاب الصّفويّ، والقاضي سعيد القمّيّ، والمتألّه السّبزواريّ، وصدر المتألّهين الشّيرازيّ، والمحدّث الكاشانيّ، وغيرهم الّذين جمعوا بين العلوم النّقليّة والعقليّة، وهم في أصحابنا مئاتٌ وألوف، وعلمُ كلّ شيءٍ خيرٌ من جهله. فإن كان ذلك شَيْناً، فيتوجّه النّقدُ إليهم أيضاً مع أنّهم بمكانٍ شامخٍ في العلم والعمل، والزّهد والورع والتّقى، ولا يستلزمُ العلمُ بشيءٍ الاعتقادُ به وعقدُ القلب عليه، جزاهم اللهُ عن الدِّين خيراً.

* **إسنادُ التّساهل إليه في النّقل**: وهو إزراءٌ في حقّ هذا الرّجُل العظيم، ويظهر ذلك لِمَن أجالَ البصر ودقّق النّظر في مشيخةِ هذا الكتاب.

* **كونه أخباريّاً**: وهو خلافُ ما يظهر من كلماته في بعض كتُبه، كما هو غير مستورٍ على مَن رجع إلى آثاره، ويبدو له أن المؤلّف كان مذاقه متوسّطاً بين الأصوليّة والأخباريّة.

ثمّ على فرضِ كونه أخباريّاً، فذلك غير مضرّ بحجّيّة منقولاته بعد الاطمئنان بالصّدور كما ذكرنا، وإلّا فيتوجّه النّقد إلى عدّةٍ كثيرةٍ من أصحابنا الأعاظم كشيخنا الكلينيّ، والصّدوق، وصاحب (قرب الإسناد) [الحميري القمّيّ] و(الأشعثيّات [الجعفريّات])، و[مؤلّفي] (البحار [المجلسيّ]) و(الوسائل [الحر العامليّ]) و(الوافي [الفيض الكاشانيّ]) و(الحدائق [المحقّق البحرانيّ]) وغيرهم.

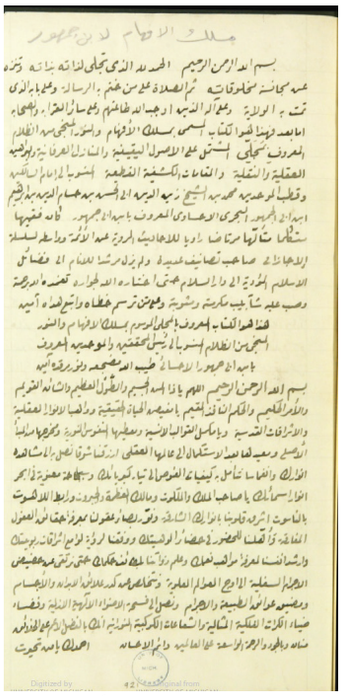

نسخة خطية من (مسالك الأفهام) لابن أبي جمهور محفوظة في مكتبة جامعة ميتشيغن الأميركية!

فإنّه لا فرق بيننا وبين الأخباريّة إلّا في أمورٍ قليلة «..» ومَن رامَ الوقوفَ على تلك الفروق، فليُراجع إلى كتاب (الحقّ المبين في الفرق بين المجتهدين والأخباريّين) لشيخنا العلّامة الأكبر الشّيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء).

* **كونه غير متثبّت وغير ضابط**: ولعمري إنّه إسنادُ شيءٍ إلى مَن هو بريءٌ ممّا نُسب إليه، فمن أين ثَبت كونه غير ضابط، وها هي كُتبه ورَشَحات قلمه السّيّال الجوّال، فليراجع حتّى يظهرَ الحقّ».

وفاته

توفّي الشّيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائيّ في العشر الأولى من القرن العاشر الهجريّ، أشار إلى ذلك في (الذّريعة) حيث قال: «ابن أبي جمهور الشّيبانيّ الأحسائيّ المتوفّى أوائل القرن العاشر». وقال الزّركليّ في (الأعلام) إنّه توفّي حدود سنة ٨٨٠ للهجرة. وكان له من العمر قرابة سبعين عاماً.

والظّاهر أنّ وفاتَه ﵀ كانت في مدينة مشهد بخراسان لأنّها المقرّ الأخير لِسُكناه. ولم يُعلم له قبر، كما لم ينصّ أحدٌ ممّن ترجم له على تاريخ وفاته، غير أنّه كان حيّاً سنة ٩٠١ هجريّة، حيث فرَغ من بعض كُتُبه في هذا التّاريخ، ولم يُعهَد له بعد التّاريخ أيُّ كتابٍ أو خطٍّ أو إجازة، ومعلومٌ أنّه لو بقي كثيراً بعد تلك السّنة، لألّفَ وكَتَب، ولَذكره المؤرّخون، لأنّ مثله لا يُهمَل.

﴿..وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا..﴾

توحيدُ الذّات والصّفات

المرجع الدّينيّ الشّيخ جعفر السّبحانيّ*

التّوحيد هو الأصلُ المُوحِّد بين الشّرائع والمناهج السّماويّة، والاعتقادُ به هو أبرزُ أصلٍ مُشترَك بينها، وإنْ كان هناك شيءٌ من الانحراف لدى أتباع بعض تلك الشّرائع في هذه العقيدة المشتركة. في ما يأتي، حديثٌ عن التّوحيد الذّاتيّ والتّوحيد في الصّفات وأبعادهما في ضوءِ القرآنِ الكريمِ، والأحاديث الشّريفة، والبراهين العقليّة.

إنَّ أوّلَ مرتبة من مراتب التّوحيد هو التّوحيدُ الذاتيُّ، وله معنيان:

أ- إنَّ اللهَ واحدٌ، لا مثيلَ له، ولا نظير، ولا شبيه، ولا عديل.

ب- إنَّ الذّات الإلهيّة المقدّسة ذاتٌ بسيطةٌ لا كثرةَ فيها، ولا تَرَكُّب.

يقول الإمامُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام حول كِلا المعنَيين:

١- «**هو واحدٌ ليسَ له في الأشياءِ شبْهٌ**».

٢- «**وإنَّه عزَّ وجلَّ أحديُّ المعنى، لا يَنقسمُ في وجودٍ، ولا وَهْمٍ، ولا عقلٍ**».

وسورة (الإخلاص) الّتي تعكسُ عقيدةَ المسلمين في مجال التّوحيد، تُشير إلى كِلا القسمَين:

فقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ إشارةٌ إلى القسم الأوّل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إشارةٌ إلى القسم الثّاني.

وعلى هذا الأساس يكون «التّثليثُ» باطلاً من وُجهةِ نَظَرِ الإسلام، وقد صرّح القرآنُ الكريمُ في آياتٍ عديدةٍ بعدم صحّة ذلك. كما أنَّ هذه المسألة تناولَتْها الكُتُب الكلاميَّةُ (العقيديّة) بالبحث المُفصَّل، وفنَّدَت التّثليث بِطرائقَ مختلفةٍ، ونحن نكتفي هنا بذِكر طريقةٍ واحدة:

إنَّ التّثليث بمعنى كَوْن الإله ثلاثاً لا يخلو عن أحدِ حالَين:

إمّا أنْ يكون لكلِّ واحدٍ من هذه الثّلاثة وجودٌ مستقلٌ، وشخصيَّةٌ مستقلةٌ، أي أنْ يكون كلُّ واحدٍ منها واجداً لكلِّ حقيقةِ الأُلوهيّة، وفي هذه الصُّورة يَتنافى هذا مع التّوحيد الذّاتيّ بمعناه الأوّل.

وإمّا أن تكون هذه الآلهة الثّلاثة ذات شخصيَّةٍ واحدةٍ، لا مُتعدِّدة، ويكون كلُّ إلهٍ جزءاً من تلك الحقيقة الواحدة، وفي هذه الصُّورة يكون التّثليث كذلك مُستلزِماً للتَّركُّب، ويُخالف المعنى الثّاني للتّوحيد الإلهيّ.

التّوحيد في الصّفات

المرتبة الثّانية من مراتب التّوحيد، هو: التّوحيد في صفاتِ الذّاتِ الإلهيّة.

نحن نعتقد أنّ اللهَ تعالى موصوفٌ بكلِّ الصّفات الكماليّة، وأنَّ العقلَ والوَحيَ معاً يَدلّان على وجود هذه الكمالات في الذّات الإلهيّة المقدّسة. وعلى هذا الأساس، فإنَّ اللهَ تعالى عالِمٌ، قادرٌ، حيٌّ، سميعٌ، بصيرٌ.

وهذه الصّفات تتفاوتُ في ما بينها من حيث المفهوم، فما نَفهمُه من لفظة «عالِم» غير ما نفهمُه من لفظة «قادر». ولكنَّ النّقطة الجديرة بالبحث هي أنَّ هذه الصّفات كما هي مُتغايرةٌ من حيث المفهوم، هل هي في الواقع الخارجيّ متغايرة أم مُتّحدة؟

يجبُ القول في معرضِ الإجابة على هذا السُّؤال: حيث إنَّ تَغايُرَها في الوجود، والواقع الخارجيّ، يَستلزم الكثرة والتَّركُّب في الذّات الإلهيّة المقدّسة، لذلك يجب القول حتماً بأنَّ هذه الصّفات مع كَوْنِها مختلفةً ومتغايرة من حيث المعنى والمفهوم، إلّا أنّها في مرحلةِ العينيّة الخارجيّة، والواقع الخارجيّ مُتّحدة.

وبتعبيرٍ آخَر: إنَّ الذّات الإلهيّة في عينِ بساطتِها، واجدةٌ لجميعِ هذه الكمالات، لا أنَّ بعض الذّات الإلهيّة «علم» وبعضها الآخر «قدرة»، وبعضها الثّالث «حياة»، بل هو سبحانُه كما يقول المحقّقون: **علمٌ كلُّه، وقدرةٌ كلُّه، وحياةٌ كلُّه**.

وعلى هذا الأساس فإنَّ الصّفات الذّاتيّة لله تعالى، مع كونها قديمة وأزليّة، فهي في الوقت نفسِه عينُ ذاتِه سبحانَه لا غيرها.

وأمّا ما يَقوله فريقٌ من أنَّ الصّفات الإلهيّة قديمةٌ وأزليّةٌ، ولكنّها زائدةٌ على الذّات غير صحيحٍ، لأنَّ هذه النّظرة تَنْبَع -في الحقيقة- من تشبيهِ صفات الله بصفاتِ الإنسان، وحيث إنَّ صفات الإنسان زائدةٌ على ذاته، فقد تصوَّروا أنّها بالنِّسبة إلى الله كذلك.

* من كتابه (العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام)

سَفَرُ الرُّوحِ نحوَ الحقِّ تبارك وتعالى

تَلازُمُ التَّقوى والمعرفة

المولى الفَيْض الكاشانيّ قدس سره

* المولى محمّد بن المرتضى المدعوّ بـ «محسن»، والمعروف بـ «الفيض الكاشانيّ»، أحدُ نوابغ القرن الحادي عشر (ت: ١٠٩١ للهجرة)، كان مُتبحِّراً في جميع العلوم.
* من أبرز تلامذة صدر المتألّهين الشّيرازيّ، وصهرُه. أثنى عليه العلماء ثناءً بالغاً، من ذلك قول العلّامة (صاحب الميزان): «هو ممّن جَمَع العلوم، وقَلَّ نظيرُه في العالم الإسلاميّ».
* هذا النص من ترجمة لوصيَّة أخلاقيّة كَتَبها لبعض إخوانه، وسمّاها (زاد السَّالك) أو (زاد السَّالكين)، ذَكَرها الشَّيخ الطّهرانيّ في (الذَّريعة)، مُشيراً إلى أنّه -أي صاحب (الذّريعة)- اختَصَرها نظماً في خمسين بيتاً.
* قال (صاحب الذَّريعة): «عندما رأيْتُ نسخة هذا الكتاب، ونظرْتُ في محتوياته، تَرَك في نفسي تأثيراً إلى درجة لم أستطع أن أكتفي بمطالعة واحدة، فقُمْتُ بتلخيصه في صفحة واحدة جاعلاً إيّاها على شكل فهرس، وذلك لأستفيد أنا وعائلتي من مطالعة مضامينها الحقّة، والعمل بإرشاداتها ودستوراتها الشَّرعيّة».
* قامت «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة» في لبنان بنشر هذه الوصيّة وضمّنتها شروحاً وتعليقاتٍ، ومن هذه الطبعة اقتُبِست هذه المقدّمة.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ النمل:٥٩.

أمّا بعد، فهذه الرّسالة الموسومة بـ «زاد السَّالك»، كُتِبَت جواباً لسؤالِ أحدِ الإخوة الرّوحانيّين الّذي كان قد سَألَ عن كيفيّة سلوك طريق الحقّ.

إعلم- أيَّدَكَ اللهُ بروحٍ منه- كما أنّ للسَّفرِ الصُّوريّ [أي السَّفر المتعارَف، وهو الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ ومن بلدٍ إلى بلدٍ] مبدأً ومنتَهى، ومسافةً ومسيراً، وزاداً وراحلةً، ورفيقاً ودليلاً، فكذلك للسَّفرِ المعنويّ، الّذي هو سَفَرُ الرُّوحِ نحو الحقّ سبحانَه وتعالى، جميعُ هذه الأمور.

فَمَبدأُه: الجهل والنُّقصان الطّبيعيّ الذي أُخرج معَه [الإنسان] من بطن أمّه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا..﴾ النّحل:٧٨.

ومُنتهاه: الكمالُ الحقيقيّ الّذي هو فوقَ جميع الكمالات، وهو الوصولُ إلى الحقّ سبحانَه وتعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ النّجم:٤٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ الانشقاق:٦.

ومسافة الطَّريق في هذا السَّفَر: هي مراتبُ الكمالات العلميّة والعمليّة الّتي تَطويها الرُّوح شيئاً فشيئاً، فيما لو كانت موافِقةً لِصراطِ الشَّرعِ المُستقيم الّذي هو طريقُ الأولياء والأصفياء: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ..﴾ الأنعام:١٥٣.

وهذه الكمالات مُترتّبةٌ بعضُها على بعض، فلا يُمكن الانتقالُ إلى الكمالات المتأخّرة ما لم يُطوَ الكمالُ المتقدِّم.

ومنازلُ هذا السَّفر: هي الصِّفاتُ الحميدة والأخلاقُ الكريمة،

حيث يحصلُ التَّرقّي والانتقال في أحوالِ ومقاماتِ الرُّوح من كلِّ منزلةٍ إلى المنزلةِ التي فوقَها بشكلٍ تدريجيّ.

والمنزلُ الأوّل: هو اليَقَظة، والّتي هي عبارة عن المعرفة.

والمنزلُ الأخير: هو التَّوحيد، الّذي هو عبارة عن المَقصدِ الأقصى لهذا السَّفر.

وتفاصيلُ هذه المنازل ودرجاتُها مذكورةٌ في كتاب (منازل السّائرين). [للشّيخ الأنصاريّ]

ومسيرُ هذا السَّفر: هو السَّعيُ التّامّ، والجهدُ البالغُ، وانتخاب الهمّة في قَطْعِ هذه المنازل بمجاهدةِ النَّفس ورياضتِها؛ بِحمْلِ أعباءِ التَّكاليف الشّرعيّة من الفرائض والسُّنَن والآداب، ومراقبةِ النّفس ومحاسبتِها آناً فآناً ولحظةً فلحظة، وحَصْرِ الهمومِ وجعلِها همّاً واحداً، والانقطاعِ إلى الحقّ سبحانَه وتعالى: ﴿..وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ المزّمّل:٨. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا..﴾ العنكبوت:٦٩.

وزادُ هذا السَّفر: هو التَّقوى، ﴿..وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى..﴾ البقرة:١٩٧. والتَّقوى عبارةٌ عن القيامِ بِما أَمَرَ به الشَّارعُ، والاجتنابُ عمّا نَهى عنه عن بصيرةٍ، ليَكونَ القلبُ بنورِ الشَّرع وصَيقل [الصَيقل: الشّحذُ والجلاء] تكاليفِه مستعدّاً لِتَلقّي فيوضِ المعرفة من الحقّ عزَّ وجلَّ: ﴿..وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ..﴾ البقرة:٢٨٢.

وكما أنَّ المُسافرَ الصُّوريّ ما لم يَحصل على قوّةِ البَدَن من الزَّادِ لا يقدر على قطع الطَّريق، فكذلك المُسافر المعنويّ، ما لم يَقُمْ بالتَّقوى والطَّهارة الشَّرعيّة ظاهراً وباطناً، ويقوّي الرُّوح بها، فَلَنْ تُفاض عليه العلومُ والمعارف والأخلاقُ الحميدةُ المترتِّبةُ على التَّقوى، والّتي تحصل التَّقوى منها أيضاً، لا على سبيل الدَّور.

ومَثَلُه كَمَثَلِ شخصٍ كان في ليلةٍ مُظلمة، بيَدِه مصباح، يرى بنورِه طريقاً ويَمشي فيه، وكلّما يَرفع قدماً تُضاءُ له قطعةٌ من ذلك الطَّريق فيَمشي فيها، وهكذا. وما لم يَرفع قدَمَه ويمشي فلا ضياء، وما لم يُضاء له فلا يقدرُ على المشي. فتلك الرُّؤية بمنزلةِ المعرفة، وذلك السَّيرُ بمنزلةِ العمل والتَّقوى: «**مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ، ورَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعلم**». «**إنَّ العلمَ يَهتفُ بالعَمل، فإنْ أجابَهُ وإلَّا ارْتَحَل**». «**لا يَقبل اللهُ عملاً إلَّا بِمعرفةٍ، ولا معرفةً إلَّا بعمل، فمَن عَرَفَ دَلَّتْهُ المعرفةُ على العمل، ومَنْ لم يَعمل فلا معرفةَ له، ألَا إنَّ الإيمانَ بعضُه من بعض**» كذا عن الصّادق عليه السلام.

وكما أنَّ مَن لا يعرف الطَّريق في السَّفر الصُّوريّ لا يَصِلُ إلى المقصد، فكذلك مَن لم تكُن له بصيرةٌ في العمل في السَّفرِ المعنويّ، لا يَصِلُ إلى المقصد: «**العاملُ على غيرِ بصيرةٍ كالسَّائر على غير الطَّريق، لا يَزيدُه كثرةُ (سرعة) السَّير إلَّا بُعداً**».

وراحلةُ هذا السَّفر: هي البَدَن وقواه، فكما أنّ في السَّفر الصُّوريّ إذا كانت الرَّاحلةُ ضعيفةً وفيها علّة لا يمكنُها طيّ الطَّريق، فكذلك في هذا السَّفر، إذا لم يكن البدن صحيحاً وقويّاً لا يُمكنه الإتيان بأيّ عمل، فَتحصيلُ المعاشِ ضروريٌّ من هذه الجهة. وما هو ضروريّ، واجبٌ بمقدارِ الضَّرورة.

إذاً، فطَلَبُ الفضول في المعاشِ مانعٌ من السُّلوك. والدّنيا المذمومة التي ذَكَروا التَّحذيرَ منها هي عبارة عن ذلك الفُضول الذي هو وبالٌ على صاحِبِه. وأمّا المقدارُ الضّروريّ منه فداخلٌ في أمورِ الآخرة، وتحصيلُه عبادة.

وكما أنّ مَن تَرَكَ راحِلَتَه تَرعى كيف تشاء فإنّه لا يَطوي الطَّريق، فكذلك في هذا السَّفر إذا تَرَك بَدَنَه وقواه تفعلُ كلَّ ما تَشتهيه، ولم تُقيَّد بالآداب والسُّنَن الشَّرعيّة، ولم يُمسِك لِجامَها بيَدِه، فإنّه لا يَطوي طريق الحقّ.

ورفاقُ هذا الطَّريق: هم العلماءُ والصُّلَحاءُ والعُبّادُ السَّالكون، الذين يَمدُّ أحدُهم الآخرَ ويُعينُ بعضُهم بعضاً، فليس كلُّ شخصٍ يُمكنُه الاطِّلاعُ بسرعةٍ على عَيْبِ نفسِه، ولكنّه يَقِفُ بسرعةٍ على عَيْبِ غيرِه.

إذاً، فإذا قامَ عدّةُ أشخاصٍ بِبناءِ أنفسهم سويّةً، وأخبَرَ أحدُهُم الآخرَ بعيوبِه وآفاته، فإنَّ الطَّريقَ يُطْوى لهم بسرعة، ويأمنون من اللِّصّ وسارقِ الدِّين، فإنَّ الشَّيطان إلى المُنفردِ أقربُ منهُ إلى الجماعةِ، و«**يدُ اللهِ على الجماعة**». [بمَعنى مع الجماعة] وإذا خَرَج أحدُهُم عن الطَّريق فسيُخبره الآخرُ بذلك، وأمّا إذا كان وحيداً فهَيهات أنْ يَقِفَ على ذلك.

ودليلُ هذا الطَّريق: هو النّبيّ صلى الله عليه وآله، وسائرُ الأئمّة المعصومين عليهم السلام الّذين هم أدِلّاء الطَّريق، وقد وَضَعوا السُّنَن والآداب، وأخْبَروا عن مصالحِ الطَّريق ومفاسِده، وسَلَكوا هذا الطَّريق بأنفسِهم، وقد طُلِب من الأمّة الاقتداءُ والتَّأسّي بهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ الأحزاب:٢١، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ..﴾ آل عمران:٣١.

من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب

لَا تُقَاتِلُوهُم حَتَّى يَبْدَؤوكُم..

إعداد: «شعائر»

«لله أَبُوهُم، وهَلْ أَحَدٌ منْهُمْ أَشَدُّ لَهَا [للحرب] مِراساً وأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّين..». أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام

مجموعة من وصايا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، أوصى بها جُندَه في حروبه بالبصرة والنّهروان وصِفّين، ويُمكن تقسيم المُدرَج منها هنا إلى مجموعتَين:

أوّلاً: وصايا إيمانيّة أخلاقيّة تبعث على الفضائل الّتي يجب أن يتحلّى بها المجاهد في سبيل الله تعالى.

ثانياً: وصايا «قتاليّة» لها دورٌ في ظَفر المُقاتِل، وغَلَبَته على عدوّه، وسلامته من نكايته ومكائده.

أوّلاً: الوصايا الإيمانيّة والأخلاقيّة

١- «اتَّقِ اللهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِه، ولَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَه، ولَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ».

٢- «أَلَا إِنَّكُم لَاقُو العَدُوِّ غَداً إِنْ شاءَ اللهُ، فَأَطِيلُوا اللَّيلة القيامَ، وأَكثِرُوا تِلاوَةَ القُرآن، واسألوا اللهَ الصَّبْرَ والنَّصْرَ، والقُوهُم بالجِدِّ والحَزْمِ، وكُونُوا صَادِقِين».

٣- كانَ عليه السلام إِذَا حَضَرَت الْحَرْبُ يُوصِي الْمُسْلِمِينَ بِكَلِمَاتٍ، فَيَقُولُ: «تَعَاهَدُوا الصَّلَاةَ وحَافِظُوا عَلَيْهَا واسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً».

٤- «لَا تُقَاتِلُوهُم حَتَّى يَبْدَؤوكُم، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ الله عَلَى حُجَّةٍ، وتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِم».

٥- «فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً».

٦- «ولَا تُصِيبُوا مُعْوِراً». [مُعْوِر، كمُجرم، وهو الذي أمكنَ من نفسه وعجز عن حمايتها]

٧- «ولَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ».

٨- «وَلَا تَقْتُلوا أَسِيراً».

٩- «وَلَا تَكْشِفُوا عورةً».

١٠- «وَلَا تُمَثِّلوا بِقَتيل».

١١- «وَلَا تَهْتِكوا سِتْرَاً».

١٢- «وَلَا تَدخلوا داراً إلّا بِإِذني».

١٣- «وَلَا تَأْخُذوا شيئاً من أموالِهم إلّا ما وَجَدتُم في عَسْكَرِهم».

١٤- «ولَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُم، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقوَى والأَنْفُسِ والْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ..».

١٥- ومن كلامٍ له عليه السلام قاله لأصحابه ليلةَ الهرير: **«..مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ».**

١٦- ومن وصيّته عليه السلام لمالك الأشتَر رضوان الله عليه: **«إِيَّاكَ وَأَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ يَبْدَؤوكَ، حتّى تَلقاهم وتَسمعَ مِنهُم، ولا يَجْرِمنَّكُم شَنَآنُهم على قتالِهم قبلَ دُعائهم والإعذارِ إليهم مرَّةً بعد مرَّة».** [أي لا يحملنّك بغضُك إيّاهم على قتالهم قبل أن تُقيم عليهم الحجّة]

١٧- ومن روائع كلامه عليه السلام في الحثّ على الجهاد: **«واللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ ومُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، ومُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ، فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ واطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ ووَلِيمَةٌ، مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ».**

والمعنى: أنّ الله تعالى أوْجَبَ عليكم أن تؤدّوا شُكرَه على نِعَمِه تعالى، وسيمُنّ عليكم بأنْ يورثَكم الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ..﴾ الأحزاب:٢٧.

* **والمضمار:** هي الأربعون يوماً الّتي تُضمَر الخيلُ فيها، أي تُهيّأ للفوز بالسّباق، وقد كنّى بها الإمام عليه السلام عن الحياة الدّنيا، بمعنى أنّ المؤمنين يَتسابقون فيها لنَيلِ رضى الله تعالى.

* **شدّوا عقد المآزر:** حثٌّ على الجدّ والانتباه، كما يشدّ الرّجل مئزَره كي لا يُعيقه عن الحركة عندما يَهمّ بأمرٍ خطير.

* **واطووا فضولَ الخواصر:** كنّى الإمام عليه السلام عن الزّائد من متاع

الدّنيا بفضول الخواصر، وهو الزّائد على ما تحتاجه البطنُ من المأكل والمشرب.

* **لا تجتمعُ عزيمةٌ ووليمة**: أي لا يجتمعُ الجدّ واللّهو. والعزيمة هي الإرادة الجازمة، والوليمة هي طعام العُرس.

* **ما أنقضَ النّوم لعزائم اليوم، وأمحى الظُّلَم لتذاكير الهمَم**: الرّجُل في سَفر، يعزمُ ليلاً على النّهوض باكراً والجدّ في المَسير، فيغلبه النّوم إلى الضّحى، وينقضي بذلك ما كان عَزَم عليه في يومه. وكذلك المسافر يَستحثُّ همّته على المسير باللّيل، فإذا أدركَه الظّلام محا ما كان ذكَّرَ به نفسَه.

ثانياً: الوصايا القتاليّة

١ - من وصيّةٍ له عليه السلام وصّى بها معقلَ بن قيس الرّياحيّ حين أنفذه إلى الشّام في ثلاثة آلاف، مقدّمةً له:

«.. **فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلَا تُبَاعِدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي..**».

٢ - ومن وصيّةٍ له عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثَه إلى العدوّ:

«**فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُم، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُم فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ** [المرتفعات]، **أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُم رِدْءاً وَدُونَكُمْ مَرَدّاً** [إشارة منه صلوات الله عليه إلى أهميّة الحواجز والموانع الطّبيعيّة التي تُعيق إمكانيّة التفاف العدوّ]، **وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْه وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ** [بمنزلة الكمائن أو نقاط الحراسة المستترة]، **لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُم، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُم** [طلائع المقدّمة هو ما يعبّر عنه في يومنا بفِرَق الاستطلاع]، **وَإِيَّاكُمُ التَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً** [كِفّة: مستديرة، والمعنى: حراسة المعسكر من جميع جهاته]، **وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً**».

٣- وفي حَديثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُنْدَبٍ عَنْ أَبِيه، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ يَأْمُرُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَقِينَا فِيه عَدُوَّنَا، فَيَقُولُ: «**وَأَقِلُّوا الْكَلَامَ فَإِنَّه أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ وَأَذْهَبُ بِالْوَهَلِ** [كثرة الكلام والصّياح أثناء المعركة يدلّ على الاضطراب، والصّمت يُعين المقاتل على التّركيز ومعرفة ما يدور حوله، والوَهَل: الضّعف والفزع]، **وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمُبَارَزَةِ وَالْمُنَازَلَةِ وَالْمُجَاوَلَةِ، وَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيراً، فَإِنَّ الْمَانِعَ لِلذِّمَارِ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمْ أَهْلُ الْحِفَاظِ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ وَيَضْرِبُونَ حَافَّتَيْهَا وَأَمَامَهَا. وَإِذَا حَمَلْتُمْ فَافْعَلُوا فِعْلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّحَامِي، فَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ** [الحربُ سجال: أي أنّ النّصر في المعركة يكون تارةً لكم وطوراً لعدوّكم]، **لَا يَشُدُّونَ عَلَيْكُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَلَا حَمْلَةً بَعْدَ جَوْلَةٍ** [هنا تحذيرٌ من أنّ فرار العدوّ قد يكون مناورة لتنظيم هجومٍ جديد ومباغت]، **وَمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ** [السّلم هنا بمعنى الاستسلام والانقياد] **فَاقْبَلُوا مِنْه. وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ بَعْدَ الصَّبْرِ النَّصْرَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

٤ - «**وَعَلَيكَ بِالتَّأَنِّي فِي حَرْبِك، وَإِيَّاكَ وَالعَجَلَةَ إِلَّا أَنْ تُمكِنَكَ فُرْصَةٌ**».

٥ - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لأَصْحَابِه: «**إِذَا لَقِيتُمْ عَدُوَّكُمْ فِي الْحَرْبِ فَأَقِلُّوا الْكَلَامَ وَاذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ فَتُسْخِطُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَسْتَوْجِبُوا غَضَبَه. وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمُ الْمَجْرُوحَ وَمَنْ قَدْ نُكِّلَ بِه، أَوْ مَنْ قَدْ طَمِعَ عَدُوُّكُمْ فِيه، فَقُوه بِأَنْفُسِكُمْ**».

اللّهُمّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآن

كان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو بهذا الدّعاء إذا لَقِيَ العدوّ محارباً: «**اللّهمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، ومُدَّتِ الأَعْنَاقُ، وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ، ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ، وأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ. أللّهمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ، أللّهمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا. ﴿..رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾** الأعراف:٨٩».

قال ابن ميثم البحرانيّ في شرحه على (نهج البلاغة): «أقول: رُوي أنّه عليه السلام كان إذا اشتدّ القتالُ ذكرَ اسمَ الله تعالى حينَ يركب، ثمّ يقول: **الحمدُ للهِ على نِعَمِه علينا وفَضْلِه العَميم، سُبحانَ الّذي سخّرَ لنا هذا وما كُنّا له مُقرنين، وإنّا إلى ربّنا لَمُنقَلِبون**. ثمّ يستقبل القبلة ويرفع يدَيه ويقول: **أللّهُمّ إليك نُقِلَت الأقدام** [إلى آخر الدّعاء المتقدّم] ثمّ يقول: **سِيروا على بَرَكةِ الله**. ثمّ يقول: **اللهُ أكبر اللهُ أكبر، لا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر، يا اللهُ، يا أحدُ، يا صمدُ، يا ربَّ محمّد، بسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليّ العظيم، إيّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعين، أللّهُمّ كُفَّ عنّا أيدي الظّالمين**. فكانَ هذا شعارُه بصفّين».

«تُطالِعُها وقلبُكَ ليسَ صَاحي»

قصيدة للشّيخ البهائيّ في ذَمِّ «تكديس» المعارف

مركز الفقيه العاملي

هذه الأبيات للشّيخ البهائيّ قدس سره ذكرَها في الجزء الأوّل من (الكشكول)، في إشارةٍ منه إلى حالِ مَن صرفَ العمرَ في جَمْعِ الكُتب وادّخارها. وما بين الأهلّة أسماء لكُتبٍ في علومٍ شتّى، استعملَها رضوان الله عليه في نظْمِ أبيات القصيدة.

ولا يخفى أنّ غرض الشيخ البهائي ليس النّهيَ عن الاشتغال بالعلوم، وإنّما التّحذير من حَصْر الاهتمام بتكديس المعلومات وجمع الألفاظ، وأنّ يُصبح طلبُ العلم هدفاً بذاته ولِذاتِه، عوضَ أن يكون وسيلةً يرجو بها المتعلِّمُ النّجاةَ، كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «**النّاسُ ثلاثة: عالِمٌ ربّانيّ، ومتعلِّمٌ على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رُعاع..**».

وفي مطاوي الأبيات ما يُشير إلى أنّ التّعلُّم يجب أن يتلازم مع «يقَظة القلب»، و«التّنبُّه إلى المقاصد الحقيقيّة»، وأنّ الغرَض منه هو «معرفةُ السّبيل الواجب اتّخاذُه»، و«الانتفاع والثّواب به يومَ القيامة».

على كُتُبِ العُلومِ صَرَفْتَ مالَكْ ... وفي تَصحِيحِها أَشْغَلْتَ بالَكْ

وأَنْفَقْتَ البياضَ مع السَّوادِ ... إلى ما ليس بِنفعٍ في المعادِ

تَظَلُّ من المساءِ إلى الصَّباحِ ... تُطالِعُها وقلبُكَ ليسَ صاحي

وتُصبحُ مولَعاً من غيرِ طائلْ ... بِـ (تحريرِ) (المَقاصِدِ) و(الدَّلائلْ)

و(توضيحِ) الخفا في كلِّ بابْ ... وتوجيهِ السُّؤال مع الجوابْ

لَعَمْرُكَ قد أَضَلَّتْكَ (الهداية) ... ضلالاً ما له أبداً (نهاية)

وبـ (المحصول) حصّلت النَّدامةْ ... وحرمانَ الثَّوابِ إلى القيامةْ

و(تذكرة) (المواقف) و(المراصد) ... تسدُّ عليك أبواب المقاصد

فلا تُنجي (النَّجاةُ) من الضَّلالةْ ... ولا يشفي (الشِّفاءُ) من الجَهالةْ

وبـ (الإرشادِ) لم يَحصل رشادُ ... وبـ (التّبيانِ) ما بانَ السَّدادُ

وبـ (الإيضاحِ) أَشْكَلَتِ (المدارك) ... وبـ (المِصْباح) أَظْلَمَتِ (المَسالك)

وبـ (التّلويح) ما لاحَ الدَّليلُ ... وبـ (التّوضيح) ما اتَّضَح السَّبيلُ

صَرَفْتَ خُلاصةَ العُمرِ العزيزِ ... على (تنقيحِ) أبحاثِ (الوَجيزِ)

بهذا «النَّحوِ» «صَرْفُ» العمرِ جهلُ ... فَقُمْ واجْهَد فما في الأمرِ مهلُ

ودعْ عنكَ (الشُّروحَ) مع (الحواشي) ... فهُنَّ على البَصائرِ كَالغَواشي

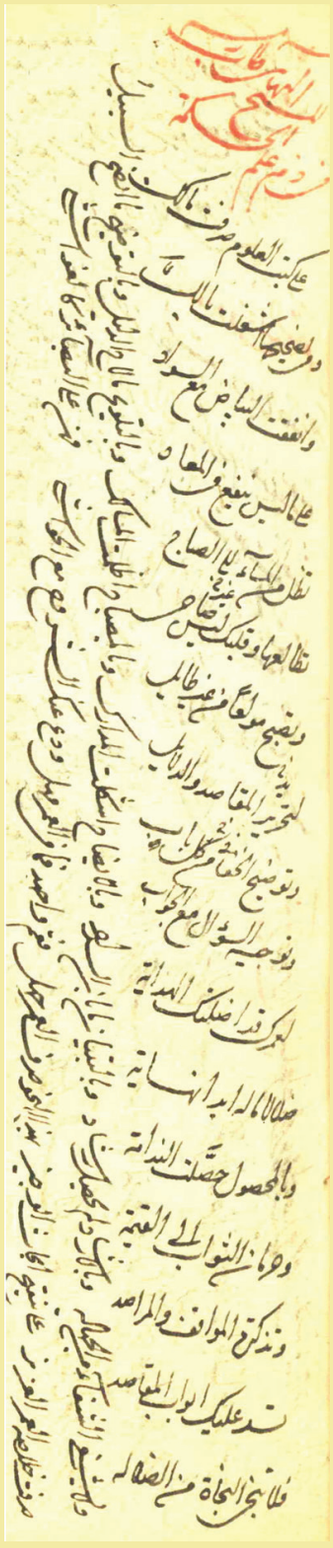

صورة الوثيقة

دوائر ثقافية

موقف	إلى الذين يزكّون أنفسهم	العلّامة الشيخ محمد جواد مغنيّة ﵀
فرائد	كيف يُعرف الإمام؟	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	«عوالي اللآلي» للأحسائي	قراءة: سلام ياسين
بصائر	نداءُ عالَم الوجود	إعداد: «شعائر»
مصطلحات	علمُ الاجتماع	د. محمود البستاني
مصطلحات	الإباحة	إعداد: «شعائر»
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

إلى الَّذين يُزَكُّون أنفسَهم

العلّامة الشّيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله*

قال أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «**وأَيْمُ الله يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ الله، لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ، إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْه مَطْعُوماً، وتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً**».

إنَّ رضى النّفس بقرصِ الشّعير والملح مع قدرتِها على لُبابِ القمحِ، والعَسَلِ المُصفَّى، فضيلةٌ في نفسه، وبالقياسِ إلى غَيْرِ الإمام، أمّا بالقياس إلى مَن عفَّ وكفَّ عن ابن العاص الَّذي قاد الجيوش إلى حربِه والقضاءِ عليه، وصَفَحَ عن مروان بن الحكم، وابن أرطأة، أمَّا بالقياس إلى مَن سَقى أعداءَهُ الماءَ بعد أنْ مَنَعوه منه، وحاولوا قتله عطشاً، وأَوْصى بقاتِله خيراً «..» أمَّا بالقياس إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فإنَّ الرِّضى بالقرص لا يُعدُّ شيئاً مذكوراً.

والحقيقة أنِّي لم أفهم معنًى لقول الإمام عليه السلام: «**لَأَرُوضَنَّ نفسي**»، وقوله: «**وإنَّما هي نَفْسي أَرُوضُها بالتَّقوى**»، إلَّا على سبيل التّنازُل والتّواضُع، وهل تَميلُ نفسُه إلى غير التَّقوى حتّى تحتاج إلى التّرويض والتّمرين؟! إنَّ نفسَه هي التَّقوى وميزانُ الحقِّ، والصِّراطُ القويمُ إلى اللهِ وكتابِهِ وشريعتِه، إنَّها نفسُ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالذّات، إلّا أنَّه لا نبيَّ بعد خاتم الأنبياءِ وسيِّدِهم.

شُبهةٌ وجوابٌ

إنْ قُلتَ: انَّ هذا لا يتَّفقُ مع قول الإمام عليه السلام: «**وخَدَعَتْني الدُّنيا بغرورها، ونفسي بخيانَتِها**»، وقوله: «**أَللَّهُمَّ لا تُعاجِلني بالعُقوبةِ على ما عَمِلْتُهُ في خَلَواتي من سوءِ فِعلي وإساءَتي، ودوامِ تفريطي وجَهالَتي، وكَثرةِ شَهَواتي وغَفْلَتي**»، وقوله أيضاً: «**إلهي ومولايَ أَجْرَيْتَ عليَّ حكماً اتَّبَعتُ فيه هَوَى نفسي، ولم أَحتَرِسْ فيه من تزيين عدوِّي**»، كما يَتنافى أيضاً مع قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**ما لي كُلَّما قلتُ قد صَلُحَتْ سَريرتي، وقَرُبَ من مجالسِ التَّوّابين مجلسي، عَرَضَتْ لي بَلِيَّةٌ أزالت قَدَمي، وحالَتْ بيني وبين خِدمَتِكَ**»، فإنَّ هذا اعترافٌ صريحٌ بأنَّ الإمامَ مغلوبٌ لا غالبٌ للدُّنيا وكثرةِ الشَّهوات!

والجواب:

أوَّلاً: إنَّ هذا اعترافٌ بالعبوديَّةِ لا بالذَّنب، وتعظيمٌ وانكسارٌ له تعالى، والتِجاءٌ إليه، وتَوَكُّلٌ عليه، وهو ضَرْبٌ من عبادةِ الأصفياءِ، بل مِن أعلى مراتبِ العبادةِ وأنواعِها.

ثانياً: إنَّ السِّرَّ لعظمة العظماء يَكْمُنُ في تواضعهم واتِّهامهم لأنفُسِهم، فَهُم في خوفٍ دائمٍ من التَّقصير وعدمِ القيامِ بما يَجِب، ومهما قدَّموا للإنسانيَّةِ من جليل الأعمال، وقاموا للهِ بالعبادات والطَّاعات، فلا يَرَوْنَها شيئاً في جَنْبِ الله، ويَطلبون من أنفسِهم المزيدَ من الجِدِّ والاجتهاد، إنَّهم يعرفون جلالَ اللهِ وقدرَتَهُ، وعزَّتَهُ وعَظَمَتَهُ، فلا يَعظم شيءٌ سِواه في أعيُنِهم، وإنْ عَظُمَ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ مِن حقِّ مَن عظم جلال الله في نفسه، وجلَّ مَوْضعُه من قلبِه، أنْ يَصغرَ عندَهُ لِعِظَمِ ذلك كلُّ ما سِواه**»، هذا هو شأنُ العارِفينَ المُخلِصينَ أصحاب الهِمَمِ والطُّموح، وشأن الأحرار الَّذين يَملكُون أنفسَهم، ولا يَملكهم شيءٌ، ويتطلَّعون دائماً إلى رحمةِ الله ومَرْضاتِه.

ثالثاً: إنَّ أهلَ الصِّدقِ والإيمانِ يَسلكون في جميعِ أقوالِهم وأفعالِهم طريقَ الحَذَرِ والاحتياط، فإذا تحدَّثوا عن أنفسِهم انتَقَدوها، واتَّهمُوها بالتَّواني والكَسَل، بل كثيراً ما يبلغُ بهم الأمرُ إلى تَوْبيخها وتأنيبها، ولا شيء أثقل عليهم من المَدْحِ والإطراء، وقد جاء في الحديث: «**أُحثُوا في وجوه المدَّاحين التُّرابَ**».

أمَّا الَّذين يُزكُّونَ أنفسَهم، ويُبَرِّئونَها من كلِّ عَيْبٍ فإنَّهم لا يَشعرون بواقِعِهم، ولا يَعرِفون شيئاً مِن داخلهم، وهم الَّذين عَناهُم اللهُ سبحانَه بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف:١٠٣-١٠٤.

* من كتابه (نظرات في التّصوُّفِ والكرامات)

فرائد

أعمالُنا في غَيبة إمامنا

عنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: «أَيُّمَا أَفْضَلُ، الْعِبَادَةُ فِي السِّرِّ مَعَ الإِمَامِ مِنْكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ، أَوِ الْعِبَادَةُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ ودَوْلَتِه مَعَ الإِمَامِ مِنْكُمُ الظَّاهِرِ؟ فَقَالَ: **يَا عَمَّارُ، الصَّدَقَةُ فِي السِّرِّ والله أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ، وكَذَلِكَ والله عِبَادَتُكُمْ فِي السِّرِّ مَعَ إِمَامِكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وتَخَوُّفُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وحَالِ الْهُدْنَةِ، أَفْضَلُ مِمَّنْ يَعْبُدُ الله عَزَّ وجَلَّ ذِكْرُه فِي ظُهُورِ الْحَقِّ مَعَ إِمَامِ الْحَقِّ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ، ولَيْستِ الْعِبَادَةُ مَعَ الْخَوْفِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ مِثْلَ الْعِبَادَةِ والأَمْنِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ..**».

(الكافي، الكليني)

كيف يُعرَفُ الإمام؟

عن أبي بصيرٍ، قال: «قلتُ لأبي الحسن [الإمام الكاظم] عليه السلام: جُعلتُ فداك بِمَ يُعرَفُ الإمام؟ فقال عليه السلام: **بخِصالٍ، أمّا أوّلها فإنّه بشيءٍ قد تقدّم من أبيه فيه بإشارةٍ إليه لتكونَ عليهم حجّة، ويُسأل فيُجيب، وإن سُكِتَ عنه ابتَدأ، ويُخبِر بما في غدٍ، ويكلّمُ الناس بكلِّ لسانٍ.**

ثمّ قال لي: **يا أبا محمّد، أُعطيك علامةً قبل أن تَقوم.**

فلم أَلبث أنْ دَخَل علينا رجلٌ من أهل خراسان، فكلّمه الخراسانيّ بالعربيّة فأجابه أبو الحسن عليه السلام بالفارسيّة، فقال له الخراسانيّ: واللهِ -جُعلتُ فداكَ- ما مَنَعني أن أُكلّمك بالخراسانيّة غير أنّي ظننتُ أنّك لا تُحسِنُها، فقال عليه السلام: **سبحانَ الله، إذا كنتُ لا أُحسِنُ أُجيبَك فما فضلي عليك؟ ثمّ قال لي: يا أبا محمّد، إنّ الإمامَ لا يَخفى عليه كلامُ أحدٍ من النّاس، ولا طيرٍ، ولا بهيمةٍ، ولا شيء فيه الرّوح، فمَن لم يَكن هذه الخصالُ فيه، فليس هو بإمام**».

(شرح أصول الكافي، المازندرانيّ)

وبالبَتولِ تمسَّك

أيُّهـا المؤمـنُ الّـذي طـابَ فَرعـا
وزَكـى منـه أصلُـه وتَمَسَّـك[1]

طِـبْ بِدِيـنِ النّـبيِّ نَفْسـاً وإنْ
خفْـتَ مـن النّـار في غـداةٍ تَمَسَّـك[2]

فاسْـتَجِرْ مـن لظـا لظًـى بعـليٍّ
وبَنيـه، وبـالبَتـول تمسَّـك

(الصّراط المستقيم، النّباطيّ العامليّ)

(١) (استَعمل المسك)

(٢) (لعلّه: في غدٍ أن تمسَك، لاجتناب ضمّ السّين)

روحُ العبادة والدُّعاء

«اِعلم أنَّ الأدعية والأذكار الواردة عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم في التّعقيبات ولا سيّما تعقيب صلاة الصّبح كثيرةٌ جدّاً، وإنّما اقتصرنا على هذا القدر رعايةً للاختصار، والله تعالى وليُّ الإعانة والتّوفيق. واعلَم أيضاً أنَّ ما ذكرناه من التّعقيب مأخوذٌ من رواياتٍ عديدةٍ وليس مُجتمِعاً في روايةٍ واحدةٍ، فلَكَ أن تَقتصر على البعض إذا لم يتّسع وقتُك للكُلِّ، فإذا وجدْتَ من نفسك كلالاً فاقطَعْهُ (خاصٌّ بالذِّكر، لا يشمل ما يُتَّخَذُ وِرْداً) ولا تكلِّفها كمالَه من دون ميلِها إليه وإقبالِها عليه؛ فإنَّ التّوجُّهَ والإقبالَ روحُ العبادة والدُّعاء. ويُستحبُّ جلوسُك في مُصلّاك بعد فراغِكَ من صلاةِ الصُّبح إلى أن تطلعَ الشّمس، وإن لم تَكُن مشتغلاً بالتّعقيب».

(مفتاح الفلاح، الشّيخ البهائيّ)

عَوالي اللّآلي

كتابٌ جامعٌ لِأشتاتِ المُتفرّقات

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: عوالي اللّآلي العزيزيّة في الأحاديث الدّينيّة.
المؤلّف: الشّيخ محمّد بن عليّ ابن أبي جمهور الأحسائيّ، (ح: ٩٠١ للهجرة).
تقديم: آية الله السّيّد شهاب الدّين المرعشيّ النّجفيّ قدس سره.
تحقيق ونشر: الشّيخ مجتبى العراقيّ.
سنة ومكان النّشر: ١٤٠٣ للهجرة - قمّ المقدّسة.

قال الشّيخ آقا بزرك الطّهرانيّ في (الذّريعة) مُعرّفاً بهذا الكتاب: «(عوالي اللّآلي العزيزيّة في الأحاديث الدّينيّة) للشّيخ محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائيّ [انظر: «أعلام» من هذا العدد]... له مقدّمة ذات عشرة فصول. ذَكر في الفصل الأوّل من المقدّمة طُرُقه السّبعة في الرّواية، ومنها ما يُروى عن عليّ بن هلال الجزائريّ تلميذ أبي العبّاس بن فهد الحلّيّ، وهو عن شيخه المقداد. وقد يُقال: الغوالي -بالغين المعجمة- كما في المشهور ولا أصلَ له. وشرحُه للسّيّد المحدِّث نعمة الله الجزائريّ، اسمه (الجواهر الغوالي) أو (مدينة الحديث) كما صرّح بها في أوّله».

وفي مقدّمته على الطّبعة الحديثة من (العوالي) قال آية الله السّيّد المرعشيّ النّجفيّ قدس سره: «لا يَخفى أنّ مِن أحسَنِ الكُتُب الحديثيّة هو كتاب (عوالي اللّآلي)، أَوْدعَ فيه مؤلِّفُه الجليل أحاديث قِصار المُتون، صِحاح الأسانيد، صراح الدَّلالات، نَظَمَها على أحسنِ أسلوبٍ وخيرِ نَمَطٍ..».

ونسبة «العزيزيّة» في عنوان الكتاب مردُّها إلى إهدائه إلى خزانة -أي مكتبة- السّيّد النّقيب عزيز الحسينيّ الرّضويّ، كما صرّح بذلك المؤلّف رضوان الله عليه.

وتَكمنُ ميزةُ كتاب (عوالي اللّآلي) أنّه أُلّف دَفْعاً لاشتباهاتٍ سادَت في زمنِ المُصنِّف، حيث يقول: «ولمّا اقتُطِعَ أهلُ هذه الأزمان، وأبناءُ هذه الأوان، عن مشاهدة هذه الأنوار [أنوار المعصومين عليهم السلام]، بِغَيْبَة إمامِهم، واستيلاءِ مُخالفيهم على جميع أحوالهم، وانطماسِ سُبُلِ الهداية بِغَلَبَة أهلِ الغِوايةِ والغَباوة، صار عَوامُّ أهل هذه الطّائفة وأبناءُ هذه الحجّة الأنيقة، كالأيتام الّذين لا كافلَ لهم ولا مُوصِلَ يوصلُهم إلى حقائق أسلافِهم، حتّى ظَنَّ كثيرٌ منهم أنّه ليسَ لأصحابِنا من الأحاديث مثلَ ما لِخُصومِهم، وأنّهم قطعوا التّعلُّق والعلاقةَ بينهم وبين الأحاديث الواردة عن سيّد البَشر ".." فحداني ذلك وحثّني على وضْع هذا الكتاب تذكرةً لِأُولي البَصائر من الإخوان، وإنقاذاً للأيتام، عوامّ الطّائفة من عماية الجهلِ الحاصلِ لهم بِمُخالطة أهلِ الزَّيْغ والبُهتان».

وأيضاً من الأسباب الموجِبة لِتأليف الكتاب، كما يصرّح رضوان الله عليه: «..حداني ذلك إلى جَمْعِ **كتابٍ جامعٍ لأشتاتِ المُتفرّقات**، من جُمَل ما رواهُ الثُّقات، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الهُداة، لِيكونَ منهجاً يُقتدى به إلى معرفة الحلالِ والحرامِ، ومَسلكاً يُعوَّل عليه في استظهارِ خفايا الأحكام..».

ومن خصائص الكتاب أنّ الشّيخ الأحسائيّ اعتمد في روايتِه طُرُقاً سبعة تنتهي جميعاً إلى العلّامة الحلّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهّر (ت: ٧٢٦ للهجرة)، ومنه بطُرقٍ أربعة إلى الشّيخ الطُّوسيّ، محمّد بن الحسن (ت: ٤٦٠ للهجرة)، ومنه بطريقَين إلى الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد النّعمان (ت: ٣١٤ للهجرة)، ومنه بطريقَين ينتهيان إلى المعصوم عليه السلام.

وبعد ذِكرِه طُرُقَه إلى مصادر أحاديث الكتاب، يقول المؤلّف: «..فبهذه الطُّرق، وبما اشتَمَلت عليه من الأسانيد المُتّصلةِ المُعَنْعَنةِ الصّحيحةِ الأسانيد، المشهورةِ الرِّجال بالعدالةِ والعلمِ وصحّةِ الفتوى وصِدْقِ اللّهجة، أَروي جميعَ ما أَرويه وأَحكيه من أحاديث الرّسول وأئمّة الهُدى عليه وعليهم أفضل الصّلاة والسّلام، المُتعلّقة بالفقه والتّفسير، والحِكَم والآداب والمواعظ، وسائر فنون العلوم الدّنيويّة والأُخرويّة».

يقول السّيّد نعمة الله الجزائريّ في شرحه على (العوالي): «على أنّنا

تتبّعنا ما تضمَّنه هذا الكتاب من الأخبار، فحصَل الاطّلاعُ على أماكنها الّتي انتزَعها منها، مثل (الأصول الأربعة) وغيرها من كُتُب الصَّدوق، وغيره من ثقات أصحابنا أهل الفقه والحديث. ولعلَّنا نشير في تضاعيف هذا الشَّرح إلى جملةٍ وافيةٍ منها».

محتوى الكتاب

يتضمّن كتاب (العوالي) للشّيخ الأحسائيّ ٥٠٥٨ حديثاً، في مقدّمةٍ وبابَين وخاتمة. والمقدّمة في عشرة فصول، خصّص الأوّلين منها لبيان طُرقه في رواية الأحاديث، وبيان الأسباب الدّاعية إلى جَمعها «واستخراجها من أماكنها المتباعدة». أمّا الأخيران فقد أوْرَد فيهما «أحاديث تتضمّن شيئاً من أبواب الفقه»، و«أحاديث تتضمّن شيئاً من الآداب الدّينيّة»، والفصول المتوسّطة رُتّبت فيها الأحاديث وفقاً لِطُرقها وأسانيدها.

والبابان، كلاهما في الفقه، يمتاز الثّاني عن الأوّل بأنّ أحاديثه رُتّبت ترتيباً منسَّقاً من كتاب الطّهارة إلى كتاب الدّيات، وفقَ التّرتيب الّذي اعتَمَده العلّامة الحلّيّ في كُتُبه. والباب الأوّل في أحاديث فقهيّة غير مرتّبة بالتّرتيب المُتداول، رواها -في أربعة مسالك- عن الشّهيد الأوّل، والفاضل المقداد السّيوريّ، والعلّامة الحلّيّ، وعن بعض المتقدّمين عن المعصوم عليه السلام.

هذا وتضمّنت الخاتمة «الأخبار المتفرّقة في الفنون المختلفة وعدّة من الكرامات».

شُبُهات وردود

يُشير آية الله المرعشيّ النّجفيّ قدس سره إلى أنّ كتاب (العوالي) بقي -وهو «الدّرّة اليتيمة والجوهرة الثّمينة»- مُهمَلاً لسنواتٍ طوال، مردُّ ذلك إلى «انتقاداتٍ أُوردت بعضُها على المؤلِّف وبعضها على المؤلَّف، وكلُّها واهية غير واردة، ناشئةٌ من قلّة التّتبُّع والغَوْر في الكتاب، تُحومِل عليه بحيث حتّى خَمل ذكرُه ونُسيَ اسمُه..».

ثمّ شَرع رضوان الله عليه في تعداد الانتقادات الواردة على الكتاب، ومن ثمّ تفنيدها. ونحن هنا نشير إلى ثلاثةٍ منها:

١- إنَّ كلّ المرويّات فيها مراسيل وليس فيها خبرٌ مُسند، والإرسال من أقوى موجبات الضّعف في الأخبار.

وقد أجاب عن ذلك السّيّد المرعشيّ بالقول: «**وأمّا إشكالُ الإرسال**، فغَير واردٍ أصلاً لأنَّ كلّ ما أُودِعَ فيه، إلّا ما صرّح بإرساله، مُسنداتٌ ببركة المَشيخة الّتي ذَكَرَها، وهذه المشيخة كمشيخة شيخنا الصَّدوق في (الفقيه)، والفارق أنَّ هذا الشّيخ ذَكَر المشيخة في أوّلِ الكتاب في رسالةٍ مستقلّةٍ منحازة، والصَّدوق جَعل المَشيخة في آخِر الكتاب.

فإنَّ هذا الشّيخ قال: «إنَّ ما أَوْدَعْتُ في هذا الكتاب فإنّي أَرْوِيها بهذه الطُّرُق السّبعة»، وأكثر تلك المودَعات فيه مرويّة مسموعة عن شيخه العلّامة الثّقة الجليل، الشّيخ رضيّ الدِّين عبد الملك بن الشّيخ شمس الدّين إسحاق بن الشّيخ رضى الدِّين عبد الملك بن الشّيخ محمّد الثّاني ابن الشّيخ محمّد الأوّل ابن فتحان القمّيّ الأصل نزيل كاشان المتوفّى بعد سنة ٨٥١ للهجرة بقليل، وكان هذا الرَّجل مِن أعلامِ عصرِه، وكان يروي عن الفاضل المقداد وابن فهد وغيرهما، فليُراجع إلى معاجم التّراجم. وإنّي رأيتُ عدّة نسخ من هذا الكتاب في خزائن الكُتُب مشتملة على المشيخة ونُسَخاً غير مشتملة، فمِن ثمّ اشتَبَه الأمرُ على مَن نَسَبَ الإرسالَ إليه».

٢- إنَّه مشتملٌ على بعض مرويّات العامّة والمخالفين.

قال السّيّد المرعشيّ: «**وأمّا اشتمالُه على بعض مرويّات العامّة**، ففيه أنَّ غَرَضه كون هذه الرّوايات، مع قَطعِ النّظَر عن نقل الأصحاب، منقولة في كُتُب العامّة أيضاً كما لا يَخفى مَن جاس خلال تلك الدِّيار، مُضافاً إلى أنَّ المعيار حجّيّةُ الخبر الموثوق بصدوره، أيّاً مَن كان الرّاوي، كما هو التّحقيق عند المتأخّرين».

٣- إنّه تفرَّد بنقل أحاديث لا توجد في غيره.

جرى على أَلسِنَة الفقهاء، وفي مطاوي الكُتب الفقهيّة، ذكرُ عدّة أحاديثٍ هي مورد النّقض، والإبرام، والاستدلال، والتّحليل بينهم قدّس الله أرواحهم الطّاهرة، كـ: «**النّاس مُسلَّطون على أموالهم**»، و«**النّاس في سعةٍ ما لم يعلموا**»، و«**المَيسور لا يَسقط بالمَعسور**»، و«**صلّوا كما رأيتموني أُصلّي**»، وغيرها من الأحاديث الشّريفة المعروفة، والّتي لا مَرجع ولا مدرك لها سوى هذا الكتاب. ومن هنا وُجّه النَّقد إلى كتاب (العوالي) بأنّه **تفرَّد بنقل أحاديث لا توجد في غيره.**

وقد علّق السّيّد المرعشيّ قدس سره على ذلك بالقول: «**وأمّا تفرُّده بنَقل ما لا يوجد في غيره**، فهذا أيضاً ممَّا يُرَدُّ عليه بعد تفرُّق كُتُب الشّيعة كـ (الأصول الأربعمائة) وغيرها من الكُتُب الموجودة في أقطار العالم، وتوَجُّه الفِتَن والمُوبقات إليها، فالمُحتمَل قويّاً عثوره على بعض تلك النُّسخ، فهذه الخصوصيّة [التّفرُّد بنقل أحاديثٍ بعَينها] موجودة في بعض كُتُب الحديث أيضاً، مُضافاً إلى أنَّ نقل مثل هذا الشّيخ الجليل بتلك الطُّرق السَّبعة يورثُ الطّمأنينة والوثوق بالصُّدور».

بصائر

الصّلاةُ على محمّد وآل محمّد ﷺ
ضُمُّوا أصواتَكم إلى نداءٍ عالَم الوجود

إعداد: «شعائر»

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب:٥٦

ما يلي، بحثٌ مختصَر حول معنى الصّلاة على النّبيّ ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام الواردة في هذه الآية المباركة، وأقوال المفسّرين فيها، وبيان أنّ عوائدَ خيراتها تنالُ المُصلّي خاصّة.

رُوي عن رسولِ الله ﷺ أنّه قال: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ فَنَسِيَ الصّلاةَ عَلَيَّ، خُطِئَ بِهِ طريقُ الجنّة**».

وعنه ﷺ: «**أنا عندَ الميزان يومَ القيامة، فمَن ثَقُلَت سيّئاتُه على حسناتِه، جئتُ بالصَّلاة عليّ حتّى أُثقِّلَ بها حسناتِه**».

وعن أبي عبد الله الإمام الصّادق عليه السلام: «**قُلْ بعدَ الفجر: اللّهمّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِ محمَّد، مائة مرّة، يَقِي اللهُ به وجهَك من حَرِّ جهنَّم**».

تَعرَّض لمعنى «**الصَّلاة**» العديدُ من المفسِّرين، واللّغويِّين، وشُرّاحُ الحديث، وحاصلُ الجميع: **أنّها الدُّعاءُ، والثَّناءُ، والتَّبجيلُ، والتَّعظيمُ، والرَّحمة**.

فَمن حيث اللّغة، لها معنًى واحد، إلّا أنَّ ما يطرأُ عليها من مختلف التّطبيقات، إنّما هو بِحَسَب موقع القائل. مَثل ذلك: كلمة «اِفعل»، فحينما تكون من العالي إلى الدّاني، فإنّها تُفيد معنى الأمر، وحينما تكون من الدّاني إلى العالي، فإنّها تُفيد الدُّعاء والطَّلَب، وحينما تكون من الشَّخص إلى نظيرِه، فإنّها تُفيد الرَّجاء والالتماس. وهكذا الحالُ في معنى الصَّلاة، فإنّها بمعنًى واحدٍ، إلّا أنّ اختلاف القائل يُسبِّب التَّغيير في معناها.

فإنْ كان المصلِّي هو اللهُ تعالى، فصلاتُه على رسولِهِ ﷺ هي تعظيمُه في الدُّنيا بإعلاءِ كلمتِه، وإبقاءِ شريعتِه، وفي الآخرة بتَضعيفِ مَثُوبَتِه والزِّيادةِ من رفعِ درجتِه.

وإن كانت الصَّلاة من الملائكة، فمعناها الدُّعاء له والثَّناء عليه ﷺ. وإنْ كانت من المؤمنين، فمعناها الدُّعاءُ له برَفْعِ درجتِه وعلوِّ منزلتِه ﷺ.

وفي (ثواب الأعمال) للشّيخ الصّدوق، رُوي عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام عندما سُئِل: «ما معنى صلاةُ الله وصلاةُ ملائكتِه وصلاةُ المؤمن؟»، قال عليه السلام: «**صلاةُ الله رحمةٌ من الله، وصلاةُ الملائكةِ تزكيةٌ منهم له، وصلاةُ المؤمنين دعاءٌ منهم له**».

وهنا أمران يجبُ الالتفات إليهما:

١- إنَّ التعبير بـ«يُصَلُّون»، وهو فعلٌ مضارع يدلُّ على الاستمرار، يعني أنَّ اللهَ وملائكتَه يُصلُّون عليه ﷺ دائماً وباستمرار، صلاةً دائمةً خالدة.

٢- اختَلَف المفسِّرون في الفَرْقِ بين «صَلُّوا» و«سَلِّموا»، والّذي يبدو أنسبَ للأصل اللّغويّ للكلمتَين، وأوفقَ لظاهر الآية القرآنيّة، هو: أن «صلُّوا» أمرٌ بالدّعاء بالرّحمة، أمّا «سَلِّموا» فتَعني التَّسليمَ لأوامرِ نبيِّ الإسلام الأكرم ﷺ، كما ورد في الآية: ﴿..ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:٦٥.

في تفسير الآية

* **يقول السّيّد الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان)**: «قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب:٥٦، إنَّ أصلَ الصَّلاة الانعطاف، فصلاتُه تعالى انعطافُه عليه بالرَّحمة انعطافاً مطلقاً لم يُقيَّد في الآية بشيءٍ دون شيء، وكذلك صلاةُ الملائكة عليه انعطافٌ عليه بالتَّزكية والاستغفار، وهي من المؤمنين الدُّعاء بالرَّحمة.

وفي ذكرِ صلاتِه تعالى وصلاةِ ملائكتِه عليه قبل أَمْرِ المؤمنين بالصَّلاة عليه، دلالةٌ على أنَّ في صلاةِ المؤمنين له اتِّباعاً لله سبحانَه وملائكتَه..».

* **وفي (تفسير الأمثل) للشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ**: «إنَّ مقامَ النَّبيّ ﷺ ومَنزِلَتَهُ من العظَمةِ بِمكان، بحيث أنَّ خالقَ عالَمِ

الوجود، وكلّ الملائكة الموكّلين بتدبيرِ أمر هذا العالَم، بأمرِ الله سُبحانَه، يُصلُّون عليه. وإذا كان الأمرُ كذلك، فضُمُّوا أصواتَكم إلى نداءِ عالَم الوجود هذا.

فيا أيُّها الَّذين آمنوا صَلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً. إنَّه جوهرةٌ نفيسةٌ لِعالَمِ الخلْقة، وقد جُعِلَ بينكُم بِلُطْفِ اللهِ، فلا تَسْتَصْغِروا قَدْرَه، ولا تَنْسُوا مَقامَه ومَنزلتَه عند الله وملائكة السَّماوات. إنَّه إنسانٌ ظَهَرَ من بينكم، لكنَّه ليس إنساناً عاديّاً، بل هو إنسانٌ يَتَلخَّصُ عالَمُ الوجودِ في وُجودِه».

الصّلاةُ على النّبيّ ﷺ وسيلةٌ إلى الله تعالى

من الأسئلة التي قد تُطرَح: على مَنْ تعود فائدةُ الصَّلاة على محمّدٍ وآلِ محمّد؟ إلى المُصلّي -من النّاس- أم إلى النّبيِّ وآلِه الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين؟

والجوابُ على ذلك: أنّ الفائدةَ تعودُ إلى المصلّي فحسب، لأنّ النّبيَّ والأئمّة عليهم السلام قد بَلغوا من الكمالِ والفضلِ مرتبةً لا يُمكن الزِّيادةَ عليها، ولم يَبْقَ من فضلٍ وعلوٍّ وسموٍّ وكمالٍ إلّا وقد جَمَعوه، فَهُم خيرُ الخَلْقِ على الإطلاق، ولا يوجَد مَنْ هو أَكْمَل منهم ولا أفضل. وعليه، فَمَن كان خيرَ الخلقِ، وعِلّةَ الخلقِ، وأوّلَ الخلقِ، والواسطةَ بين المخلوقِ والخالق، ومَنْ وَصَل إلى مقام ﴿.. **قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** ﴾ النّجم:٩ لا يَحتاجُ إلى صلاةِ مَنْ هو أقلّ منه، فصلواتُنا عليهم لا تَزيدُهم في كمالاتِهم وعلوِّ درجاتِهم، وإنّما تَنفعُنا نحن بالتّقرُّب بها إليهم صلوات الله عليهم.

وممّا ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام في هذا المجال: «**أللّهمّ إنَّ محمّداً كما وَصَفْتَه في كتابِكَ حيثُ قُلتَ وقولُكَ الحقُّ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** التوبة:١٢٨، **فَأَشْهَدُ أنّه كذلك، وأشهدُ أنَّك لَمْ تَأمُر بالصَّلاةِ عليه إلّا بعدَ أن صلّيْتَ عليه أنتَ وملائكتك، فأنزلْتَ في فُرقانِك الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** الأحزاب:٥٦، **لا لِحاجةٍ به إلى صلاةِ أحدٍ من الخَلْقِ عليه بعد صلواتِك، ولا إلى تزكيةِ أحدٍ بعد تزكيتِك، بل الخَلْقُ كلُّهم محتاجون إلى ذلك، لأنّك جعلتَهُ بابَك الّذي لا تَقْبَلُ إلّا مَن أتاكَ منه، وجعلْتَ الصَّلاةَ عليه قُربةً منكَ وَوسيلةً إليكَ وزلفةً عندَك، ودلَلْتَ عليه المؤمنين، وأمَرْتَهُم بالصَّلاة عليه، ليَزدادوا بذلك كرامةً عليك..**».

إجابةُ الدّعاء ببركةِ الصّلوات

رُوي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتّى يُصلّى على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ**».

وعن الإمام الصّادق عليه السلام أنَّه قال: «**ما من دعاءٍ إلّا وبينَه وبين السَّماء حجابٌ حتّى يُصلَّى على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وإذا فعلَ ذلك انخرَقَ الحجابُ فدخلَ الدُّعاءُ، وإذا لم يفعل ذلك لم يُرفَعِ الدُّعاء**».

عن سلمان الفارسيّ رضوان الله عليه، قال: «سمعتُ محمّداً ﷺ يقول: **إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: يا عبادي، أوَليسَ مَنْ له إليكم حوائجُ كِبار لا تجودون بها إلّا أن يتحمّل عليكم بأحبِّ الخلقِ إليكم، تقضونَها كرامةً لِشفيعهم؟ ألا فاعلمُوا أنَّ أكرمَ الخلق عَلَيّ وأفضلَهم لَدَيَّ، محمّدٌ وأخوه عليّ، ومِن بعدِه الأئمّةُ الَّذين هم الوسائلُ إليّ، ألا فلْيَدعُني مَن هَمَّتْهُ حاجةٌ يُريدُ نفعَها، أو دَهَتْهُ داهيةٌ يُريدُ كشفَ ضَرَرِها بمحمّدٍ وآله الطّيّبين الطّاهرين، أَفْضِها له أحسنَ ممّا يَقضيها مَن يَستشفِعون بأعزِّ الخَلقِ عليه.**

فقال له قومٌ من المُشركين والمُنافقين وهُم المستهزئون به: يا أبا عبد الله، فما لك لا تَقترَح على الله بهم أن يَجعلَكَ أغنى أهلِ المدينة؟

فقال سلمان رضوان الله عليه: دَعَوْتُ اللهَ وسألتُه ما هو أجلُّ وأنفعُ وأفضلُ من مُلْكِ الدُّنيا بأسرِها، سألتُه بهم عليهم السلام أنْ يَهَبَ لي لساناً ذاكراً لِتحميدِه وثنائه، وقلباً شاكراً لِآلائه، وبَدَناً على الدَّواهي الدَّاهيةِ صابراً، وهو عزَّ وجلَّ قد أجابَني إلى مُلتمَسي من ذلك، وهو أفضلُ من مُلْكِ الدُّنيا بحذافيرها، وما اشتملَ عليه من خيراتها مائة ألف ألف مرّة».

مصطلحات

علمُ الاجتماع
اضطرابُ التّعريف، وتشتّتُ الموضوعات

د. محمود البستاني*

يَظلُّ علمُ الاجتماع حافلاً بِجُملةٍ من التَّعريفات الّتي يَتفاوت تحديدُها من اتِّجاهٍ لآخَر، حَسب الخلفيّة الفكريّة الّتي يَنتسبُ إليها علماءُ الاجتماع، بل يَكادُ يَنفردُ هذا العلمُ بصعوبةِ تعريفِه، إلى حدِّ أنَّ بعضهم يَترك التَّعريفَ لِيَتحدَّثَ عن موضوعاته، وحتَّى هذا الجانب يَظلُّ خاضعاً لِتفاوتٍ ملحوظٍ بين علماء الاجتماع.

يُضاف إلى ذلك، وجودُ صِلةٍ شديدةٍ بين هذا العلم وبين علم النَّفس، وبين أحد فروعه وهو علم النَّفس الاجتماعيّ من جانبٍ، وبينه وبين علم الأقوام أيضاً من جانبٍ آخر، ثمَّ بينه وبين العلوم الإنسانيَّة الأُخَر من جانبٍ ثالثٍ. كلُّ هذه التعقيدات تَتواكَبُ مع علمِ الاجتماع من حيث تعريفِه وموضوعِه ومهمَّتِه.

إنَّ التَّعريفات الّتي يقدِّمها علماءُ الاجتماع لهذا العلم، يَتَّجه بعضُها إلى دراسة الاجتماع من خلال أَوْسع حُجومِه وهو «المجتمع»، بِصِفَتِه أَوْسع وحدةٍ اجتماعيّة، تَضمُّ في داخلِها كلّ الأجزاء الَّتي تَنتظمُ في هيكلٍ خاصٍّ يُطلَقُ عليه اسم «المجتمع». وهذا التّعريف -أي دراسة المجتمع- يَأخذ جملةً من التَّحديدات، منها:

١- النَّظر إلى المجتمع بصفته «بناءً بشريّاً» يضمُّ جماعاتٍ متنوِّعة.

٢- النَّظر إلى المجتمع بصفته «بناءً عامّاً» يتألَّفُ من الجماعات، والتَّنظيمات، والنُّظُم، والمعايير إلخ، سواء أكانت تتحدَّدُ في وحدةٍ جغرافيّةٍ صغيرةٍ كالقرية، أو كبيرة كالشَّعب، أو كانت تَتَحدّدُ في تُراثٍ ثقافيٍّ. وفي هذا السِّياق، هناك من الباحثين مَن يُكسِب المجتمعَ:

أ- صفاتٍ «آليّة»: من حيث مُشابهتِه للآلةِ في أجهزتها ووظائفها.

ب- صفاتٍ «عضويّة»: من حيث مُشابهتِه للإنسانِ في جهازِه العضويِّ ووظائفه.

ج- صفاتٍ «قِيمِيَّة»: بحيث يصبحُ المجتمعُ بِمنزلةِ جهازٍ «معنويٍّ»، أو شخصيَّةٍ معنويَّةٍ لها سِماتها ومعاييرها.

وهناك مِن الباحثين مَن يَرفضُ دراسةَ «الاجتماع» من منظورِ «الحجم»، وإنَّما يَميلُ إلى دراسته بلحاظ:

١- السُّلوك الاجتماعيّ.

٢- العلاقات الاجتماعيّة، أو ما يُقابلها من دائرة «الوظائف الاجتماعيّة»، أو دراسة كِلَيهما.

٣- «القوانين الاجتماعيّة» فَحَسْب.

٤- في المقابل، هناك مَن يَجعل علمَ الاجتماع شاملاً لِمُطلَقِ ما هو نشاط اجتماعيّ، فيَتجاوز دائرةَ الحجمِ والسُّلوكِ والقوانين، ليَتَحدَّثَ عن «الحياة الاجتماعيّة» و«الظَّواهر الاجتماعيّة» ونحوهما من المصطلحات الَّتي تَتناول مُطلق ما هو اجتماعيّ.

طبيعةُ الموضوعات «الاجتماعيّة»

فلو انسَقْنا مع مُصطلحِ ما هو «اجتماعيّ»، لواجهنا أنَّه يُقابلُ ما هو «انفراديّ»، لكن هل أنَّ رقم الاثنين فصاعداً يظلُّ مشمولاً بدلالة «الاجتماعيّ» حتّى لو كان ضئيلَ الحجم؟ ثمَّ هناك من الأرقام المُتجمِّعة ما تتَّسِمُ بالأهمّيّة كـ «العائلة»، وما لا تتَّسِمُ بالأهمّيّة كـ «جماعة اللَّعب» مثلاً.

وإذا تَجاوَزْنا ظاهرةَ «الرَّقمِ والحجم» إلى مُطلَقِ التَّجمُّع، فهل يَشملُ «الاجتماعيّ» مجرَّد التَّجمُّع أم يَشترطُ تَفاعلَه؟

يترتَّبُ على ذلك سؤالٌ آخَر: هل إنَّ التَّفاعلَ وحدَه كافٍ في إطلاقِ دلالةِ «الاجتماعيّ»، أم إنَّ الاشتراك أو الخضوع لِظواهر -كَالفقرِ- تَطبع التَّجمّع، يَندرج أيضاً ضمن ما هو اجتماعيّ؟

وإذا كان الأمرُ كذلك، فهنا يتكرَّر التَّساؤل السَّابق نفسُه: هل إنَّ «الحجمَ» يَتدخَّل في تحديد ما هو اجتماعيّ، بحيث تُصبح الظَّاهرة «اجتماعيّة» حينما تَطبعُ عدداً كبيراً من النَّاس، وهل تتدخَّل «نوعيّة» الظّاهرة في تحديد ذلك، بحيث تصبح الظّاهرة «اجتماعيّة» في حالة اتِّسامها بالأهمّيّة فَحَسْب؟

تنوّعت أجوبةُ علماء الاجتماع على هذه الأسئلة، فقد قصرَ بعضُهم «الاجتماعيّ» على ما هو «**عامٌّ ومهمٌّ**»، واشترط آخرون «**عنصر التَّفاعل**»، وقالت جماعةٌ ثالثة بأنّ «علم الاجتماع» علمٌ عامٌّ، وعليه تتفرّعُ جميع العلوم الأخرى، وعارضت رابعة بأنّ مهمّةَ «علم الاجتماع» هي «**دراسةُ حصيلة العلوم الأخرى في تفاعلاتها**».

* مُختصَر من كتابه (الإسلام وعلم الاجتماع)

الإباحة

السَّعة والإطلاق

إعداد: «شعائر»

«الأصلُ أنَّ حقَّ الإباحة للشَّارع المقدَّس وحدَه؛ لأنّه المالكُ والخالقُ للإنسان، فيكون له الأمرُ تكويناً وتشريعاً، تكليفاً ووَضْعاً».

جولةٌ في معنى «الإباحة» لغةً واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصّلة، ومَن له حقُّ الإباحة، مقتطفةٌ -باختصار- من (موسوعة الفقه الإسلاميّ طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام).

* **إباحة**: مِن باح الشَّيء -نحو قال- يبوح بَوْحاً وبَؤوحاً وبَؤوحةً: ظهرَ.

قال الخليل: «البَوْح: ظهورُ الشَّيء».

ويتعدّى الفعل (باح) بالحرف فيقال: باح بِسِرِّه، أي أظهرَه.

ويتعدّى بالهمزة فيُقال: أباحَه إباحةً.

وقد ذكروا للإباحة عدّة معانٍ، منها: الإحلالُ، والإطلاقُ، والسّعةُ، والإظهار، كما فُسِّرت من خلال ذِكر ما يُضادُّها كـ «الحَظْر».

إلَّا أنّه حُكِيَ عن بعضهم: أنَّ الأصلَ في الإباحة إظهارُ الشَّيء للنَّاظر ليَتناوله مَن شاء، ومنه باحَ بِسِرِّه.

وصرّح بعضُهم بالفرق بين الحلال والمُباح؛ بأنّ الحلالَ مِن حلّ العقد في التَّحريم، والمُباح من التَّوسعة في الفعل.

الإباحةُ اصطلاحاً

تُطلق الإباحة عند الفقهاء على معانٍ عديدةٍ، منها:

١ - الخطابُ الشَّرعيّ بالتَّخيير بين الفعلِ والتَّرك. وتُسمَّى الإباحة بالمعنى الأخصّ حيث تكون بهذا المعنى أحد الأحكام التّكليفيّة الخمسة، وهي: الوجوب، والاستحباب، والإباحة، والكراهة، والحُرْمة.

٢ - الجوازُ الوضعيّ الانتزاعيّ، بمعنى الصّحّة والمشروعيّة وعدم البطلان، كإباحة التّيمُّم مع خوف الضَّرر من استعمال الماء.

٣ - الحكمُ العقليّ بالإباحة العقليّة، في قبال ما يَحكمُ العقلُ بقُبْحِه أو استحقاق اللَّوم والعقوبةِ عليه، وقد تُسمّى بالإباحة أو البراءة العقليّة.

* وهذه المعاني والإطلاقات للإباحة عند الفقهاء، رغم اشتراكها جميعاً في المناسبة مع المعنى اللّغويّ حيث إنّ المكلَّف فيها جميعاً يكون في سعةٍ وإطلاقٍ، إلَّا أنّها تختلفُ في ما بينها من حيث نوع الإطلاق والسّعة، وأيضاً من حيث الموضوع الّذي تتعلّقُ به الإباحة والسّعة.

من الألفاظ ذات الصِّلة

١ - **الجواز**: وقد جَعَلَه بعضُهم مرادفاً للإباحة في معناه التّكليفيّ والوضعيّ.

٢ - **الرُّخصة**: وهي في قبال العَزيمة والفرض، أي ما يَجوز تَركُه.

٣ - **الحلّيّة**: وهي في قبال الحُرْمة والممنوعيّة، كالجَواز.

٤ - **التّخيير**: بمعنى تَرْك الأمر إلى اختيار المكلَّف ومشيئته، وجَعَلَهُ السّيّد الشّهيد الصّدر رحمه الله ممّا يترتّب على الإباحة.

مَنْ له حقُّ الإباحة

الأوّل - الشّارعُ المقدَّس: الأصل أنَّ حقّ الإباحة للشَّارع وحده؛ لأنّه المالك والخالق للإنسان، فيكون له الأمرُ تكويناً وتشريعاً، تكليفاً ووَضْعاً. كما أنّ حقّ التَّصرُّف في الأموال والحقوق يكون للهِ تعالى أصالةً وبالذّات لا لغيره؛ لأنّه المالكُ الحقيقيُّ لكلِّ شيءٍ، وبِتَبَع إذنِه وفي طول تشريعه تعالى وإمضائه للتّملُّك أو الحقّ يثبتُ ذلك للمكلّفين في قبال بعضِهم البعض، لا في قبال الله تعالى.

الثّاني - الإمام أو الوليّ العامّ: للنّبيّ صلى الله عليه وآله وللإمام المعصوم عليه السلام حقُّ التّشريع، كما أنّ له حقُّ التّصرّف في أموال الآخرين مطلقاً؛ وأمّا الحاكم الشّرعيّ فليس له حقُّ التّشريع ولا التّصرّف في أموال الآخرين كذلك، وإنّما له التّصرّف أو الإذن في دائرةِ ولايتِه وصلاحيّاته المجعولة له من قِبَل الشّارع المقدّس.

الثّالث: القاضي، في حدودِ ما يتولّاه من شؤون القضاء.

الرّابع: المالك أو وكيلُه أو وليُّه، في حدودِ ما يَملكه أو يَتولّاه ولايةً أو وكالةً.

الخامس: قيل العقل، ولكنَّه ليس مصدراً لِتشريع الإباحة، وإنّما لإدراكِها.

حِكم

من مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام

لَيسَ لِأمسٍ عَودَة

* «الْمُدَّةُ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةٌ، وَالمَاضِي لِلْمُقِيمِ عِبْرَة، وَالمَيتُ لِلحَيِّ عِظَةٌ، ولَيسَ لِأَمسٍ عَودَةٌ، وَلَا أَنتَ مِن غَدٍ عَلى ثِقَةٍ، وَكُلُّ لِكُلِّ مُفارِقٌ وَبِهِ لَاحِقٌ (الأَوَّلُ لِلأَوْسَطِ رَائِدٌ، والأَوْسَطُ لِلآخِرِ قَائِدٌ)، فَاسْتَعِدُّوا لِيَومٍ لَا يَنفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنونَ، إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ».

(روضة الواعظين، النّيسابوريّ)

* «..واسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ (غَمامُه)، وكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا (وانْتَهَوْا)، وعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَه لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، ومَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِه، وإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وإِنَّ غَائِباً يَحْدُوه الْجَدِيدَانِ -اللَّيْلُ والنَّهَارُ- لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ..».

(نهج البلاغة)

لغة

ع ر ف

عَرُف الرَّجلُ إذا أَكثر من الطِّيب، و**عَرِف** إذا ترَكَ الطِّيب.

وفي الحديث: مَن فَعل كذا وكذا لم يَجِد **عَرْفَ** الجنّة، أي ريحَها الطّيِّبة.

وفي حديث عليٍّ عليه السلام: «**حبَّذا أَرض الكوفة، أَرضٌ سَواء سَهلة معروفة**»، أَيْ طيّبة العَرْفِ. فأَمّا الّذي وَرَد في الحديث: «**تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخاء يَعْرِفْك في الشّدَّة**»، فإنّ معناه: اجعلْهُ يَعْرِفُكَ بطاعتِه والعَمَلِ في ما أَوْلاك من نِعمته، فإنّه يُجازِيك عند الشّدَّة والحاجةِ إليه في الدُّنيا والآخرة.

و**عرَّف** طَعامه: أَكثر أُدْمَه. و**عرَّف** رأْسه بالدُّهْن: رَوَّاه.

وطارَ القَطا **عُرْفاً عُرْفاً**: بعضُها خلْفَ بعض.

و**عُرْف** الدِّيك والفَرَس والدَّابّة وغيرها: مَنْبِتُ الشَّعر والرِّيش من العُنق، واستعمله الأَصمعيّ في الإِنسان فقال: جاء فلان مُبْرَئِلاً للشَّرِّ، أَي نافِشاً عُرْفَه، والجمع **أَعْراف وعُروف**.

و**المَعْرَفة**، بالفتح: مَنْبِت عُرْف الفرس من النّاصية إلى المَنْسَج، وقيل: هو اللَّحم الّذي يَنبتُ عليه العُرْف.

و**أَعْرَفَ** الفَرسُ: طال عُرفه، **واعْرَوْرَفَ**: صار ذا عُرف. و**عَرَفْتُ** الفرس: جزَزْتُ عُرْفَه.

وفي حديث ابن جُبَير: ما أَكلتُ لحماً أَطيَبَ من **مَعْرَفة** البِرْذَوْن، أَي مَنْبتِ عُرْفه من رَقَبته.

وسَنامٌ **أَعْرَفُ**: طويل ذو عُرْف .. وناقةٌ **عَرْفاء**: مُشْرِفةُ السَّنام.

(لسان العرب، ابن منظور)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

احسِبْها إنْ كنتَ حاسباً

«استقبلَ أميرَ المؤمنين عليه السلام دِهقانٌ [كبيرُ القوم، والمقدَّم فيهم] من دهاقين الفُرس، فقال له بعد التّهنئة:

يا أمير المؤمنين، تناحَسَت النُّجومُ الطّالعات، وتناحَسَتِ السُّعود بالنُّحوس، وإذا كان مثلَ هذا اليوم وَجَب على الحكيمِ الاختفاءُ، ويومُك هذا يومٌ صعبٌ، قد انقلبَ فيه كوكبٌ، وانقَدَح من برجك النِّيران، وليس الحربُ لكَ بمكانٍ.

فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: **وَيْحَك يا دِهقانُ المُنبي عن الآثارِ المُحذِّر من الأقدار، ما قصَّةُ صاحب الميزان، وقصّةُ صاحب السَّرطان، وكم المطالعُ من الأسد والسَّاعات من المحرّكات، وكم بين السّراري والدّراري؟**

قال: سأنظر، وأَوْمأ بيده إلى كُمِّه، وأخرج منه أسطرلاباً يَنظر فيه، فتبسَّم صلوات الله عليه، وقال: **أتَدري ما حَدَث البارحة؟ وقع بيتٌ بالصِّين، وانفرَج برجُ ماجين** [في معجم البلدان: ماجان: نهر في مَرو، وماخان: قرية في مرو]، **وسقَطَ سُورُ سرَنديب** [سريلانكا اليوم]، **وانهزَم بطريقُ الرُّوم بأرمينية، وفُقِد ديّانُ اليهود بأيلة** [على خليج العقبة]، **وهاج النَّملُ بوادي النَّمل** [يحمل هذا الاسم أكثر من موضع: وادي النّمل الواقع بين جبرين وعسقلان، وقد مرّ به سليمان عليه السلام. وآخر خلفَ بلاد التّبت]، **وهلك ملكُ إفريقية، أكُنتَ عالماً بهذا؟** قال: لا، يا أميرَ المؤمنين، فقال: **البارحة سَعِدَ سبعون ألف عالِمٍ، ووُلد في كلّ عالَمٍ سبعون ألفاً، واللّيلةَ يموتُ مثلُهم، وهذا منهم،** وأوْمأَ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثيّ لعنه الله، وكان جاسوساً للخوارج في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام، فظَنَّ الملعونُ أنَّه يقول: خُذوه، فأخَذ بنفسِه فمات، فَخَرَّ الدِّهقانُ ساجداً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **ألَمْ أَرْوِكَ من عين التَّوفيق؟** قال: بلى يا أميرَ المؤمنين، فقال: **أنا وصاحبي لا شرقيٌّ ولا غربيّ، نحنُ ناشئةُ القُطْبِ، وأعلامُ الفَلَك. أمّا قولُك انقدَح من برجِك النِّيران، فكان الواجبُ أنْ تَحكمَ لي به، لا عليَّ. أمّا نورُه وضِياؤه فعندي، وأمّا حريقُه ولَهَبُه فذَهَب عنّي، فهذه مسألةٌ عميقةٌ، إحسبْها إنْ كنتَ حاسباً».**

(جواهر الكلام، الجواهريّ؛ وانظر: دلائل الإمامة للطّبريّ: ص ٥٨، مؤسّسة البعثة)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

صنعاء

صنعاء: هي موضعان أحدُهما باليَمن، وهي العُظمى، وأخرى قريةٌ بالغُوطة من دمشق. والنّسبةُ إليها صَنعانيّ.

أمّا اليمانيّة فكان اسمُها في القديم «آزال»، فلمّا وافَتها الحبشةُ ورأوا مدينتَها، وجدوها مبنيّةً بالحجارة حصينةً، فقالوا: هذه صَنعة، ومعناه حصينة، فسُمِّيت **صنعاء** بذلك. و**صنعاء** قصبةُ اليمن وأحسنُ بلادها، وهي من الاعتدال من الهواء بحيث لا يتحوَّل الإنسانُ من مكانٍ طُول عمره صيفاً ولا شتاءً، وتتقاربُ بها ساعاتُ الشّتاء والصّيف. وبنى أبرهةُ بصنعاء «القُلَّيس»، أراد بذلك أنْ يَصرفَ النَّاسَ عن الحجّ إلى بيت الله الحرام، فكان من أمرِه ما ذَكَره الله تعالى في سورة الفيل.

وفي كتاب (الغيبة) للنّعمانيّ بسنده عن عُبيد بن زُرارة، قال: «ذُكر عند أبي عبد الله عليه السلام السّفيانيّ، فقال: **أنّى يخرجُ ذلك ولم يَخرُج كاسرُ عينِه بصنعاء؟**».

ويتّفق المؤرِّخون على أنَّ صنعاء اليَمن واحدةٌ من أقدمِ مُدن العالم المأهولة بالسّكّان، لكنَّ الأدبيّات التّاريخيّة لا تحدِّدُ بالضّبط تاريخاً لتأسيسِها لأوّل مرّة، وتُشير إلى أنَّها إحدى المُدن السّبئيّة اعتماداً على تكرار ذِكرها في النّقوش السّبئيّة كواحدةٍ من أهمِّ مواقع تلك الدّولة. وصنعاء اليوم العاصمة السّياسيّة لليمن، تقع في وسط البلاد في منطقة جبليّة عالية على جبال السّروات، وترتفع عن سطح البحر ٢٣٠٠م. كانت حتّى العام ١٩٩٠م عاصمة الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة (اليمن الشّماليّ)، وبعد إعلان قيام الوحدة بين شطرَي اليمن عام ١٩٩٠ وقيام الجمهوريّة اليمنيّة، أضحت صنعاء عاصمة الدّولة الجديدة.

و**صنعاء** أيضاً: قريةٌ على باب دمشق دون المزّة، مقابل مسجد خاتون، خَرِبَت، وهي اليوم مزرعةٌ وبساتين. (مصادر)

من القصائد السّبع العلويّات

من أجلِه خُلِقَ الزَّمان..

شعر: ابن أبي الحديد المعتزليّ

عزّ الدّين أبو حامد، عبد الحميد بن أبي الحديد المدائنيّ المعتزليّ (٥٨٦ - ٦٥٦ للهجرة). كان من أعيان الشّعراء والعلماء، عارفاً بأصولِ الكلام، يذهبُ مذهبَ المعتزلة.

من تصانيفه: (شرح نهج البلاغة) في عشرين مجلّداً، وقد احتوى هذا الشّرحُ على ما لم يحتوِ عليه كتابٌ من جنسِه.

وأما أشعارُه فكثيرة، وأجلُّها وأشهرُها: (القصائدُ السّبعُ العلويّات)، وذلك لشرفِ الممدوحِ بها عليه أفضلُ التّحيةِ والسّلام، نظمَها في صباه وهو بالمدائن، وهذه الأبيات مختاراتٌ من القصيدة السّادسة.

يا بَرْقُ إنْ جِئْتَ الغَرِيَّ فَقُلْ لَهُ ... أَتُراكَ تَعلمُ مَنْ بِأَرْضِكَ مُودَعُ

فيكَ ابنُ عمرانَ الكليمُ وبعدَهُ ... عيسى يُقفِّيه وأحمدُ يَتبعُ

بلْ فيكَ جِبريلٌ وميكالٌ وإسرافيلُ ... والمَلأُ المُقدَّسُ أَجْمَعُ

بلْ فيكَ نورُ اللهِ جلَّ جلالُهُ ... لِذَوِي البَصائرِ يَستَشِفُّ ويَلمَعُ

فيكَ الإمامُ المُرتَضى فيكَ الوَصيُّ ... المُجْتَبى فيكَ البَطينُ الأَنْزَعُ

الضَّارِبُ الهامِ المقنّعُ في الوغى ... بالخوفِ للبُهمِ الكُماةِ يقنِّعُ

ومبدِّدُ الأبطالِ حينَ تَألَّبوا ... ومفرِّقُ الأحزابِ حينَ تجمَّعوا

والحَبْرُ يَصدَعُ بالمواعظِ خاشعاً ... حتّى تَكادَ لها القلوبُ تَصَدَّعُ

زُهْدُ المَسيحِ وفَتْكَةُ الدَّهرِ الَّذي ... أودى بها كِسرى وفَوَّزَ* تُبَّعُ

وشهابُ موسى حيثُ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... رُفِعَت لهُ لألاؤه تَتَشَعْشَعُ

يا من له رُدَّت ذُكاءُ ولم يَفُزْ ... بِنَظيرِها من قبلُ إلَّا يوشعُ

يا هازمَ الأحزابِ لا يُثْنِيهِ عَنْ ... خَوْضِ الحِمامِ مُدَجَّجٌ ومُدَرَّعُ

يا قالعَ البابِ الَّذي عنْ هَزِّها ... عَجزَتْ أَكُفٌّ أربَعُونَ وأربعُ

لولا حدوثُك قلتُ إنَّك جاعلُ ... الأرواحِ في الأشباحِ والمُستَنْزِعُ

لولا مماتُكَ قلتُ إنَّكَ باسطُ ... الأرزاقِ تُقدِرُ في العطاء وتُوسِعُ

أَأَقولُ فيك سَمَيْدَعٌ* كلَّا ولا ... حاشا لِمِثلِكَ أنْ يُقالَ سَمَيْدَعُ

بل أنتَ في يومِ القيامةِ حاكمٌ ... في العالَمين وشافِعٌ ومُشَفَّعُ

ولقد جَهلتُ وكنتُ أحذقَ عالِمٍ ... أغِرارُ عزمِك أم حسامُك أقطعُ؟

وفقدتُ معرفتي فلستُ بعارفٍ ... هل فضلُ علمِك أم جَنابُك أَوْسَعُ؟

واللهِ لَوْلا حَيْدَرُ ما كانت ... الدُّنيا ولا جمعَ البريَّةَ مجمعُ

من أجلِه خُلِقَ الزَّمانُ وضوّئت ... شُهُبٌ كَنَسْنَ وجنّ ليلٌ أدرعُ

وإليه في يومَ المَعادِ حسابُنا ... وهو المَلاذُ لنا غداً والمَفْزَعُ

ولقد علمتُ بأنَّهُ لا بُدَّ من ... مَهديكُم ولِيَومِهِ أتوقَّعُ

يَحميه مِن جُندِ الإلهِ كتائبٌ ... كاليَمِّ أقبلَ زاخراً يَتدفَّعُ

* فوَّز: هنا بمعنى مات. * سَمَيدَع: السّيّدُ الكريم والشّجاع.

إصدارات عربية

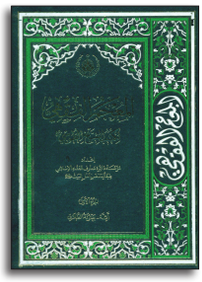

الكتاب: المعجم الفقهيّ لِكُتُب الشّيخ الطُّوسيّ قدس سره

إعداد: مؤسّسة دائرة المعارف للفقه الإسلاميّ طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام

إشراف: آية الله السّيّد محمود الهاشميّ الشّاهروديّ

النّاشر: «مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ»، قمّ ٢٠٠٤

في سياق مشروعها العلميّ الهادف إلى تدوين معاجم موضوعيّة لأهمّ الكُتُب الفقهيّة عبر المراحل المختلفة لتطوُّر الفقه الإماميّ، صدر عن «مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ»، (المعجم الفقهيّ لِكُتُب الشّيخ الطُّوسيّ قدس سره)، وهو الثّاني من نوعه بعد (معجم فقه الجواهر) الصّادر قبل بضع سنوات.

ويتكفّلُ هذا الإصدار النّوعيّ الجديد «..تعجيمَ الكُتُب الفقهيّة لشيخ الطّائفة وفقيهها الأوحد الشّيخ الطُّوسيّ؛ الّذي يمثّل عصرُه الفقهيّ مرحلةً مميّزةً وفريدةً من مراحل تطوُّر الفقه الإسلاميّ، على يد هذا الفقيه العظيم»، كما جاء في مقدّمة المشرف على المشروع، آية الله السّيّد محمود الهاشميّ الشّاهروديّ.

وفي مقدّمة «مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ» أنّ «الاختيار وقعَ على كُتُب الشّيخ الطُّوسيّ قدس سره الفقهيّة لِما امتازَ به عصرُه من تطويرٍ لفقه الإماميّة، بعد المرحلة الأولى -التي اتّصفت بالاقتصار على أصول المسائل والجمود على صيَغ الرّوايات- فنقلَ الفكر الفقهيّ إلى دور التّفريع وتطبيق القواعد، ولما امتاز به الشّيخ قدس سره من عرض الفقه الإسلاميّ في كتابَيه (الخلاف) و(المبسوط) بصورته المقارنة بين المذاهب».

يقع المعجم في ستّة أجزاءٍ، توزّعت مواضيعها -كما يلي- بحسب التّسلسل الألفبائيّ:

الجزء الأوّل: أئمّة - بينونة الطّلاق.

الجزء الثّاني: تأبيد - ذو المجاز.

الجزء الثّالث: رأس - شيوع.

الجزء الرّابع: صائل - عيون.

الجزء الخامس: غائب - ليل.

الجزء السّادس: مأتم - يوم المبعث.

وقد مرّ العمل على هذا المعجم بستّ مراحل رئيسيّة:

١- استخراج المفردات والألفاظ العنوانيّة (مداخل وكلمات مفتاحيّة).

٢-ربط كلّ مصطلح بما يخصّه من مسائل الكُتُب، أو بما يتعلّق به من المصطلحات ذات الصّلة.

٣-عملية التّلخيص لمطالب الكُتُب.

٤- توزيع الخلاصات وتفريقها على المصطلحات المرتبطة بها، بالشّكل الذي يُؤمَن معه من تكرارها.

٥-تصنيف ما يندرج من مسائل تحت كلّ مصطلح من مصطلحات المعجم الأصليّة أو ذات المسائل الكثيرة..

٦- عزو خلاصات المسائل الموزّعة على المصطلحات حسب المنهج المشار إليه في الفقرة (٤) إلى مواطنها في كُتب الشّيخ بذكر مشخّصاتها من رمز الكتاب ورقم الجزء والصّفحة..

الكتاب: مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام

إعداد: الدّكتور صلاح مهدي الفرطوسيّ

النّاشر: «العتبة العلويّة المقدّسة»، النّجف الأشرف ٢٠١٠

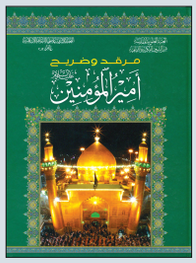

«مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام» كتابٌ قيّم صادر عن «قسم الشّؤون الفكريّة والثّقافيّة» في «العتبة العلويّة المقدّسة» في النّجف الأشرف، أعدّه الدّكتور صلاح مهدي الفرطوسيّ.

يوثّق الكتاب ظروف نشأة مدينة النّجف، وأبرز المعالم فيها، ثمّ ينتقل إلى تاريخ المرقد الشّريف لأمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبر العصور، وقد أفردَ الدّكتور الفرطوسيّ جزءاً كبيراً من كتابه للحديث عن عمارة المرقد الشّريف، أرفقه بمجموعةٍ من الصّور القديمة والحديثة، تُظهر الرّوعة والإتقان في بنائه وهندستِه وزخرفتِه.

كذلك يتضمّن الكتاب معلوماتٍ عن خزائن المقام وتاريخها، وصوَراً للهدايا القيّمة الّتي قدّمت إلى العتبة العلويّة في مختلف المراحل، والنّفائس من الكُتُب والمخطوطات الّتي فرّقتها الأحداث ولم يبقَ منها إلّا ما يقارب الأربعمائة نسخة.

إلى ذلك، فقد جمع الكتاب بين دفّتَيه معلوماتٍ تاريخيّة قيّمة، وصوَراً حديثة وقديمة قد لا يتسنّى لنا الاطّلاعُ عليها في مكانٍ واحد، فجاء تحفةً فنّيّةً تفي مدينة النّجف الأشرف بعض حقّها.

الكتاب: عرفان وشريعت (العرفان والشّريعة)

المؤلف: الدّكتور السّيّد يحيى يثربي

النّاشر: «انتشارات كانون انديشه جوان»، طهران ٢٠٠٧

شهدت السّنوات الأخيرة إقبالاً جماهيريّاً عارماً على الأفكار الغيبيّة، ولم يقتصر هذا الإقبال على جماعةٍ دون أخرى، أو على بلدٍ دون غيره من البلدان. وفي طليعة العناوين التي اجتذبت اهتمام النّاس عنوانُ «العرفان»، حتّى بِتنا نقعُ في زحمة «البضائع المعروضة» على مسمّياتٍ من قبيل: «العرفان الهنديّ» و«عرفان الهنود الحمر»! بهذه الفكرة يستهلّ المؤلّف السّيّد يحيى يثربي مقدّمته على كتابه الصّادر باللّغة الفارسيّة (عرفان وشريعت).

يضيف: وبما أنّه لا توجَد جهةٌ موكلةٌ بِنَظم وتقييم الآراء والأفكار «العرفانيّة» التي تُتداول، فقد بات عالَم العرفان ميداناً مستباحاً، يخوضُ فيه حتّى أهلُ البِدَع والنّوايا السّقيمة، والمخادعون، ومعدّو البرامج الإذاعيّة والتّلفزيونيّة، كلٌّ وفقَ ما تقتضيه مصلحتُه.

إلّا أنّ أخطر المتطاولين على قداسة «العرفان» -كما يقول السّيّد يثربي- هي تلك الجماعة التي تعملُ على الفصل بين «العرفان» و«الشّريعة»، ويُراد بالأخيرة الأحكام الشّرعية المنصوص عليها في المصنّفات الفقهيّة والرّسائل العمليّة. ولأجل ذلك، كان هذا الكتاب. أي لبيان التّلازم التّامّ بين «العرفان الحقيقيّ» وبين «الشّريعة المحمّديّة المقدّسة».

ومن الأفكار الباطلة التي تروّج لها هذه الجماعة، أنّ «العارف» قد يبلغ مرتبةً تسقط عندها عنه جميعُ التّكاليف من صلاة وصيام وحجّ وغيرها! وقد تصدّى العرفاءُ الإلهيّون للرّدّ على هذه الادّعاءات الشّيطانيّة، مؤكّدين أنّ الغاية القصوى من «العرفان» هي بلوغُ مرحلة «تجلّي العبوديّة لله تعالى»، فكلّما ازدادَ العارفُ معرفةً بالله تعالى، عظُم الخالقُ في نفسِه، وصغُر ما دونَه -ومنها العارف نفسُه- في عينِه، وصار لزاماً عليه مضاعفةُ التّقيُّد بالتّكاليف الشّرعيّة، إلى حدّ أنّه يعدُّ العملَ بالمكروه والتّخلّي عن المستحبّ ذنباً يستحقُّ العقاب عليه.

الكتاب: تفسير موضوعى مثنوى معنوى (تفسير مثنوي الموضوعيّ)

المؤلّف: قادر فاضلي

النّاشر: «انتشارات اطلاعات»، طهران ٧٠٠٢

جاء هذا الكتاب في مقدّمة وسبعة فصول، تناولت شرح قصائد (ديوان مثنوي) -لجلال الدّين محمّد البلخيّ (ت: ٢٧٦ للهجرة)- وفق موضوعاتها التّالية: العلاقة بين الله تعالى والإنسان/ العشق/ الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وآله/ القرآن الكريم/ أمير المؤمنين عليه السلام/ السّيّد المسيح والسّيّدة مريم عليهما السلام/ القضاء والقدر.

و(المثنوي) عبارة عن قصائد -جلّها بالفارسيّة تتخلّلها أبيات بالعربيّة- في العرفان والتّصوّف والأخلاق في سبعة دفاتر، من نَظْم جلال الدين محمّد البلخيّ، المعروف بـ «جلال الدّين الرّوميّ»، و«مولوي»، و«مولانا».

الكتاب: «١٩١٤: مصير العالم»

Le Destin Du Monde :١٩١٤

المؤلّف: ماكس غالو

النّاشر: «X O Editions»، باريس ٢٠١٣

تحت عنوان (مصير العالم)، يقدّم الكاتب والمؤرّخ الفرنسيّ ماكس غالو «تاريخ الحرب الكبرى»، أي الحرب العالميّة الأولى، مبتدئاً من يوم الأحد ١٠ آب ١٩١٤م، وتحديداً عند السّاعة العاشرة وسبع دقائق! عندما تبادل ضابطٌ ألمانيّ وعريفٌ في الجيش الفرنسيّ النّار فأردى أحدُهما الآخر قتيلاً. وكانت هذه الحادثة -كما يقول غالو- الشّرارة التي أطلقت الحرب بين ألمانيا وفرنسا عقب ٣٢ ساعة من وقوعها.

ويقرّر المؤلّف أنّ مقدّمات الحرب الكونيّة الأولى تكمن في سلسلةٍ من الاغتيالات المتبادلة والجماعية شهدتها أوروبا خلال الفترة الواقعة بين ٢٨ تموز و١١ آب من العام ١٩١٤م، الأمر الذي «لم تحتمله مخيّلةُ الأوروبيّين» فأطلقوا حرباً عالميّة استمرّت خمس سنوات، وراح ضحيّتها ١٦ مليون قتيل ونحو ٢٠ مليون مصاب، كما أسّست لحربٍ ثانية تلَتها بعد عشرين عاماً.

«نور الإسلام» (١٦١-١٦٢)

في العدد الجديد من مجلّة «نور الإسلام» والّتي تصدر عن «مؤسّسة الإمام الحسين عليه السلام الخيريّة الثّقافيّة»، نقرأ مواضيع متعدِّدة، منها حسب الأبواب:

- **من سِيَر الأطهار**: «قبسات من أنوار الإمام العسكريّ عليه السلام» للمرجع الدّينيّ الشّيخ الوحيد الخراسانيّ دام ظلّه.
- **أحيوا أمرنا**: «الصّلاة على محمّدٍ وآله صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة» للسّيّد حسين إسماعيل الصّدر.
- **من هدى القرآن**: «كيف تحصل الاستعاذة الحقيقيّة؟» بقلم مرتضى شرف الدّين.
- **أعلام وشخصيّات**: «السّيّد يوسف الحكيم أمثولة في جهاد النّفس» للسّيّد ضياء الخبّاز.

استطلاع: «المسلمون في سويسرا، كفاح الوجود في بلد الحرّيّات».

ويتضمّن العدد مجموعة من المواضيع الأُسَريّة والثّقافيّة، وترجمة إنكليزيّة لعددٍ من الأبواب.

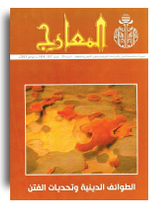

«المعارج» (١٥٧)

صدر مؤخّراً العدد الجديد من مجلّة «المعارج» الشّهريّة الّتي تُعنى بالدّراسات القرآنيّة، وحوار الأديان والثّقافات.

ملفّ هذا العدد جاء تحت عنوان: «الطّوائف الدّينيّة وتحدّيات الفِتن»، وكتب فيه عددٌ من الباحثين والعلماء حول تاريخ الفتن الطّائفيّة، والوعي الدِّينيّ، والتّعايش مع الآخَر الدِّينيّ والثّقافيّ.

وفي الدّراسات نقرأ:

- «الطّائفيّة والشّباب في لبنان» للإمام موسى الصّدر.
- «وسائل مقاومة التّقسيم في العالم الإسلاميّ» للدّكتور طه الزّيديّ.
- «أثر الصّهيونيّة في الفتن الدّينيّة» بقلم الدّكتور عبد العزيز نعمة.

أمّا في المناقشات، فنقرأ:

- «طائفيّة المجتمع والدّولة» للأستاذ حسين العادليّ.
- «الأحزاب الدّينيّة والرِّدّة الحضاريّة» للأستاذ نبيل الحيدريّ.
- «المفسدون في الأرض» للاستاذ ناصر الخشينيّ.

كما يتضمَّن العدد مقالاتٍ وأبحاثاً تدور في إطار عنوان الملفّ المُشار إليه.

«الأصالة» (٣٥-٣٦)

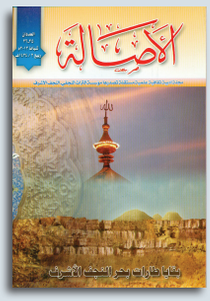

صدر العدد الجديد من مجلّة «الأصالة»، وهي مجلّةٌ أدبيّة ثقافيّة علميّة مستقلّة، تصدر عن «مؤسّسة التّراث النّجفيّ» في النّجف الأشرف.

من المواضيع المنوّعة، نقرأ في هذا العدد:

- «الحجّ بين التّفسير والتّشريع» للأستاذ الدّكتور ناجح جميل آل صافي.
- «الأصالةُ في المحاريب» للأستاذ تحسين عمارة.
- «الأساليب الإسلاميّة لتقليل التّفسير الخاطئ» للشّيخ الدّكتور حسن كريم ماجد الرّبيعيّ.
- «خدعة الأمر الواقع» بقلم الأستاذ فاضل عبّاس الملّا.
- «في محراب الفكر النّجفيّ» للأستاذ السّيّد حسنين جابر الحلو.
- «الحيرة في مؤلّفات السّيّد البراقيّ» بقلم الأستاذ السّيّد عبّاس البراقيّ.

نار النّدامة، تَحرقُ الذُّنوب

اِعلم أنَّ للتَّوبة الكاملة أركاناً وشروطاً، ولولا تحقُّقها لَما تحقَّقت التَّوبةُ الصَّحيحة.

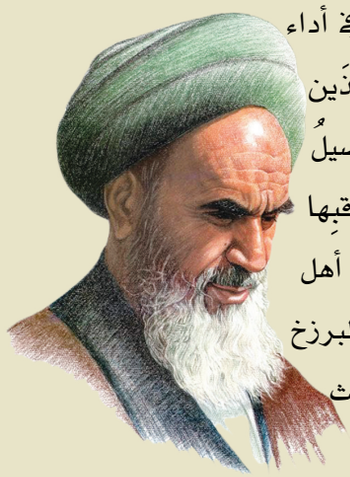

من أهمِّ الشُّروط الّذي يُعدُّ رُكناً ركيناً للتّوبة، هو النّدامةُ على الذَّنوبِ والتَّقصيرِ في أداء التّكاليف الشّرعيّة. ومنها العزمُ على عدمِ العودةِ إلى الذُّنوب نهائيّاً. وفي الحقيقة أنَّ هذَين الأمرَين يُحقّقان حقيقة التَّوبة، وهما من مقوّماتها الذّاتيّة. والعُمْدة في هذا الباب، تحصيلُ هذا المقام وإنجازُ هذه الحقيقة، على نَحْوٍ يَتذكَّر الإنسانُ تأثيرَ معاصيه في رُوحه وعواقبها في عالَمِ البرزخ ويومَ القيامة، كما هو مقرَّرٌ في المعقول والمنقول، ومُبرهَنٌ عليه لدى أهل العلم والمعرفة، ومأثورٌ في أخبار أهل بيت العصمة عليهم السلام، من أنَّ للمعاصي في عالَمِ البرزخ والقيامة صُوَراً تتناسبُ معها، وهذه الصُّوَر في ذلك العالم تكون ذات حياةٍ وإرادةٍ حيث تُعذِّبُ الإنسانَ المُذنب، وتُسيء إليه عن شعورٍ وإرادة. وإنَّ نار جهنَّم أيضاً تُحرِقُ الإنسانَ عن إرادةٍ ووَعي، لأنَّ تلك النَّشأةَ نشأةُ الحياة. "..."

وكذلك تتركُ كلُّ معصية في الرُّوح أثراً عُبِّر عنه في الأحاديث الشَّريفة بالنُّقطة السَّوداء؛ وهي ظلامٌ ظَهَرَ في القلب والرُّوح، ثمَّ تتوسَّعُ هذه النُّقطة حتَّى تَسوق الإنسانَ إلى الكُفرِ والزَّندقة والشَّقاوة الأبديّة. فالإنسانُ العاقلُ لو انتَبَه لهذه المعاني واعتَنى بكلام الأنبياء والأولياء عليهم السلام، والعُرَفاء والحُكَماء والعلماء رضوان الله عليهم، بقدر اعتنائه بقَوْلِ طبيبٍ معالجٍ، لابتَعَدَ لا محالةَ عن المعاصي ولم يَقترب منها أبداً. وإذا ابتُلِيَ بالمعصية -لا سمح الله- أبْدى بسرعة تبرُّمَه وانزعاجَه منها ونَدِم عليها وظهرت صورةُ نَدَمِه في قلبه؛ وتكون نتيجةُ هذه النَّدامة عظيمةً جدّاً، وآثارُها حَسَنةً وكثيرة. ثمّ يحصلُ من جرَّاء ندمِه العزمُ على تركِ المعصية وتركِ مخالفة ربِّ العالَمين. وعندما يتوفَّر هذان الرُّكنان -النَّدم على اقتراف المعصية، والعَزْم على عدم العودة إليها- يَتَيسّر أمرُ سالك طريق الآخرة، وتَغمرُه التَّوفيقات الإلهيّة، ليُصبح حَسَب النّصّ القرآنيّ ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة:٢٢٢. "..."

أيُّها الإنسان كم أنتَ ظَلومٌ وجَهولٌ؟! ولا تقدِّرُ نِعَمَ وليِّ النِّعَم. إنَّك تَعصي وتُعادي سنين وسنين وليَّ نِعَمِكَ الَّذي وفَّر لك كلَّ وسائل الرَّفاه والرَّاحة، من دون أن تعود منها عليه -والعياذ بالله- بجدوًى وفائدة. وطيلة هذه الفترة قد هَتكْتَ حُرْمَتَه وطَغَيْتَ عليه ولم تَخجل منه أبداً، ولكنَّك إذا نَدِمْتَ على ما فعلْتَ ورجعْتَ إليه، أحبَّك الله وجَعَلَكَ محبوباً له ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ..﴾ البقرة:٢٢٢، فما هذه الرَّحمة الواسعة والنِّعَمُ الوافرة؟

إلهي! نحن عاجزون عن شُكرِ آلائك، وأَلْسِنَةُ البَشَرِ وجميع الأحياء في هذا الكَوْن مصابةٌ باللُّكْنَة [اللُّكنة: عِيُّ اللّسان، وهو العجزُ عن البيان] تجاهَ الحمد والثَّناء عليك، ولا يَسعُنا إلَّا أنْ نُنَكِّسَ رؤوسَنا ونعتذرَ لك لعَدم حيائنا منك. مَنْ نحنُ حتّى نستحقَّ رحمتَك؟ ولكنّ سعةَ رحمتِك وشمولَ نعمتِكَ أوسعُ من تقديرنا لها: «**أَنْتَ كَما أَثْنَيْتَ عَلَى نَفسك**». "..."

إلهي أَلْهِمْنا صدراً محترقاً، واقذف في قلوبنا جذوَةً من نار النّدامة، واحرقْهُ مع هذه النّار -النّدامة- الدّنيويّة، وأزِلْ عن قلوبنا الكَدرَ والغَبرةَ، وأَخرِجْنا من هذا العالَم من دون مضاعفات المعاصي، إنَّك وليُّ النِّعَم وعلى كلِّ شيءٍ قديرٌ.